كتاب عجائب المقدور * في أخبار تيمور *

(الطبعة الاولى)

بمطبعة وادى النيل فى القاهرة المحروسة بباب الشعريه
سنة ١٢٨٥

كتاب عجائب المقدور * فى أخبار تيمور
للفاضل الاديب * الكامل الاريب
وحيد عصره * وفريد دهره * أقضى
القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن
عبد الله الدمشقى الانصارى
المعروف بابن عرب شاه
طيب الله ثراه
آمين

عجائب المقدور

DS
23
I217.
1868

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(الحمد لله) الذى على منوال ارادته وتدبيره تنسيج مقاطع الامور * ومن ينبوع قضائه الى لجج قدره يجرى تيار الاعصار والدهور * اذاق بنى آدم بأس بعض ليبلوهم أيهم أحسن عملا وهو العزيز الغفور * وأرسل عليهم فى القرن الثامن من الهجرة بحار فتن أقبلت كقطع من الليل المظلم لم يدرأ حدماهى فاذاهى تمور (أحمده) حمد من كان على شفا جرف من نارها فانقذه منها * واشكره شكر من ورطه فيها عدله فانجته ايادى فضله عنها (واشهد) أن لا اله الا هو الحكم العدل * الذى يقتص للمظلوم من الظالم يوم الفصل (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أرسله رحمة للعالمين * وجعله رسول الله وخاتم النبيين * فاخبر صلى الله عليه وسلم عن السر المصون * ونبأ بما كان فى الازل وبما يكون الى يوم يبعثون * واستعاذ من غلبة الدين وقهر الرجال * ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال صلى الله عليه صلاة تذكى المسك الاذفر فى صدور الكتب والتواريخ * وتدنى لقائلها

فى يوم الجزاء ثمرات الحسنات من أعلى الشماريخ * وعلى آله وصحبه الذين أفاضوا سيول الفتح فى الاقاليم فغمروها * وشيدوا اركان الاسلام وأثاروا الارض بالايمان وعمروها بالعدل والاحسان أكثر مما عمروها * وسلم تسليما غزيرا * دائما أبدا كثيرا

(أما بعـــد) فلما كان فى التواريخ عبرة لمن اعتبر * وتنبئة لمن افتكر * واعلام ان قاطن الدنيا على سفر * واحضار لصورة حال من مضى وغبر * كيف قدر واقتدر * ونهى وأمر * وبنى وعمر * وختل وختر * وغلب وقهر * وكسر وجبر * وجمع وادخر * وتكبر وفجر * وكيف عبس وبسر * وضحك واستبشر * وتقلب فى اطواره من الطفولية الى الكبر * الى أن قلبته أيدى العبر * واختطفته وهو آمن مما يكون مخاليب القضاء والقدر * فخالط ما صفا من عيشه الكدر * وتنغص حتى ذهب عنه ما حلا ومر * ان فى ذلك لعبرة لمن اعتبر * وتذكرة لمن اذكر * وتبصرة لمن استبصر (وكان من أعجب القضايا) بل من أعظم البلايا * الفتنة التى يحار فيها اللبيب * ويدهش فى دجى حندسها الفطن الاريب * ويسفه فيها الحليم * ويذل فيها العزيز ويهان الكريم (قصـــة تيمور) رأس الفساق * الاعرج الدجال الذى أقام الفتنة شرقا وغربا على ساق * اقبلت الدنيا الدنية عليه فتولى وسعى فى الارض فافسد فيها واهلك الحرث والنسل * وتيمم حين عمته النجاسة الحكمية صعيد الارض فغسل بسيف الطغيان كل اغر محجل فتحققت نجاسته بهذا الغسل (أردت) أن أذكر منها ما رأيته * وأقص فى ذلك ما رويته * اذ كانت احدى الكبر * وأم العبر * والداهية التى لا يرضى القضاء فى وصفها ابدا القدر (والله أسأل) الهام الصدق * وسلوك طريق الحق * انه ولى الاجابة ومسدد سهم المرام الى غرض الاصابة * وهو حسبى ونعم الوكيل

(فصل فى ذكر نسبه وتدريج استيلائه على الممالك وسببه)

(اسمه تيمور) بتاء مثناة مكسورة فوق وياء ساكنة مثناة تحت وواو ساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة هذه طريقة املائه * وفى التصريف زنة بنائه * لكن كرة الالفاظ الاعجمية * اذا تداولها صولجان اللغة العربية * خرطها فى الدوران على بناء أوزانها ودحرجها كيف شاء فى ميدان لسانها * فقالوا فى هذا تارة تمور وأخرى تمرلنك * ولم

يجر عليهم في ذلك حرج ولا ضنك * وهو بالتركي الحديد ابن ترغاي بن ابغاي * ومسقط رأس ذلك الغدار * قرية تسمى خواجه ايلغار * وهي من اعمال الكش * فأبعدها الله من وحش * والكش مدينة من مدن ماوراء النهر * عن سمرقند بنحو من ثلاثة عشر شهر * قيل رؤي ليلة ولد كأن شيئاً شبيه الخودة ترآى طائراً في عنان الجو * ثم سقط الى فضاء الدو * ثم انبث على الارض وانتشر * وتطاير منه مثل الجمر والشرر * وتراكم حتى ملأ البدو والحضر * وقيل لما سقط الى الارض ذلك السقيط * كانت كفاه مملوءتين من الدم العبيط * فسألوا عن أحواله الزواجر والقافه * وتفحصوا عن تأويل ذلك من الكهنة وأهل القيافه * فقال بعضهم يكون شرطيا * وقال بعضهم ينشأ لصا حراميا وقال قوم بل قصابا سفاكا * وقال آخرون بل يصير جلادا بتاكا * وتظافرت هذه الاقوال * الى أن آل أمره الى ما آل * وكان هو وأبوه من الغدادين * ومن طائفة أوباش لا عقل لهم ولا دين * وقيل كان من الحشم الرحاله * والاوباش البطاله * وكان ماوراء النهر مأواهم * وتلك الضواحي مشتاهم * وقيل كان أبوه اسكافا فقيرا جدا * وكان هو شابا حديدا جلدا * ولكنه لما كان به من القلة يتجرم * وبسبب تلك الاضرام يتضرر ويتضرم * ففي بعض الليالي سرق غنمة واحتملها * فضربه الراعي في كتفه بسهم فأبطلها * وثنى عليه بأخرى في فخذه فاخطلها * فازداد كسرا على فقره * ولوما على شره * ورغبة في الفساد * وحنقا على العباد والبلاد * وطلب له في ذلك الاضراب والنظراء * وعشي عن ذكر الرحمن فقيض له من الشياطين القرناء * مثل عباس وجهانشاه * وقاري وسليمان شاه * وايدكو تيمور وجاكو وسيف الدين * نحو أربعين لا دنيا لهم ولا دين * وكان مع ضيق يده وقلة عدده وعدده * وضعف بدنه وحاله * وعدم ماله ورجاله * يذكر لهم أنه طالب الملك * ومورد ملوك الدنيا موارد الهلك * وهم في ذلك يتناقلون عنه هذا النقل وينسبونه الى كثرة الحماقة وقلة العقل * ويدنونه منهم ويقبلون اليه * ليسخروا منه ويضحكوا عليه * شعر

ان المقادير اذا ساعدت ❊ ألحقت العاجز بالحازم

فشرع فيما يقصده * والقضاء يرشده * والقدر ينشده *

لا يؤيسنك من مجد تباعده ❊ فان للمجد تدريجا وتدريبا

ان القناة التي شاهدت رفعتها ❊ تنمو فتنبت أنبوبا فأنبوبا

والشهامة بين احزابه مشهور * ويمكن الجمع بين هذه الاقاويل باعتبار اختلاف الزمان * وتنقل الاحوال والحدثان * والاصح ان أباه ترغاى المذكور كان أحد أركان دولة السلطان * ورأيت فى ذيل تاريخ فارسى يدعى المنتخب * وهو من بدو الدنيا الى زمان تيمور وهو شئ عجيب * نسبا يتصل منه تيمور الى جنكيزخان * من جهة النساء حبائل الشيطان ولما استولى تيمور على ماوراء النهر وفاق الاقران * تزوج بنات الملوك فزادوه فى القابه كوركان * وهو بلغة الموغول الختن * لكونه صاهر الملوك وصار له فى بيتهم حركة وسكن * وكان للسلطان المذكور من الوزراء أربعة * عليهم مدار المضرة والمنفعة * هم أعيان الممالك * وبرأيهم يقتدى السالك * والترك لهم قبائل وشعب * تكاد توازى قبائل العرب * وكل واحد من هؤلاء الوزراء كان من قبيله * لسراج آرائه فى بيوت تعميرها فتيلة طويله * قبيلة أحدهم تسمى ارلات * وقبيلة الثانى تدعى جلاير * وقبيلة الثالث يقال لها قاوجين * وقبيلة الرابع اسمها برلاس * وكان تيمور ابن رابعهم فى الناس * فنشأ شابا لبيبا * مصراعاهما حازما جلدا أريبا * وكان يصاحب نظراءه من أولاد الوزراء * ويعاشر أضرابه من فتيان الامراء * الى ان قال لهم فى بعض الليال * وقد اجتمعوا فى مكان خال * وأخذت منهم العشرة والنشاط * وارتفعت استار الاسرار وامتد للبسط بساط * ان جدتى فلانه * وكانت من ذوى القيافة والكهانه * رأت مناما ماذاقت منه أحلاما * وعبرته بانه يظهر لها من الاولاد والاحفاد * من يدوخ البلاد ويملك العباد * ويكون صاحب القران * وتذل له ملوك الزمان * وذلك هو انا * وقد قرب الوقت ودنا * فعاهدونى ان تكونوا لى ظهرا وعضدا * وجناحا ويدا * وان لا تستحيلوا عنى أبدا * فاجابوه الى مادعاهم اليه * وتقاسموا ان يكونوا فى السراء والضراء معه لا عليه * ولم يزالوا يتجاذبون اطراف هذا الكلام * فى كل مقام * ويتفاوضون فيض غدير هذا الغدر من غير احتشام واكتتام * حتى أنس برقه قاطن كل مصر وشام * وخاض فى حديثه كل قديم هجرة من خاص وعام * وشعر به السلطان * وعلم ان غرس خلافه فى دوح المملكة بان * فاراد أن يرد كيده فى نحره * ويريح الدنيا من شره * والعباد والبلاد من عاره وعره * ويعمل بموجب ماقيل

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ❋ حتى يراق على جوانبه الدم

فاخبره بذلك بعض الناصحين فخرج * وهو الى حضيض العصيان وهو سالم فعرج *

ويمكن

ويمكن انه في بعض هذه الاوقات * واثناء هذه الحالات * توجه الى الشيخ شمس الدين
المشار اليه * واستمده كما ذكر فيما عول عليه * فانه كان يقول جميع ما نلته من السلطنه *
وفتحته من مستغلقات الامكنه * انما كان بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخوري *
وهمة الشيخ زين الدين الخوافي * وما لقيت من بركه * الا بالسيد بركه * وسيأتي
ذكر زين الدين وبركه * ثم قال تيمور ما فتحت أبواب السعادة والدولة علي * ولا ضحكت
عروس فتوحات الدنيا الي * الامن سهام سجستان ومن حين أصابني ذلك النقصان *
انا في ازدياد الى هذا الزمان * والظاهر ان بدو أمره وخروجه في تلك الفئة * كان فيما بين
الستين والسبعين والسبعمائة * وقال لي شيخي الامام العالم العامل * الكامل المكمل
الفاضل * فريد الدهر وحيد العصر * علامة الورى * أستاذ الدنيا علاء الدين * شيخ
المحققين والمدققين * قطب الزمان * مرشد الدوران * أبو عبد الله محمد بن محمد
البخاري نزيل دمشق أدام الله تعالى أيام حياته * وامد الاسلام والمسلمين بيامن بركاته *
في شهور سنة ست وثلاثين وثمانمائه * ان تيمور قتل السلطان حسينا المذكور
في شعبان سنة احدى وسبعين وسبعمائه * ومن ذلك الوقت استقل بالملك وكانت
وفاته في شعبان سنة سبع وثمانمائة على ما سيأتي فمدة استيلائه مستقلا ست وثلاثون
سنة وذلك خارجا عن مدة خروجه وتحزبه الى حين استيلائه * ولما خرج صار هو
ورفقاؤه يتحرمون في بلاد ما وراء النهر * ويعاملون الناس بالعدوان والقهر *
فتحرك لدفعهم كل ظاعن وساكن * وضيقوا عليهم تلك المغاني والاماكن *
فقطعوا جيحون وصفر منهم ذلك المكان * فاشتغلوا بالمحرم في بلاد خراسان * خصوصا
في ضواحي سجستان * ولا تسأل عما افسد في فدافد خراسان * ومفاوز باورد وماخان
فذهب بعض الليالي وقد اضر بهم السغب * واشتعل فيهم من الجوع اللهب * فدخل
حائطا من حوائط سجستان * قد أوى اليه بعض رعاء الضان * فاحتمل منها راسا وأدبر *
فشعر به الراعي وابصر * فاتبعه للحين * وضربه بسهمين * أصاب باحدهما
فخذه وبالآخر كتفه * فلله دره ساعدا اذ أبطل بهذا الضرب الموزون نصفه * ثم ادركه
واحتمله * والى سلطان هراه المسمى بملك حسين أوصله * فبعد ضربه * أمر بصلبه *
وكان للسلطان ابن رأيه غير متين * يدعى ملك غياث الدين * فشفع فيه واستوهبه من
أبيه * فقال له أبوه انه لم يصدر عنك ما يدل على صلاحك * ويسفر عن نجابتك وفلاحك

وهذا جعتا الى حرامى مادّة الفساد * لئن أبقى ليهلكنّ العباد والبلاد * فقال ابنه وما عسى
أن يصدر من نصف آدمى * وقد أصيب بالدواهى و رمى * ولا شك ان أجله قد اقترب
فلا تكونن فى موته السبب * فوهبه اياه * فوكل به من داواه * الى ان اندمل جرحه *
و برئ قرحه * فكان فى خدمة ابن سلطان هراه * من أعقل الخدم واضبط الكفاه *
فتوفرت عنده حرمته * وارتفعت درجته * وسمعت كلمته * فعصى من نواب السلطان
نائبه المتولى على سجستان * فاستدعى تيمور أن يتوجه اليه * فاجابه الى ذلك وعول عليه
واضاف اليه طائفة من الاعوان * فوصل الى سجستان * وقبض على نائبها المتمادى فى
الطغيان * واستخلص أموال تلك البلاد * وأخذ من أطاعه من الاجناد * وتلا آية العصيان
بالجهر * وارتحل بمن معه الى ماوراء النهر (وقيل) بل كان فى خدمة ابن السلطان الى
ان ودّع أبوه الحياة وانتقل * واستقرّ ولده فى الملك واستقل * فعند ذلك هرب تيمور الى
ماوراء النهر * وقد قوى منه الرأس والظهر * وكان اذذاك قد اجتمع عليه رفقاؤه *
وانحاز اليه أصحابه المتخربون وعشراؤه * فارسل غياث الدين الطلب وراءهم * وقصد ان
يكفى المسلمين شرهم وعناءهم * وهيهات فقد كان سبق العذل السيف * وضيع اللبن
فى الصيف

(ذكر عبوره جيحون على فتره وما جرى من العبرات بهذه العبره)

فوصل تيمور وجماعته الى جيحون وكان اذذاك مدّهم طاغيا * ولم يمكنهم التوانى لان
الطلب كان خلفهم ساعيا * فقال تيمور لاصحابه النجباء النجاء * ليتعلق كل منكم بعنان
فرسه ومعرفته وليلق نفسه فى الماء * وتواعدوا الى مكان * وقال توجهوا من غير توان *
فمن لم يأت الموعد * يعلم انه قد فقد * فتهافتوهم وخيولهم فى ذلك الماء العجاج *
والتيار الزخار والامواج * تهافت الفراش على السراج * ولم يعلم واحد منهم حال الآخر *
ولا اطلع من تقدّم منهم على أمر من تأخر * وكابدوا أحوال الموت * وشاهدوا أهوال
الفوت * فنجوا ولم ينقص منهم احد * واجتمعوا الى ذلك الموعد * وذلك بعد ان أمنت
منهم البلاد * واطمأن فى ممالكها كل رائح وغاد * فجعلوا يتجسسون الاخبار *
ويتتبعون الآثار * ويحاربون الله ورسوله * و يؤذون عباده و يقطعون سبيله *
ولم يزل على ذلك يجرى ويمشى * الى ان وصل مدينة قرشى

❋(ذكر من أسر فى فتنة ذلك الجاف واستعبده من أحرار ملوك الاطراف)❋

وأرسل تيمور الى ولاة بلخشان * وكانت الولاية بها الاخوين وهما بها مستقلان * تلقيا ذلك عن أبيهما * وكان السلطان نزعها من أيديهما * ثم أقرهما فيها على ان يكونا من تحت أمره واسترهن أولادهما عنده فصارا أسيرى قهره * فلما راسلهما تيمور على طاعته * اجاباه ودخلا تحت كلمته

❋(ذكر نهوض المغل على السلطان وكيف تضعضعت منه الاركان)❋

ثم ان الموغول نهضت من جهة المشرق على السلطان حسين * فاستعد لهم وقطع جيحون ووقع الحرب بين الجهتين * فانكسر السلطان * فراسلهم أيضا ذلك الجان * واسم حاكمهم قمر الدين خان * فأجابوا مراده * واقتفوا ما أراده * وسلطوه على السلطان ليستخلص من يده بلاده وواعدوه بمصاهرتهم * وأمدوه بمظاهرتهم * ورجعوا الى بلادهم وقد أسلموه زمام قيادهم * فقويت بذلك شوكته * وسكنت القلوب هيبته * فلم يسع السلطان * الا بذل الجهد والامكان * فى اطفاء نائرته * وقطع دابرته * فجعله نصب عينيه * وتوجه بنفسه اليه * بعسكر جرار * كالبحر الزخار * حتى انتهى الى مكان يسمى قاغلغار وهو صدفان * بينهما مضيق * هو الجادة العظمى والطريق * يسير المار فى ذلك مقدار ساعه * وفى وسط الدرب باب اذا أغلق وأحمى فلاشئ مثله فى المناعه * وحواليه جبال كل منها عرنينه قد شمخ * وقدمه قد غاص ثبوتا ورسخ * فصح ان يقال فيه أنف فى السماء * واست فى الماء * فأخذ العسكر فم ذلك الدربند * من جهة سمرقند * وتيمور على الجانب الآخر * وهو كالمضايق والمحاصر

❋(ذكر الحيلة التى صنعها والخديعة التى ابتدعها)❋

فقال تيمور لاصحابه انى أعرف ههنا جادة خفية * مسالكها أبيه * لا تطأها الخطا * ولا يهتدى اليها القطا * فهلم نسرى ليلنا * ونقود فى المسرى خيلنا * فنصبحهم من

ورائهم

ورائهم وهم آمنون * فان أدركناهم ليلا فنحن الفائزون * فأجابوه الى ذلك * وشرعوا فى قطع تلك الوعور والمسالك * وساروا ليلهم أجمع * وبلغ الفجر المطلع * فأدركهم الصباح ولم يدركوا الجيش * فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتنكد لهم العيش * ولم يمكنهم الرجوع * وأذنت الشمس بالطلوع * فوصلوا الى العسكر وقد أخذ فى التحميل وعزم على الرحيل * فقال أصحابه بئس الرأى فعلنا * فى قبضة العدو حصلنا * لقد وقعنا فى الاشراك * وألقينا بأيدينا أنفسنا الى الهلاك * فقال تيمور لا ضرر * توجهوا نحو العسكر * وأنزلوا بمرأى منهم على خيلكم * واتركوها ترعى * وأقضوا من ورد النوم والراحة ما فاتكم فى ليلكم * فتراموا عن خيلهم كأنهم صرعى * وتركوا خيولهم ترعى * شعر

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل * واقتد بها الجوزاء فهى عنان

فجعل العسكر يمر بهم * ويخال انهم من احزابهم * حتى اذا استراحوا * ركبوا خيولهم وصاحوا * ووضعوا السيوف فى أعدائهم * راكبين أكتافهم من ورائهم * فقتلوهم قتلا ذريعا * وغادروهم جريحا وصريعا * وعم الخطب المدلهم * ولم يعلم أحد البلاء كيف دهم * واتصل الخبر بالسلطان * وقد خرج التلافى عن حيز الامكان * فهرب الى بلخ وقد انسلخ من المملكة أى سلخ * وشرع تيمور فى النهب * والغارات والسلب * ثم ضبط الاثقال * وجمع الاموال * ولم رعاع الناس والمداره * وأطاعوه وهم ما بين راض وكاره * واستولى على ممالك ما وراء النهر * وتسلط على العباد بالغلبة والقهر * وأخذ فى ترتيب الجنود والعساكر * واستخلاص الحصون والدساكر * وكان نائب سمرقند واحد الاركان * شخصا يدعى على شير من جهة السلطان * فكاتبه تيمور على ان تكون الممالك بينهما نصفين * ويكون معه على السلطان حسين * فرضى على شير بذلك * وقاسمه الولايات والممالك * وتوجه اليه * وتمثل بين يديه * فزاد فى اكرامه * وبالغ فى احترامه

سيحون وجيحون * فقامت بين العسكرين سوق المحاربة * ولم يتفق بينهم فيها سوى معاملات المضاربة * ولازالت رحى الحرب تدور * الى ان انطحن عسكر تيمور * فبينما عسكره قد قل * وعقد جنوده انحل * واذا برجل يقال له السيد بركه قد أقبل * فقال له تيمور * وهو فى غاية الضرر * ياسيدى السيد جيشى انكسر * فقال له السيد لا تخف * ثم نزل السيد عن فرسه ووقف * وأخذ كفا من الحصبا * وركب فرسه الشهبا * ونفخها فى وجه عدوهم المردى * وصاح بقوله ياغى قاجدى * وصرخ بها تيمور تابعا ذلك الشيخ النجدى * وكان عباسى الصوت * فكأنه دعى الابل الظمأى بجوت جوت * فعطفت عساكره عطفة البقر على أولادها * وأخذت فى المجالدة مع اضدادها واندادها * ولم يبق فى عسكره من جذع ولا قارح * الا وهو بقوله ياغى قاجدى صائح * ثم انهم كروا كرة واحدة * بهمة متعاقدة * ونهمة متعاضدة * فرجع جيش توقتاميش منهزمين * وولوا على أعقابهم مدبرين * فوضع عسكر تيمور فيهم السيوف * وسقوهم بهذا الفتوح كاسات الحتوف * وغنموا الاموال والمواشى * وأسروا اوساط الرؤس والحواشى * ثم رجع تيمور الى سمرقند * وقد ضبط أمور تركستان و بلاد نهر خجند * وعظم لديه السيد بركه * وحكمه فى جميع ما استولى عليه وملكه * وهذا السيد اختلف القول فيه فمن قائل انه كان مغربيا بمصر حجاما * فذهب الى سمرقند وتسيد بها وعلا قدره وتسامى * ومن قائل انه كان من أهل المدينة الشريفة * ومنهم من يقول انه من أهل مكة المنيفة * وعلى كل حال فانه كان من أكبر الاعيان * فى بلاد ماوراء النهر وخراسان * لاسيما وقد أمدّ تيمور بهذه النجدة * وخلصه بهذه اللطيفة المصادفة للقضاء والقدر فى هذه الشدّة * فقال تيمور تمنّ على * وا حتكم لدى * فقال له يامولانا الامير * ان أوقاف الحرمين الشريفين فى الاقاليم كثير * ومن جملة ذلك اندخوى من ممالك خراسان * وأنا وأولادى من جملة مستحقى ذلك الاحسان * واذا أقيم أصل ذلك وخدمه * وعلم قضه وخضمه * وضبطت أوقافه * ومصارف ذلك وصرافه * ما كانت حصتى وحصة أولادى * أقل من هذه القصبة فى هذا الوادى * فأقطعنى اياها فأقطعه اياها * مع مضافاتها واعمالها وقراها * وهى الى الآن فى يد بنى أولاده * وأسباطه وأحفاده

❁(ذكر علي شير مع تيمور وما وقع بينهما من المخالفة والشرور)❁

ثم ان تيمور وقع بينه و بين علي شير مخالفه * وانحاز الى كل منهما طائفة * فاغتاله تيمور وختله * ثم قبض عليه وقتله * فصفت الولايات والممالك لتيمور بعض الصفا * وهرول الى طاعته من الناس كل وجه ورأس كانا في التأبي وقفا

❁(ذكر ماجرى لدعار سمرقند والشطار مع تيمور وكيف أحلهم دار البوار)❁

وكان في سمرقند طائفة من الدعار كثيرون * وهم أنواع فمنهم مصارعون ومناقفون * وملاكمون ومعالجون * وهم فيما بينهم فرقتان كالقيس واليمن * والعداوة والمقاتلة بينهم قائمة على مر الزمن * ولكل طائفة منهم رؤس * وظهور واعضاد وضروس * وكان تيمور مع ابهته يخافهم * لما كان يظهر له عنادهم وخلافهم * فكان اذا قصد جانبا * أقام له في سمرقند نائبا * فاذا بعد عن المدينة خرج من تلك الجماعة طائفة * فخلعوا النائب أو خرجوا مع النائب وأظهروا المخالفة * فاذا رجع تيمور الا وقد انفرط نظامه وتخبطت أموره وتشوش مقامه * فيحتاج الى تجديد وتمهيد * وتخريب وتشييد * فيقتل و يعزل * و يعطي ويجزل * ثم يتوجه لتمهيد ممالكه * وتوطيد مسالكه * فيعودون الى عكرهم * و يؤوبون الى ختلهم ومكرهم * وتكررت هذه القضية نحوا من تسع مرار * فضاق تيمور ذرعا بالاشرار والدعار * فاعمل الحيلة في اغتيالهم * وكف اذاهم واستئصالهم * فصنع سورا * ودعا اليه الخلائق كبيرا وصغيرا * وصنف الناس أصنافا * وجعل كل ذي عمل الى عامله مضافا * وميز أولئك الدعار مع رؤسائهم على حده * وفعل معهم مافعله أنوشروان بن كيقباد بالملاحده * وأرصد له في أحد الاطراف أنصارا * وقرر معهم ان كل من أرسله اليهم يولونه دمارا * و يكون ارساله اليهم على قتله شعارا * ثم انه جعل يدعو رؤس الناس * و يسقيهم بيده الكاس ويخلع عليهم أفخر اللباس واذا أفضت النوبة من أولئك الدعار الى أحد * سقاه كاسه وخلع عليه وأشار ان يتوجه به الى نحو الرصد * فاذا وصل اليهم خلعوا عنه خلعته بل وثوب الحياة فهتكوه * وسكبوا عسجد قالبه في بوتقة الفناء فسبكوه * الى ان أتى على آخرهم * واستوفى بذلك قطع دابرهم *

ومحا آثارهم * واطفأ أنارهم * فصفت له المشارع وخلا له ممالكه من مجاذب ومنازع * ولم يبق له فيما وراء النهر ممانع ولا مدافع

(فصل في تفصيل ممالك سمرقند وما بين نهري بلخشان وخجند)

فمن ذلك سمرقند وولاياتها وهي سبعة تومانات * واندكان وجهاتها وهي تسعة تومانات * والتومان عبارة عما يخرج عشرة آلاف مقاتل وفيما وراء النهر من المدن المشهورة والاماكن المعتبرة المذكورة * سمرقند وسورها قديما على ما زعموا اثنا عشر فرسخا وكان ذلك على عهد السلطان جلال الدين قبل جنكيزخان (ورأيت) حد سورها من جهة الغرب قصبة بناها تيمور وسماها دمشق ومسافتها عن سمرقند نحو من نصف يوم والناس الى الآن يحفرون سمرقند العتيقة ويخرجون دراهم وفلوسا سكتها بالخط الكوفي فيسبكون الفلوس ويخرجون منها فضة (ومن مدن) ماوراء النهر مرغينان * وهي التخت كانت قديما وبها كان ايلك خان * ومنها خرج الشيخ الجليل العلامة برهان الدين المرغيناني صاحب الهداية رحمه الله وخجند وهي على ساحل سيحون * وترمذ وهي على ساحل جيحون * ونخشب وهي قرشي المذكورة * والكش وبخارى واندكان وهي أماكن مشهورة * وغير ذلك (ومن الولايات) بلخشان وممالك خوارزم وأقليم صغانيان الى غير ذلك من الاطراف الواسعه * والاكناف الشاسعه * وفي عرفهم ماوراء النهر الى جهة الشرق توران * وما كان في هذا الطرف الى جهة الغرب ايران ولما اقتسم كيكاوس * وافراسياب البلاد كانت توران لافراسياب وايران لكيكاوس بن كيقباد * وعراق هو مغرب ايران

(ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر بعد استقصائه ممالك ماوراء النهر)

ولما صفت له ممالك ماوراء النهر * وذلت لاوامره جوامح الدهر * شرع في استخلاص البلاد * واسترقاق العباد * وجعل ينسج بأنامل الحيل الاشراك والاوهاق * ليصطاد بذلك ملوك الاقاليم وسلاطين الآفاق * فأول ما صاهر المغول وصافاهم * وهادنهم

وهاداهم * وتزوّج بنت قمرالدين ملكهم * وصار آمنا من تبعتهم ودركهم * وهم جيرانه من
جهة الشرق * ولا تباين بينه وبينهم ولا فرق * اذ العلة وهي الجنسية والمصاهرة والمجاورة
حاصلة للجهتين * والملة وهي التوراة الجنكيزخانية ممشاة في كلا الدولتين * فأمن شرهم *
وكفي كيدهم وضرهم *

(ذكر تصميمه العزم وقصده جمع الاطراف وأولا ممالك خوارزم)

فحين أمن مكرهم * وسدّ بالمصالحة ثغرهم * صمم العزم * على التوجه الى ممالك
خوارزم * وهم مجاوروه غربا بالشام * ومباينوه بتمشية قواعد الاسلام * وتختهم
مدينة جرجان * وهي من أعظم البلدان * وهذه المملكة ذات مدن عظيمة *
وولايات جسيمة * تختها مجمع الفضلاء * ومحط رحال العلماء * ومقرّ الظرفاء
والشعراء * ومورد الادباء والكبراء * ومعدن جبال الاعتزال * وينبوع بحار أهل
التحقيق من أرباب الهدى والضلال * نعمها كثيرة * وخيراتها غزيرة * ووجوه فضائلها
مستنيرة * واسم سلطانها حسين صوفي * وهو من الاعتقادات الباطلة قدعوفي * ومدن
ماوراء النهر وضع بعضها قريب من بعض * لانها كلها مبنية باللبن والآجر على الارض *
وأهل خوارزم كأهل سمرقند في اللطافة * وأفضل من أهل سمرقند في الحشمة والظرافة *
يتعاونون المشاعرة والادب * ولهم في فنون الفضل والمحاسن أشياء عجب * خصوصا في
معرفة الموسيقى والانغام * ويشترك في ذلك منهم الخاص والعام * ومما هو مشهور عنهم *
أن الطفل في المهد منهم * اذا بكى أو قال آه * فان ذلك يكون في شعبة دوكاه * فلما وصل
تيمور الى خوارزم كان حسين صوفي غائبا عنها * فنهب حواليها وما وصلت يده اليه منها *
ولم يقدر عليها * فلم يكترث بها ولا التفت اليها * ثم لم أطراف حاشيته * وعاد الى مملكته *

(ذكر عوده ثانيا الى خوارزم)

ثم انه شدّ حزام الحزم * وكرّ ثانيا الى خوارزم * باستعداد تام * وجيش طام * وكان
سلطانها أيضا غائبا * وأقام بجميلة بكرها خاطبا * فحاصرها * وضاجرها * وشدّد على

أعناق مسالكها التلابيب * وكاد أن يتشبث بأذيال هامته المخاليب * فخرج اليه رجل من أعيانها * وكان تاجرا وله قدم صدق عند سلطانها * يقال له حسن سوريج * والتمس أن يرفع عنهم ذلك الامر المريج * وأن يبذل له ما طلب * فى مقابلة ما يريد من أسير وسلب * فطلب منه حمل مائتى بغل فضه * ترفع الى خزائنه نضه * فلم يزل يراجعه * ويلاطفه ويمانعه * حتى صالحه على ربع سؤاله * وقام المصالح بذلك من ماله وصلب حاله * ووزن له ذلك فى الحال * وأخذ تيمور فى الترحال * وكف عن الاذى شياطين جنده * وعزم على التوجه الى سمرقنده

※(ذكر مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراه الذى خلصه من الصلب وراودفيه أباه)※

ثم انه راسل سلطان هراه ملك غياث الدين الذى كان مغيثه * عملا بقوله كتب الله على كل نفس خبيثه * وطلب منه الدخول فى ربقة الطاعه * وحمل الخدم والتقادم اليه بحسب الاستطاعه * والاقصد دياره * وبلغه دماره * فأرسل ملك غياث الدين يقول صحبة الرسول * أما كنت خادما لى وأحسنت اليك * وأسبلت ذيل احسانى ونعمتى عليك * فختلت وقتلت * وفتكت وفللت * وفعلت فعلتك التى فعلت * وذلك بعد أن نجيتك من الضرب والصلب * فان لم تكن انسانا تعرف الاحسان فكن كالكلب * فعبر جيحون وتوجه اليه * فلم يكن لغياث الدين قوة الوقوف بين يديه * فأرسل الى حشمه وسكان قراه * فاجمعوا هم ومواشيهم حول هراه * وحفر خندقا حول البساتين * محيطا بالرعاع وضعفة المساكين * وحصر نفسه فى القلعه * وحسب أن يكون له بذلك منعه * وذلك لركاكة رأيه أوّلا وآخرا وجود قريحته * وقلة عقله وانعكاس فكره ودولته *

قلت شعر

من لم يصادف سعده تقديره * يخطفه فى تدبيره تدميره

فلم يكترث تيمور له بقتال وحصار * ولكن أحاطت به العساكر دائرا ما دار * ومكث تيمور فى الامن والدعه * وعدوّه فى الضيق بعد السعه * فاضطربت الرؤس والحواشى * ومارت الانعام والمواشى * وغص البلد بالزحام * وهلكت الخواص والعوام * وأضناهم السغب * وعلاهم الصراخ والصخب * فأرسل اليه السلطان * يطلب منه الامان *

وعلم أنه اختنق بسببه * وأنه أعانه أولا فبلى به * فذكره سابقة العرفان * وما أسداه اليه من احسان * وطلب منه تأكيد الامان بالايمان * فحلف له تيمور انه يحفظ له الذمام القديم * وأن لا يراق له دم ولا يمزق له أديم * فخرج اليه ودخل عليه * وتمثل بين يديه * فدخل تيمور الى المدينة * وصعد الى قلعتها الحصينه * وصحبته السلطان وقد أحاطت به جنود هراة والاعوان * فأشار واحد من أبطال صاحب هراة على السلطان * أن يقتل تيمور ويجعل نفسه فداه * وقال له ما معناه * أنا أفدى المسلمين بنفسى ومالى * وأقتل هذا الاعرج ولا أبالى * فلم يجبه الى اشارته * واستسلم لقضاء الله تعالى وارادته * وقال ان لله تعالى تصريفا فى عباده * ولا بد أن ينفذ فيهم سهم مراده * ولا مفر من القضا * ولا محيد عما قدر الله تعالى وقضى شعر

واذا أتاك من الامور مقدر * وفررت منه فنحوه تتوجه

وهذا سر لا بد من ظهوره * فلا تبحث عن حقيقة أموره * فمن غالب القضاء غلب * ومن ناهب الزمان سلب * ومن قاوى تيار المقدور غرق * ومن استلذ بالغفلة فى مشارب اللهو شرق * وذكر فى ذلك الوقت مقالة أبيه له واطلع على تحقيقه * ولكن السهم خرج فما أمكن رده الى فوقه

⁕(ذكر اجتماع ذلك الجافى بالشيخ زين الدين أبى بكر الخوافى)⁕

وكان فى بعض قدماته خراسان سمع أن فى قصبة خواف * رجلا قد منحه الله تعالى الالطاف * عالما عاملا * كبيرا فاضلا * ذا كرامات ظاهره * وولايات باهره * وكلمات زاهره * ومقامات طاهره * ومكاشفات صادقه * ومعاملات مع الله تعالى بالصدق ناطقه * يدعى الشيخ زين الدين أبا بكر * لطائر اجتهاده فى حظيرة القدس أعلى وكر * فقصد تيمور رؤيته * وتوجه اليه وجماعته * فقالوا للشيخ ان تيمور قادم عليك * وواصل اليك * يقصد رؤيتك * ويرجو بركتك * فلم يفه الشيخ بلفظه * ولا رفع لذلك لحظه * فوصل تيمور اليه * ونزل عن فرسه ودخل عليه * والشيخ مشغول بحاله على عادته * جالس فى فكره على سجادته * فلما انتهى اليه * قام الشيخ فاحدودب تيمور منكبا على رجليه * فوضع الشيخ على ظهره يديه * وقال تيمور لولا أن الشيخ رفع

يه عن ظهري بسرعة لخلته انقض * ولقد تصورت أن السماء وقعت على الارض *
نا بينهما رضضت أشد رض * ثم انه جلس بين يدي ذلك المنتخب * على ركبتي الادب *
ال له بالملاطفة في المحاوره * على سبيل الاستفهام لا المناظره * ياسيدي الشيخ لم لا
مرون ملوككم بالعدل والانصاف * وأن لا يميلوا الى الجور والاعتساف * فقال له
شيخ أمرناهم وتقدمنا بذلك اليهم * فلم يأتمروا فسلطناك عليهم * فخرج من فوره من
ـدا الشيخ وقد قامت منه الحدبه * وقال ملكت الدنيا ورب الكعبه * وهذا الشيخ هو
وعود بذكره ثم ان تيمور قبض على ملك هراه * واحتاط على ما ملكت يداه * وضبط
باتها جانبا جانبا * وقرر لكل جانب نائبا * وتوجه الى سمرقند فلما أمكنه *
حبس السلطان في المدينه * وأوصد عليه بابها * ووكل بحفظه أصحابها * وأضاف
بهم أسده الحفاظ * الزبانية الشداد الغلاظ * وذلك لحلفه أن لا يريق دمه * وأن يحفظ
ذممه * فلم يرق له دما * ولكنه قتله في الحبس جوعا وظما *

(ذكر عوده الى خراسان وتخريبه ولايات سجستان)

ثم عاد الى خراسان * وقد عزم على الانتقام من سجستان * فخرج اليه أهلها طالبين الصلح
والصلاح * فأجابهم الى ذلك على ان يعدوه بالسلاح * فاخرجوا اليه ما عندهم من
عدّه * ورجوا بذلك الفرج من تلك الشدّه * فخافهم وكتب عليهم قسامات بالغه * ان
مدينتهم غدت من السلاح فارغه * فلما تحقق ذلك منهم وضع السيف فيهم * فأضاف
بهم جنود المنايا عن بكرة أبيهم * ثم خرب المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر * ومحاها فلم
يبق لها عين ولا أثر * ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب * وما فعل ذلك بهم الا لانه أوّلا
منهم أصيب * وذكر لي الشيخ الفقيه زين الدين عبد اللطيف بن محمد بن أبي الفتح الكرماني
الحنفي نزيل دمشق بالمدرسة الجقمقية * في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائه * أن الذين
تخلصوا من القتل من أهل سجستان * بهزيمة أو غيبة أو بنوع لطيفة من الله تعالى
المنان * لما تراجعوا اليها * بعد رجوع تيمور عنها * أرادوا أن يجمعوا بها فأضلوا
يوم الجمعة وما اهتدوا اليه * حتى أرسلوا الى كرمان من دلهم عليه

(ذكر قصد ذلك الغدّار ممالك سبزوار وانقيادها اليه وقدوم واليها عليه)

ثم لما اثار بسجستان ما أثار * قصد بعساكره مدينة سبزوار * وكان واليها يدعى حسن الجورى * مستقلا بالامارة وهو رافضى * فما أمكنه الا الاطاعه * واستقباله من الهدايا والخدم بما استطاعه * فاقره على ولايته * وزاد فى رعايته *

(فصــــــل) وكان من عادة تيمور ومكره * انه كان فى أوّل أمره * اذا نزل باحد مستضيفا استنسبه * وحفظ اسمه ونسبه * وقال له اذا بلغك انى استوليت * وعلى الممالك استقليت * فاتنى بعلامة كذا * فانى اكافيك اذا * فلما انتشر ذكره * وشاع أمره * وفشا فى الدنيا خبره وخبره * هرعت الناس بالعلائم اليه * ووفدت من كل فج عميق عليه * وكان ينزل كل أحد منزلته * ويحله مرتبته

(ذكر ماجرى لذلك الداعر فى سبزوار مع الشريف محمد رأس طائفة الدعار)

وكان فى مدينة سبزوار * رجل شريف من الشطار يدعى السيد محمد السربدال معه جماعة من الرجال كلهم دعار * يسمون السربدالية يعنى الشطار * وكان هذا السيد رجلا مشهورا * بالمآثر والفضائل مذكورا * فقال تيمور على به * فانى ماجئت لا بسببه * وقد كنت متشوقا اليه * ومتشوفا لعلم مالديه * فدعوه له فدخل عليه فقام اليه واعتنقه * وقابله ببشرة منطلقه * واكرمه وادناه * وقال فى جملة فحواه * ياسيدى السيد قل لى كيف استخلاص ممالك خراسان واحويها * وانى احوزها ادانيها واقاصيها * وماذا افعل حتى يتم لى هذا الامر * وارتقى هذا المسلك الصعب الوعر * فقال له السيد يامولانا الامير * أنا رجل فقير وقير * من آل الرسول * من أين أنا وهذا الفضول * وانى وان قيل لى شريف * رجل عاجز ضعيف * لاطاقة لى بموارد الملك * ومن أنا حتى اتشاوف لمصالح الملك * ومن داخل الملوك اوخارجهم * اوعارضهم فى أمورهم اومازجهم * كان كالعائم فى مجمع البحرين * وكالجاثم فى منتطح الكبشين * والخارج عن لغته لحان * وشتان مابين المأمون والطحان * فقال له لابد ان تدلنى على هذه الطريقه * وتخبرنى عن المجاز الى هذه الحقيقه * ولولا انى تفرست فيك ذلك *

وتكهنت ان برأيك تقتدى المسالك * ولولا انك اهل لهذه المعرفة * مافهت لك ببنت
شفه * ولا استغنيت عنك استغناء التفه عن الرفه * فان فراسانى اياسيه * وقضاياى
كلها قياسيه * فقال ذلك المشير * أيها الامير * اوتسمع فى هذا مقالتى * وتتبع اشارتى *
فقال ما استثمرتك الا لاتبعك * ولا جاريتك الا لامشى معك * فقال ان أردت ان يصفو
لك المشرب * وتنال الممالك من غير ان تتعب * فعليك بخواجه على * ابن المؤيد
الطوسى * قطب فلك هذه الممالك * ومركز دائرة هذه المسالك * فان اقبل عليك بظاهره
لم يكن بباطنه الامعك * وان ولى عنك بوجهه فان يفيدك غيره ولن ينفعك * فكن على
استجلاب خاطره وحضوره اليك ابلغ جاهد * فانه رجل صاب وظاهره وباطنه واحد *
وان طاعة الناس منوطة بطاعته * وافعال الكل مربوطة باشارته * ان افعل فعلوا *
فان حط حطوا وان رحل رحلوا * وكان هذا الرجل اعنى خواجه على المذكور رجلا
شيعيا * مواليا عليا * يضرب السكة باسم الاثنى عشر اماما * ويخطب باسمائهم وكان
شهما هماما * ثم قال السيد يا أمير ادع خواجه على فان ابى دعوتك * وحضر حضرتك *
فلا تترك من أنواع الاحترام والتوقير * والاكرام والتكبير * شيئا الا واوصله اياه * فانه
يحفظ لك ذلك ويرعاه * وانزله منزلة الملوك العظام * فى التعظيم والتوقير والاحترام *
ولا تدع معه شيئا مما يليق بحشمتك * فان ذلك كله عائد الى حرمتك وعظمتك * ثم
خرج السيد من عند تيمور * وجهز قاصده الى الخواجه على المذكور * يقول له انه
قد مهد له الامور * فان جاءه قاصده فلا يتوقف عن الطاعه * ولا يتعد عن التوجه اليه
ولا ساعه * ويكون منشرح البال * آمنا سطواته فى الحال والمال * فاستعد خواجه
على لقدوم الوارد * وورود القاصد * وهيأ الخدمات * والتقادم والحمولات * وضرب
باسمه واسم متولاه الدرهم والدينار * وخطب باسمهما فى جوامع الامصار * وقعد لامره
منجزا * واقام للطلب مستوفزا * واذا بقاصد تيمور رجاءه منه بكتاب * فيه من الطف
كلام والين خطاب * يستدعيه مع انشراح الصدر * وتوفير التوقير وتكثير البر *
فنهض من ساعته * ملبيا بلسان طاعته * ولم يلبث غير مسافة الطريق * وقدم بامل
فسيح وعهد وثيق * فلما أخبر وه بوفوده * جهز لاستقباله اساورة جنوده * وسر سرورا
شديدا * وكانه استأنف ملكا جديدا * فلما وصل قدم هدايا فاخره * وتحفا متكاثره *
وظرائف ملوكيه * وذخائر كسرويه * فعظمه تعظيما بالغا * واولاه انعاما سائغا *

وأسبل قامة رجائه من خلع اعزازه واكرامه ذيلا سائغا * واستمرّ به على ولايته * وزاد في برّه وكرامته * فلم يبق في خراسان أمير مدينه * ولا نائب قلعة مكينه * ولا من يشار اليه الا وقصد تيمور وأقبل عليه * فمن أكابرهم أمير محمد حاكم باورد وأمير عبد الله حاكم سرخس وانتشرت هيبته في الآفاق * وبلغت سطوته مازندران وكيلان وبلاد الري والعراق * وامتلأت منه القلوب والاسماع * وخافه القريب والبعيد وعلى الخصوص شاه شجاع * وكل هذا في مدّة قصيرة * وأيام قلائل يسيره * نحو من سنتين * بعد قتله السلطان حسين

* (ذكر مراسلة ذلك الشجاع سلطان عراق العجم أبا الفوارس شاه شجاع) *

ولما صفت له بلاد خراسان * وأذعن لطاعته كل قاص ودان * راسل شاه شجاع سلطان شيراز وعراق العجم * يطلب منه الطاعة والانقياد وارسال الاموال والخدم * ومن جملة كتابه * وفحوى خطابه * ان الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظلمة الحكام * والجائرين من ملوك الانام * ورفعني على من باراني * ونصرني على من خالفني وعاداني * وقد رأيت وسمعت * فان أجبت وأطعت فبها ونعمت * والا فاعلم أن في قدمي ثلاثة أشياء * الخراب والقحط والوباء * واثم كل ذلك عائد عليك * ومنسوب اليك * فلم يسع شاه شجاع الا مهادنته ومهاداته * ومصاهرته ومصافاته * وزوّج ابنته بابن تيمور * ولم يتم ذلك السرور لحدوث الشرور * فانقبضت تلك المباسطة بواسطة افساد الواسطة * وتتريب الخطابة وتخريب المباشطة * قلت بديهًا مضمنا * شعر

اذا انتخبت لامر عز واسطة * فاحذر دهاه وكن منه على وجل
واعلم بأن طباع الانس قد جبلت * من الجفاء ومن مكر ومن دخل
فلا تثق منهم يوما بواسطة * وأشرع بنفسك فيه غير متكل
فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل

ومدّ عنان الكلام * في هذا المقام * يخرجنا من المرام * ولكن تمت رياض المحبة زاهره * وأرباض المودّة عامره * وفصول المراسلة والمصادقة بين الطرفين سائره * واستمرّوا على ذلك من غير نزاع * الى ان توفي شاه شجاع * وكان شاه شجاع هذا رجلا عالما فاضلا *

يقرّر الكشاف تقريرا شافيا كاملا * وله شعر رائق * وأدب فائق * فمن شعره العربى على ماقيل * شعر

ألاان عهدى فى الغرام يطول * وأسباب صبرى لاتزال تزول
أصون هواها كلما ذرشارق * ولكن بنابى قد نيم نحول
ومن لم يذق صرف الصبابة فى الصبا * علمت يقينا انه لجهول

ومن شعره الفارسى

اى بكام عاشقان حسنت جميل * كى كزينم ديكرى برتو بديل
كر زيادت غافلم عيشم حرام * ورزجورت دم زنم خونم سبيل
هركسى تدبير كارى ميكند * مارها كرديم بانعم الوكيل

وهوشاه شجاع بن محمد بن مظفر وكان أبوه من أفراد الناس ومن أهل البر * يسكن ضواحى يزد وابرقوه * ذا بأس شديد يخافه القريب والبعيد ويرجوه * وكان قد نبغ بين يزد وشيراز * عربى من آل خفاجة سدّ على سالكى الطريقة حقيقة المجاز * يدعى جمال لوك * أفقر الغنى وأباد الصعلوك * لايبالى بالرجال قلت اوكثرت * ولا يكترث بكواكب النبال اذا الكواكب على رأسه انتثرت * فاباد طائفة من البلاد * وأهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد * فكمن له أبو شاه شجاع * فى بعض وهد أو بقاع * ثم قابله مواجهه * وكافحه مشافهه * ونازله فصرعه * وقطع رأسه وانتزعه * فقصد برأسه السلطان * فقدّمه على سائر الاعوان * وأقطعه أماكن عدّه * وقرّبه وجعله عدّة لكل شدّه * وكان له عدّة أولاد * وأقارب وأحفاد * كل منهم رئيس مطاع * فمن أولاده شاه مظفر وشاه محمود وشاه شجاع * فصار كل منهم ذا كلمة نافذه * ويد مطيعة آخذه * ولم يكن للسلطان ولد يبقى وراءه فى أمور الملك أو ينقب * فلما أقبل عليه رائد المنية أجابه وولى مدبرا ولم يعقب * وكان اذ ذاك قد ثبتت أوتاد محمد بن مظفر * فتقدّم فى السلطنة ومن سواه تأخر * فصار فى ممالك عراق العجم الملك المطاع * واستقل من غير تشاق ونزاع * وتصرف فى الممالك كيف يشاء * ورداه الله خلعة قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء * ومات فى حياته ولده شاه مظفر المشهور * وخلف ولده شاه منصور ثم جرى بين شاه شجاع وبين أبيه * من النزاع والشرور مالاخير فيه * وقبض على أبيه وقهره * وفجعه بكريمتيه وأعدمه بصره * وتمكن من السلطنة واستقر * وكان به مرض جوع البقر * بحيث انه

كان لا يقدر على الصوم لا في السفر ولا في الحضر * وكان كثيرا ما يدعوا الله الغفور * أن لا يجمع بينه و بين تيمور * فلما أدركه الاجل * وطوى فراش الموت منه بساط الامل * أحضر ماله من الاقارب والاولاد * وقسم عليهم الممالك والبلاد * فولى ابنه لصلبه زين العابدين * شيراز وهي كرسي الملك ومقصد الوافدين * وأقطع أخاه السلطان أحمد ولايات كرمان * وأعطى ابن أخيه شاه يحيي يزد وابن أخيه شاه منصور أصفهان * وأسند وصيته بذلك الى تيمور * وخلد ذلك في رق منشور * وأشهد على ذلك من حضر مجمعه * فكان كمن سلم الرمح لابي زوبعه * ولما أدمج الموت ثوب عمر شاه شجاع * انتشرت بين أقاربه شقق الشقاق والنزاع * فقصد شاه منصور زين العابدين وقبض عليه * واستولى على شيراز وجمعه بكريمتيه * وخالف عمه ونقض حبل عهده * وفعل مع أبيه ما فعله أبوه بجدّه * وحبل هذه القصة ممدود * والاشتغال بنقضه وابرامه يخرج عن المقصود * فاغتص تيمور وامتغص * وتجرّع الغصص وارتهص * ولكن أرتقب في ذلك انتهاز الفرص

(ذكر توجه تيمور مرة ثالثة الى خوارزم بالعساكر العابثة العائثة)

ثم ان تيمور جدّد الحزم * وصمم العزم على التوجه الى خوارزم * فتوجه الى تلك البلاد * من خراسان على طريق استراباد * وكان سلطانها أيضا غائبا * فأراد ان يولى عليهم من جهته نائبا * فخرج اليه حسن المذكور وصالحه * واشترى منه الشرور والمقابحه * وقال له يا مولانا الامير * كلنا عندك أسير * ولكن سلطاننا غائب * واذا أقيم علينا من جهتك نائب * ثم رجع الينا السلطان * فلابدّ أن يقع بينهما شنآن * واذا كان الامر كذا * فربما يصل الى منه أذى * فيكون ذلك سبب تأكيد العداوه * ويزداد بينكما الجفا والقساوه * فيفيض حنقك على المسلمين * ويقع فساد والله لا يحب المفسدين * وهب أن حسين صوفي صار نائبك * فكل الخلق يجب عليه أن يراعي خدمتك وجانبك * ورأيك أعلى * واتباع مرسومك أولى * فسمع تيمور كلامه * وقبل قوله وقوّض للرحيل خيامه * وكان لحسن المذكور ابن غير فالح * له عمل غير صالح * فكانه فتك بحظيه من حظايا السلطان * وذاع ذلك في المكان * وفاح ذفره في انف

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

واسكندر * وتأبى عليه شاه ولى ذلك الغضنفر * فلم يلتفت الى خطابه * وخشن له
فى جوابه *

(ذكر مراسلة شاه ولى سلاطين العراق وماوقع فى ذلك من الشقاق وعدم الاتفاق)

ثم أرسل شاه ولى الى شاه شجاع سلطان عراق العجم وكرمان * والى السلطان أحمد بن الشيخ
أويس متولى عراق العرب واذربيجان * يخبرهما بورود خطابه * وصدور جوابه *
ثم قال أنا ثغركما * وان انتظم أمرى انتظم أمركما * وان نزل بى منه بائقه * فانها بما لكما
لاحقه * فان ساعدتمانى بمدد * كفيتكما هذا النكد * والا فتصيران كما قيل

شعر

من حلقت لحية جارله * فليسكب الماء على لحيته

فأما شاه شجاع فاطرح قوله ورماه * وهادن تيمور كما ذكروهاداه * وأما السلطان أحمد
فأجاب بجواب مهمل * وقال هذا الاشل الاعرج الجغتائى ماعساه أن يفعل * ومن
أين ومن أين * للاعرج الجغتائى أن يطأ العراقين * وان بينه وبين هذه البلاد * لخرط
القتاد * ولكم بين مكان ومكان * فلا يخل العراق كخراسان * ولئن عقدت على التوجه الى
ديارنا نيته * لنحلن به منيته * ولترحلن عنه أمنيته فانا قوم لنا الباس والشده * والعدة
والعده * والدولة والنجده * ولنا يصلح التشامخ والتأبى * حتى كانه قال فينا المتنبى * نحن
قوم ملجن فى زى ناس * فوق طير لها شخوص الجمال * فلما علم ذلك منهم شاه ولى * وأيقن
أن كلا منهما عن شجوه خلى * قال أما أنا فوالله لا وافقنه * بعزم صادق ونفس مطمئنه *
فلئن ظفرت به لا نذرن بكما فى الامصار * ولاجعلنكما عبرة لاولى الابصار * وان ظفر بى
فلا على ما يصل اليكما * فلينزلن القضاء الطام والبلاء العام عليكما * ثم استعد للقائه *
واستسلم لقدر الله تعالى وقضائه * ولما ترآى الجمعان * واتصلت المراشقة بالضرب
والطعان * ثبت شاه ولى ساعة لما نابه من شره وهره * ثم ولى الدبر لما لاحظ ما رأى من
كره وفره * وتبع السنة فى الفرار مما لا يطاق * وتوجه الى الرى اذ ما أمكنه التوجه الى
العراق * وكان بها أمير مستقل يدعى محمد جوكار * متصرفا بحكومته فى تلك القرى

والامصار

والامصار * وكان كريما شجاعا وملكا مطاعا * ومع ذلك فانه دارى تيمور * وراعى منه بعض الامور * وخاف سطوته و بأسه * فقتل شاه ولى وأرسل الى تيمور رأسه

(ذكر ماجرى لابى بكر الشاسبانى من الوقائع مع ذلك الجانى)

وكان فى بعض ولايات مازندران * رجل يسمى أبا بكر من قرية تدعى شاسبان * وكان فى الحروب * كالاسد الغضوب * وكان قد أباد وأبار * الجم الغفير من عساكر التتار * اذا انتمى فى المجال * لا تثبت له الرجال * واذا وضع العمامة * أقام فيهم القيامة * ولا زال يكمن بين الروابى والجبال * و يجندل الجنود والابطال * حتى صارت تضرب به الامثال * وترعد منه الفرائص ولو فى طيف الخيال * فكان القائل منهم يقول لمركوبه اذا علق عليه أو سقاه * فتأخر عن الماء أو جفل من المخلاه * كأن أبا بكر الشاسبانى فى الماء أو بين العليق تراه * وقيل لم يتضرر عسكر تيمور فى مدة استيلائه * مع كثرة حروبه ومصافاته وابلائه * الامن ثلاثة أنفار * أضروا به و بعساكره غاية الاضرار * وأوردوا كثيرا منهم موارد النار * أحدهم أبو بكر الشاسبانى * وثانيهم سيدى على الكردى وثالثهم أمة التركمانى * فأما أبو بكر هذا فذكر وا انه فى بعض مضائق مازندران * تغلب عليه الجغتاى من كل مكان * وسدوا عليه وجه الخلاص * وشدوا حبل المقنص * فالجأه الى جرف مقابله جرف * مقدار ثمانية أذرع ما بين الجرف الى الجرف * كأن مقره جب النقير * أو واد فى قعر السعير * فنزل أبو بكر عن جواده المضمر * وطفر وطمر من أحد الجرفين الى الآخر * بما عليه من السلاح والمغفر * ولم ينل منهم ضرا * أو نجا كما نجا تابط شرا * ثم اتصل بحاشيته وأبادهم * ونقل الى طاحون الفناء منهم من استكمل دياسهم وحصادهم * ثم ما أدرى أمره الى ماذا آل * وكيف تقلبت به الاحوال * وأما سيدى على الكردى فانه كان أميرا فى بلاد الكرد * معه طائفة من الخيل الجرد * والرجال غير المرد * فى جبال عاصيه * وأماكن وعرة متقاصيه * فكان يخرج هو و جماعته * ومن شملته طاعته * و يترك على فم المضائق * من هو به واثق * ثم يشن على عساكر تيمور الغارات * ويدرك فيهم للمسلمين الثارات * و يقتطع من حواشيهم * وما يمكنه من مواشيهم * ثم يرجع الى أوكاره * بما قضى من أوطاره * ولم يزل على ذلك الثبات فى

حياة تيمور وبعد ان مات * الى أن أدركته الوفاة ففات * وأما أمة التركمانى فانه كان من تراكمة قراباغ * وله ابنان قد وضع كل منهما على قلب تيمور أى داغ * وكانت الحروب والنزال * بينهم وبين أميران شاه وعساكر الجغتاى لا تزال * وافنوا من جماعتهم عددا لا يحصى * وجانبافات الاستقصا * الى ان غدر واحد من المنتسبين اليهم * فطلب غرتهم ودل عسكر أميران شاه عليهم * فبيتوهم ليلا * وأراقوا من دمهم سيلا * فاستشهد الثلاثة فى سبيل الله * رحمهم الله * قلت شعر

وأصعب فتنة تشميت الاعدا * وأنكى منه تخذيل الموالى

وقيل شعر

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند

وقيل شعر

اذا كان هذا بالاقارب فعلكم * فماذا الذى أبقيتم للاباعد

* (ذكر توجه تيمور الى عراق العجم وخوض شاه منصور غمار ذلك البحر الخضم) *

ولما توفى شاه شجاع * ووقع بين أهله كامر نزاع * واستقر امر عراق العجم على شاه منصور * وخلصت ممالك مازندران وولايتها لتيمور * وكان شاه شجاع قد أوصى الى تيمور بولده زين العابدين كما ذكر ووكل أمره اليه * وجد تيمور على شاه منصور طريقا بما فعله من ابن عمه زين العابدين فاحتج بذلك ومشى عليه * فاستمد شاه منصور أقاربه * فكلهم صار محاربه * وعاد مجاذبه ومجانبه * واقام كل منهم يحفظ جانبه * فتهيأ لملاقاته وحده * بنحو ألفى فارس كاملى العدة * بعد ان حصن المدينة * وحوطها بالاهبة المكينة * ورتب خيلها ورجلها * وحرض على التصبر والتربص اهلها * فقال له أكابر اعيانها * والرؤس من سكانها * كانا بك فى المقتحم * وسدا الحرب قد التحم * وقد منعناه من الوصول الينا * ودافعناه عن الهجوم علينا * وربما جندلنا له رجالا * وابطلنا من عسكره ابطالا * ثم بماذا تصنع انت بألفى راكب * مع هذا الغمام المتراكم المتراكب * وربما يحل عقدك * او يفل جندك * فلا ترى لنفسك فى الهيجاء * الا طلب الخلاص والنجاء * وتتركنا كلحم على وضم * بعد ان زلت بنا معهم القدم *

ولا

ولا ينفعنا بعد تأكيد العداوة الندم * ولا يجبر منا اذ ذاك هذا الكسر * الا بالقتل والنهب والاسر * فوضع يده على دبوسه شاه منصور * وقال هذا الالف في الكاف السادسة من أم من يفر من تيمور * أما أنا فاقاتل وجندي * فان خذلني جندي قاتلت وحدي وبذلت في ذلك جدي وجهدي * وعاندت عليه وكدي وكدي * فان نصرت نلت قصدي * وان قتلت فلا على ممن بقي بعدي * وكاني أنا كنت الحاضر * والخاطر في خاطر الشاعر حين قال

اذا هم ألقى بين عينيه عزمة * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وقيل ان شاه منصور فرق رجاله على قلاعه * وأراد بذلك حفظ مدنه فضاع في ضياعه * ثم جمع رؤساء شيراز وأجنادها * وأفلاذ كبدها وأولادها * وقال ان هذا عدو ثقيل * وهو وان كان خارجيا فهو في بلادنا دخيل * فالرأي أني لا أنحصر معه في مكان * ولا أقابله بضرب أو طعان * بل أنتقل في الجوانب * وأتسلط أنا ورعاياي عليه من كل جانب * فنصفع أكتافهم * ونقطع أطرافهم * ونواظبه بالنهار ونراقبه بالليل * ونعد له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل * وكلما وجدنا منه غره * كسرنا منه القفا والغره * فتارة ننطحه * وأخرى نرمحه * وكرة نجدحه ومرة نجرحه * ونسلبه الهجوع * ونمنعه الرجوع * فتشتد عليه المضائق * وتنسد عليه الطرق والطرائق * غير أن القصد منكم يا أحرار * ويا نمور القفار * ونسور النفار * أن تحتفظوا بضبط الاسوار * ولا تغفلوا عنها آناء الليل وأطراف النهار * فاني مادمت بعيدا عنكم لا يدنو أحد منهم منكم * وان حاصر وكم ففيكم كفايه * واستودعكم الله وهو نعم الوقايه * وغاية ما تكونون في هذه البوسا * مقدار ما واعد الله تعالى نبيه موسى * ولله هذا الرأي ما كان امتنه * ووجه هذا القصد ما كان احسنه * ثم انه خرج ذاهبا * وقصد جانبا *

(ذكر دقيقة قصدت فخلت ونقضت ما ابرمه شاه منصور من عقد حين حلت)

فبينما هو عند باب المدينة جائز * نظرته سعلات من مشومات العجائز * فبدرته بالملام * وآذته بالكلام * ونادت بلسان الاعجام * انظروا الى هذا تركش بحرام * رعى اموالنا وتحكم في دمائنا * وفارقنا احوج ما نحن اليه في مخاليب اعدائنا * جعل الله حل

السلاح عليه حراما * ولا انجح له قصدا ولا اسعف له مراما * فقدحت زناده * وجرحت فؤاده * وتأججت نيران غضبه * واحرق اكداس تدبره شواظ لهبه * وثارت نفسه الابيه * واخذته حمية الجاهليه * حتى ذهب لب ذلك الرجل الحازم * وغلط فامسى وهو لغلطه ملازم * فثنى عنان عزمه * وكر اسنان ازمه * واقسم لا يبرح عن المقاومه * ولا يرجع فى مجلس قضاء الحرب عن ملازمة المصادمه * ويجعل ذلك دأبه صباحا ومساء وعشاء * الى ان يعطى الله النصر لمن يشاء * ثم قابل * ورتب ابطاله وقاتل * وكان فى عسكر شاه منصور * امير خراسانى مباطن لتيمور * يدعى محمد بن زين الدين * من الفجرة المعتدين * وجل العساكر كان معه * فسار الى تيمور وا كثر الجند تبعه * فلم يبق منهم الادون الالف * فما فر واحد منهم من الزحف * فثبت شاه منصور * بعد ان تضعضعت منه الامور * فلم تزل نيران الهيجاء تتقطع * وزناد الحرب تورى اذ تنقدح * وشرار السهام تتطاير * وثمار الرؤس بمناجل السيوف تقطف فتتناثر * حتى اقبل جيش الليل * وشمر للهزيمة جند النهار الذيل * فتراجع كل منهم الى وكره * واعمل شاه منصور فكره فى مكره *

※(ذكر ما نقل عن شاه منصور مما وقع بعسكر تيمور من الحرب والويل تحت جنح الليل)※

فعمد الى فرس جفول * من بين الخيول * اجمح من دهر رمح * وارمح من عمر جمح * واتى بها عسكر العدو * وقد اخذ الليل فى الهدو * ثم ربط فى ذنبها قدرا من النحاس * ملفوفة فى قطعة بلاس * وشدها شدة احكم وثاقها * وصوب رأسها نحو العدو وساقها * فجالت الفرس فى العسكر واضطربت * واختبطت الناس واحتربت وانسابت جداول السيوف فى بطون تلك النحور وانسربت * حتى كأن الساعة اقتربت * او السماء عليهم بالشهب انقلبت * والارض بهم اهتزت وربت * وشاه منصور واقف حواليهم * كالبازى المطل عليهم * يقتل من شذ * ويبيد من ند * وصار واكما قيل شعر

اللیل داج والكباش تنتطح ※ نطاح جذما أراها تصطلح
فقائم وقاعد ومنبطح ※ فمن نجا برأسه فقد ربح

قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فنى نحو من عشرة آلاف نفس * فلما قوض الليل خيامه *

ورفع

ورفع النهار أعلامه * علموا البلاء كيف دهاهم * وليت الليل لم يكن فارق ذراهم * ثم ان شاه منصور أصبح وقد قل ناصره * وفل موازره * فانتخب من جماعته فئة * نحوا من خمسمائه * فجعل يصول بهم صولة الاسد * ويخوض بهم غمار الموت فلا يلوى امامهم أحد على أحد * ويميل يسرة ويمنة ويتسب * ويصيح أنا شاه منصور الصابر المحتسب * فتراهم بين يديه حمرا مستنفره * فرت من قسوره * وقصد مكانا فيه تيمور فهرب منه ودخل بين النساء * واختفى بينهن وغطى بكساء * فبادرنه وقلن نحن حرم * واشرن الى طائفة من العسكر المصطدم * وقلن هناك بغيتك * وبين أولئك طلبتك * فألوى راجعا * وتركهن مخادعا * وقصد حيث أشرن اليه * وقد أحاطت به جموع العساكر وحلقت عليه * قلت بديها شعر

وماحز أعناق الرجال سوى النسا * وأى بلاء ماله ن به أبلى
وكم نار شر أحرقت كبد الورى * ولم يك الا مكرهن لها أصلا

وكان على فرس فاقت خصالا * فضرب فيهم بسيفين يمينا وشمالا * وفرسه السبوح كانت تقاتل معه * وتصدم وتكدم من يقرب منها في تلك المعمعه * وكانه ينشد معنى ما قلته في مرآة الادب شعر

يد الله قوتني فغلت يداهم * وهذى يدى فيهم بسيفين تضرب

فصار كلما قصد رعلة من تلك الرعال * افترقت أمامه يمينا وشمالا وان كانوا كلهم من أهل الشمال * ولكن شعر

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

حتى أنهكته الحرب * وكلت يداه من الطعن والضرب * وجندلت أبطاله وقتلت خيله ورجاله * وتغيرت من كل جهة أحواله * وسدت طرائقه * وشدت مضائقه * وخرست شقائقه * وضرست فيالقه * وخمدت بوارقه * وهمدت بيادقه * وحص نجاحه * وقص جناحه * وخف مراحه * وأثقلته جراحه * وسكتت همهمته * وسكنت غمغمته * فانفرد عن أصحابه * وقد آذاه الجراح وأودى به * ولم يبق معه في ذلك البحر * سوى نفرين أحدهما يدعى توكل والآخر مهتر نفر * وأخذه الدهش * وغلب عليه العطش * ونشف الرهج والوهج كبده * وطلب شربة ماء فما وجده * ولو وجد ما يبل به ريقه * لما قدر أحد ان يقطع عليه طريقه * فرأى الاولى * ان يطرح نفسه بين القتلى * فاطرح بينهم

نفسه * ورمى أهبته وسيب فرسه * وقتل توكل ونجا فخر الدين * وبه من الجراح نحو من سبعين * وعمر بعد ذلك حتى بلغ تسعين * وكان من الابطال والمصارعين * فتراجع جيش تيمور وتضام * وانتعش بعد أن بلغ موارد الحمام * وذلك بعد ان قتل منهم ما لا يعدّ * وأفنى ليلا ونهارا ما لا يحصى ولا يحدّ * وطفق تيمور فى القلق * والضجر والارق * لفقد شاه منصور * وعدم الوقوف على حال ذلك الاسد الهصور * أهو فى الاحياء فيخشى فكره * أم انتقل الى دار الفناء فيؤمن مكره * فأمر بتفتيش الجرحى * والتنقيب عنه بين القتلى والطرحى * الى ان كادت الشمس تتوارى بالحجاب * ويغمد حسام الضياء من الظلام فى قراب * فعند ما ضم دينار البيضاء * تحت ذيل ملاءة الضياء * ومدّ نساج القدرة فى جوّ الفضاء سدا * والليل اذا سجى * ونثر على سطح هذا الاديم المسا * دراهم كواكبه الزهراء * واتسع الظلام واتسق * عثر واحد من الجغتاى على شاه منصور وبه أدنى رمق * فتشبث شاه منصور بذلك الانسان * بل الشيطان الخوان * وناداه الامان الامان * أنا شاه منصور * فأكتم عنى هذه الامور * وخذ منى هذه الجواهر * وخافت فى قضيتى ولا تجاهر * وكانى لا رأيتك ولا رأيتنى * ولا عرفتك ولا عرفتنى * وان أخفيت مكانى * ونقلتنى الى اخوانى وأعوانى * كنت كمن أعتقنى بعد ما اشترانى * ومن بعد ما أماتنى أحيانى * وكنت ترى مكافاتى * وتغنم مصافاتى * ثم أخرج له من الجواهر * ما يكفيه وذريته الى اليوم الآخر * فكان فى قصته واستكشاف غصته * كالمستغيث بعمرو عند كربته * فما عتم أن وثب على شاه منصور * وحزّ رأسه وأتى به الى تيمور * وحكى له ما جرى بتجيز المشترى فما صدّقه * ولا فى كلامه استوثقه * بل أخرج من قبائله وشعوبه * من عرّفه به * فعرفوه بشامه * كانت على وجهه علامه * فلما علم أنه شاه منصور بعينه * وتميز له صدق ذلك الرجل من مينه * تحنق وتحيف * وتحرّق لقتل شاه منصور وتأسف * ثم سأل ذلك الرجل عن محتده * وعن والده وولده * وعن قبيلته وذويه * ومخدومه ومربيه * فلما استوضح أخباره * وعلم نجاره وجاره * أرسل موسومه الى متولى تلك الداره * فقتل أهله وأولاده * وأعوانه وأنصاره * وآله وأحفاده * وأختانه وأصهاره * وقتله شرقتله ومحا آثاره * وصادر مخدومه وقتله وخرب دياره * ثم أرسل الى أطراف ممالكه مطالعات * يذكر فيها صورة تلك المصافات والمواقعات * وما شاهد من وثبات شاه منصور وثباته * وغشيانه غمرات الحرب وضرباته * وما حصل فى واقعة القتال

على

على الحديد في صف مراسلاته * وكيف زلزلت العاديات وولولت النساء في فتح حجراته * بعبارات هائله * وكلمات في ميادين الفصاحة والبلاغة جائله * وهذه المطالعات تقرأ في المحافل والمشاهد * وتتلى في المصادر والموارد * ويستمدّ منها ذووا الآداب * ويعتنى بحفظها الكتّاب والصبيان في الكتّاب * (رأيت) في أخبار بعض المعتنين * انه في شوال سنة خمس وتسعين * ورد رسول صاحب بسطام * يؤذن سلطان مصر بالاعلام * ان تيمور * قتل شاه منصور * وانه تولى على شيراز وسائر البلاد * وأرسل رأسه الى حاكم بغداد * وأمره بالطاعه * هو ومن معه من الجماعه * وأرسل اليه خلعه * وأن يضرب السكة باسمه ويخطب بذلك في الجمعه * فلبس خلعته وائتمر * ممتثلا كلما به أمر * وانه علق رأس شاه منصور * بعدما طافوا به على السور * وما أظن لذلك صحة

(ذكر ما وقع من الامور والشرور بعد واقعة شاه منصور)

فاستولى تيمور على ممالك فارس وأرض عراق العجم * وأرسل من داناه من أقارب شاه شجاع وملوك الامم * واستمال الخواطر * وأمن البادى والحاضر * ورحل فجاز مدينة شيراز * وضبط أحوالها * وقرّر فيها خيلها ورجالها * ونادى بالامان * للقاصى والدان * فلبت دعوته ملوك البلاد * ولم يسعهم معه الا الاطاعة والانقياد * فوصل اليه سلطان أحمد من كرمان * وشاه يحيى من يزد وعصى سلطان أبو اسحاق في شيرجان * فأنعم وخلع على من أطاعه وانقاد * ولم يتعرّض لمن أظهر العناد * ولم يشق بينه و بين مخالفيه العصا * وأكرم من أطاعه ليوقع بذلك من عصى * وطرح على شيراز وسائر البلدان بالامان * وأقام في كل بلدة من جهته نائبا وتوجه الى اصبهان * وأحسن الى زين العابدين الذى هو وصيه من أبيه * ووظف له من الجوامك والادرارات ما يكفيه وذويه *

(ذكر ما صنع الزمان عند حلوله باصبهان)

فلما وصل الى اصبهان * وكانت من أكبر البلدان * مملوءة بالافاضل * محشوة

بالاماثل * وبها شخص من علماء الاسلام * والسادة الاعلام * قد بلغ فى العلم الغايه * وفى العمل والاجتهاد النهايه * أفعاله مبروره * وكراماته مشهوره * ومآثره مذكوره * ومحاسنه على جبهة الايام مسطوره * وهو معتقد المسلمين * وكان اسمه امام الدين * وكان أهل اصبهان يذكرون له تيمور * ويحذرون من شره أى محذور * فيقول لهم مادمت فيكم حيا * لا يضركم كيده شيا * فان وافانى الاجل * فكونوا من أذاه على وجل * اتفق انه فى وصول تيمور * توفى الشيخ المذكور * فأصبحت اصبهان ظلمات بعضها فوق بعض بعدان كانت نورا على نور * فتضاعفت حسرتهم * وترادفت كسرتهم * فوقعوا فى الحيره * وصاروا كابى هريره * رضى الله عنه حيث يقول

للناس هم ولى فى اليوم همان ❋ فقد الجراب وقتل الشيخ عثمان

فخرجوا اليه وصالحوه على حمل أموال * فأرسل اليهم لاستخلاصها الرجال * فوزعوها على الجهات * وفرضوها على الحارات والمحلات * وتفرق فيهم المستخلصون * فكانوا يعيثون فيهم ويعبثون * واستطالوا عليهم فجعلوهم كالخدم * وتوصلوا الى ان مدوا أيديهم الى الحرم * فانتكوا منهم أى نكايه * فرفع أهل اصبهان الى رئيسهم الشكايه * وكثرت منهم الشكيه * وهم قوم لهم حميه * وقالوا الموت على هذه الحاله * خير من الحياة مع هذه الاستطاله * فقال لهم رئيسهم اذا أقبل المساء * فانى أضرب الطبل لكن لا تحت كساء * فاذا سمعتم الطبل قد دق * فالقول قد حق * فليقبض كل منكم على نزيله * وليحتكم فيه بسمين رأيه وهزيله ❋ فاتفقوا على هذا الرأى المعكوس * والامر المنكوس فى الطالع المنحوس * وقصروا أيدى انظارهم السقيمة * عن قصارى هذه الامور الوخيمه * ولما تعرى العنان من ثوب نوره * وأبدل الجوارقه بسموره * ومضى هزيع من الليل * ضرب الرئيس الطبل فحل بالمستخلصين الويل * فقتلوهم وكانوا نحوا من ستة آلاف * فأصبحوا وقد غرسوا فى دوح العصيان أغصان الخلاف * فاثمر ذلك لهم الحور بعد الكور * وبان لهم البور فاصبحوا بورا بهذا البور * ولما سل الفجر حسامه * وحسر النهار لثامه * بلغ تيمور ذلك الصنع المشؤم * فنفخ الشيطان منه فى الخيشوم * فارتحل من فوره * واستل عضب غضبه ونثل جعبة جوره * وتوجه الى المدينة مزمجرا * متكلبا متأسدا متنمرا * فوصل اليها * وأخنى عليها * وأمر بالدماء أن تسفك * وبالحرمات أن تهتك * وبالارواح أن تسلب * وبالاموال أن تنهب * وبالعمارات أن

تخرب * وبالزروع أن تحرق * وبالضروع أن تخرق * وبالاطفال أن تطرح * وبالاجساد أن تجرح * وبالاعراض أن تثلم * وبالذمم أن تثلم ولا تسلم * وان يطوى بساط الرحمه * وينشر مسح النقمه * فلا يرحم كبير لكبره * ولا صغير لصغره * ولا يوقر عالم لعلمه * ولا ذو أدب لفضله وحلمه * ولا شريف لنسبه * ولا منيف لحسبه * ولا غريب لغربته * ولا قريب لقرابته وقربته * ولا مسلم لاسلامه * ولا ذمي لذمامه * ولا ضعيف لضعفه * ولا جاهل لركاكة رأيه وسخفه * وبالجملة فلا يبقى على أحد * ممن هو داخل البلد * وأما أهل المدينة فعلموا انه ليس للجدال مجال * فضلا عن ضراب وقتال * وأن قبول الاعذار محال * وانه ليس ينجيهم من ريب المنون * مال ولا بنون * ولا يقبل منهم في تلك الساعه * ولا ينفعهم عدل ولا شفاعه * فتحصنوا بحصون الاصطبار * وتدرعوا دروع الاعتبار * وتلقوا سهام القضاء من حنايا المنايا بمجن تسليم المراد * واستقبلوا ضربات القدر من سيوف الحتوف باعناق التفويض والانقياد * فاطلق في ميادين رقابهم عنان الحسام البتار * وجعل مقابرهم بطون الذئاب والضباع وحواصل الاطيار * ولا زالت عواصف الفناء تحتهم من أشجار الوجود حتى * حصر واعدد القتلى فكان نحو ست مرار من أمة يونس بن متى * فاستغاث بعض العمراء * بواحد من رؤس الامراء * وقال التقية في البقيه * والرعاية في الرعيه * فقال ذلك الامير * للسائل الفقير * أجمعوا بعض الاطفال عند بعض القلال * فلعل أن يلين منه عند رؤيتهم شيئا ما عسى ولعل * فامتثلوا ما به أمر * ووضعوا شرذمة من الاطفال منه على الممر * ثم ركب ذلك الامير مع تيمور وأخذ به على تلك الاطفال ومر * ثم قال انظر يا مخدوم * نظر الراحم الى المرحوم * فقال ما هؤلاء * الطرحاء الاشقياء * فقال أطفال معصومون * وأمة مرحومون ومحرومون ✻ استحر القتل بوالديهم * وحز غضب مولانا الامير على أكابرهم وذويهم * وهم يسترحمون بعواطفك الملوكية وصغرهم * ويستشفعون اليك بذلهم وضعفهم ويتمهم وفقرهم وكسرهم * ان ترحم ذلهم * وتبقي على من بقي لهم * فلم يحر جوابا * ولا أبدى خطابا * ثم مال بعنان فرسه عليهم * ولم يظهر انه بصر بهم ولا نظر اليهم * ومالت معه تلك الجنود والعساكر * حتى أتى منهم على الاول والآخر * فجعلهم طعمة للسنابك * ودقة تحت أقدام أولئك * ثم جمع الاموال * وأوسق الاحمال * ومال راجعا الى سمرقند بما قد نال * وكم بين هذه الامور والقضايا * من دواه وبلايا *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

﴿ذكر عود ذلك الافعوان الى ممالك فارس وخراسان وفتكه بملوك عراق العجم﴾
(واستصفائه تلك الولايات والامم)

ثم عاد * بعد تمهيد البلاد * وتوطيد قواعد ممالك تركستان * الى بلاد خراسان * فاستقبله الملوك والامراء * والسلاطين والوزراء * وسارعوا اليه من كل جانب * ما بين راجل وراكب * ملبين دعوته * حاذرين سطوته * مغتنمين خدمته * وسلموه الانجاد والاغوار * والاطواد والقفار * والقرى وسكانها * والذرى وقطانها * والقلاع العاصيه * وربطوا بذيل أمره كل ناصيه * ممتثلى أوامره * مجتنبى زواجره * عاقدى نطاق عبوديته بأنامل الاخلاص * تابعى رائد مرضاته على نجائب الولاء والاختصاص * فنهم جميع من مرّ ذكره من المطيعين * ومن كانوا فى الشواهق ممتنعين منيعين * ومن جملتهم اسكندر الجلابى أحد ملوك مازندران * وارشيوند الفارسكو وهى ذلك الاسد الغضبان * صاحب الجبال * الشوامخ العاصية القلال * وابراهيم القمى صاحب النجده * والمعدّ لكل شدّه * وأطاعه السلطان أبو اسحاق من شيرجان * فاجتمع عنده من ملوك عراق العجم سبعة عشر نفرا ما بين سلطان وابن سلطان وابن أخى سلطان * كلهم فى ممالكه ملك مطاع * مثل سلطان أحمد أخى شاه شجاع * وشاه يحيى بن أخى شاه شجاع سوى ملوك مازندران * وسوى أرشيوند وابراهيم وملوك خراسان * ولما سلك السلطان أبو اسحاق نمط أقاربه فى الطاعة وعمل على ذلك الطرز * خلف ببلده شيرجان نائبا يقال له كودرز * فاتفق فى بعض الايام * انه اجتمع عند تيمور هؤلاء الملوك العظام * فكانوا عنده * فى خيمة له وهو بينهم وحده * فأشار واحد منهم الى شاه يحيى وقد أمكنت الفرصه * أن يقتله ويرفع عن العالم هذه الغصه * فأجابه بعض وامتنع بعض * وقال لمن رضى بذلك من لم يرض * ان لم تكفوا * وعن هذا المقال تعفوا * أخبرته بهذا المقاله * واطلعته على هذه الحاله * فامتنعوا عن هذا الراى المتين والفكر الرصين * لاختلافهم ولا يزالون مختلفين * وكأنه طالع احوالهم او تفرس اقوالهم * فأسرها فى نفسه ولم يبدها لهم * ثم مكث اياما * وجلس للناس جلوسا عاما * وقد لبث ثيابا حمرا * ودعا هؤلاء الملوك السبعة عشر طرّا * ثم امر فقتلوا جميعا فى ساعة واحدة صبرا * ثم لما بادهم * ضبط بلادهم * وجمع طريفهم وتلادهم * وقتل اولادهم وأحفادهم * واقام فى ممالكهم اولاده *

وامراءه واحفاده واسباطه واجناده * وسبب قتله هؤلاء الملوك وفتكه * وتمزيقه ستر
حياتهم وهتكه * ان بلاد العجم كانت لا تخلو عن الملوك الاكابر * ومن ورث الملك
والسلطنة كابرا عن كابر * وهي ممالك واسعه * اطرافها شاسعه * مدنها وافره *
وقراها متكاثره * واوتادها وتادها راسخه * وعرانين اطوادها شامخه * ومخدرات
قلاعها ناشزه * ومضمرات مكامنها ومعادنها غير بارزه * وكواسرا كاسرها كاسره *
ونواشر جوارحها للظهور ناشره * ونور دعارها طامره * وبور شطارها طافره * وثعابين
ابطالها في جداول الجدال ظاهره * وتماسيح اقيالها في بحار الضراب قاهره * فنظر
تيمور بعين بصيرته * في وذيلة تأمله ومرآة فكرته * فرأى أنه لا يزكوله وردعارضها
من شوكة عارض * ولا يصفو ورد ثغرفائضها من شارب معارض * ولا يثبت له في بنيان
ممالكها أساس محكم * ولا ينبت له في بستان ممالكها غراس ينعم * وكان قصده ابقاء
مبانيها * واجراء أموره على ما اقتضته التوراة الجنكيزخانية فيها * فلم يمكن عمل فلاحة
لسلطنته في بسيط أرضها * وسوق أنهار أوامره في ضرائب ممالكها طولها وعرضها *
الا بقلع علائق انساب أكابرها * وكسر قوادم أخشاب أحساب أكاسرها * فسعى في
استيصال فرعهم وأصلهم * واجتهد في اهلاك حرثهم ونسلهم * وجعل لا يسمع لهم ببزرة
نطفة في أرض رحم الا قلعها * ولا يشم منهم رائحة زهرة في كم كمين الا قطعها * وقيل انه
كان في مجلس فيه اسكندر الجلابي وكانه كان مجلس نشاط * ومقام انشراح وانبساط *
فسأل اسكندر * في ذلك المحضر * وقال ان حكم القضاء بافساد بنيتي * من تراه يتعرض
لاولادي وذريتي * فأجابه وهو في حالة الشطح * وقد حلت عليه دماغه ووضع سراج
العقل منها فوق السطح * أول من ينازع أولادك المشائيم * أنا وارشيوند وابراهيم *
فان نجا من مخاليبي منهم أحد * فانه لا يخلص من أنياب ابراهيم الاسد * وان افلت أحد
منهم من ذلك البند * فانه لا مخرج له من شراك أرشيوند * وكان أرشيوند وابراهيم
غائبين * فلم يتعرض تيمور لاسكندر بضر روشين * واراد بالابقاء عليه * وقوعه
مع صاحبيه * فلما افاق اسكندر ليم على ما قال * فقال لا مفر من قضاء الله ولا محال *
ولا عتب في ذلك علي * انطقني بذلك الله الذي انطق كل شي * ثم ان اسكندر
وابراهيم هربا * فقبض على ارشيوند والقاه في النازعات فصار نبا * وهتك حريم
عمرو اذ جرعه اول الرعد واقرأه آخر نوح وسبا * ثم ان اسكندر لم يرله اثر * ولا سمع عنه

الى

[illegible]

اتلافهما * والحاقهما بأسلافهما * ولم يكتف من تلك الدرة بأنها صارت يتيمه * ولا رق لامهما التى خربت ديارها لكونها مخدّرة كريمه * ولم يكن لها مدافع * ولا عنها ممانع * فطلب من الجلادين من يعتمد فى ذلك عليه * فلم تطب نفس أحد أن تمتدّ يده بكروه اليه * ومضى على ذلك مدّه * والخلق بسبب هذه القضية فى ضيق وشدّه * حتى وجدوا عبدا أسود * كانه للبلاء مرصد * وكأن الشياطين له عبده * والعفاريت له جنود وحفده * وثوب ليل القهر من سدا سواده انتسج * وأصل الشجرة التى طلعها كانه رؤس الشياطين من حبة فؤاده نبت فنتج * يستلذ عند صدى صوته خوار الثيران * ويستحسن عند خيال صورته مشاهدة الغيلان * قلت شعر

زبانية النيران تكره وجهه * وحين تراه تستعيذ جهنم

قد نزع الله من قلبه المرحمه * وجبل فؤاده على المأثمه * فارغبوه فى أن يختلهما * ويقتلهما * وكانت عين سليمان خان رمدا * وقد سكن فى حجر داياته وتهدّا * فدخل عليه ذلك الظالم من ساعته * واغتاله وهو راقد فى حجر داياته * فضربه فى جنبه بخنجر * أنفذه من الجنب الآخر * فارتفع الضجيج والولوله * ووقع العجيج فى الناس والزلزله * وعم المأتم أمه الوالهة وأهلها * وطفق الناس يبكون عليها وولها * والظاهران هذه الامور * كانت باشارة تيمور * وعسكر ذلك الظلوم الكفار * ما كان يخلو عن مثل هذه الشرور والاشرار * ولو كان فاعله من غيرهم * لكن لعلة المصاحبة والمرافقة كان يسير بسيرهم *

(حكاية)

لما ارتحل من الشام بجنوده الغزيره * كان مع واحد منهم أسيره * قد كشفت أيدى النوائب قناع عصمتها ولطمتها * وعلى يدها بنت لها رضيع ففطمتها * فلما قربوا الى حماه * جعلت البنت تئن أنين الاوّاه * ولما بها من المضض المنكى * تتنكد وتبكى * ومعهم جمال من بغداد * منطوعلى الفساد * محتوعلى النكاد * مجبول على الغلاظة والقساوه * معمول من الفظاظة والغباوه * ممتلئ من البذا * متضلع من الاذى * لم يخلق الله تعالى فى قلبه من الرحمة شيئا فينتزع * ولم يودع لسانه لفظا من الخير فيستمع * فأخذ تلك

البنت من أمها * فدار فى وهمها انه انما أخذها ليخفف عنها من همها * وكانت راكبة على جمل * ثم انقطع ساعة عن الثقل * ثم وصل ويده خاليه * وقهقهته عاليه * فاستكشفت أمها حالها * فقال مالى ومالها * فهوى عقلها ووهى * فطرحت نفسها وتحت نحوها * فأخذتها وانقلبت * وأتت بها وركبت * فتناولها منها مرة أخرى * على أن لا يسومها ضرا * ثم غاب عنها ورجع * وقد صنع كما صنع * فألقت نفسها ثانيه * وعدت اليها ثانيه * وجاءت وهى عانيه * وقطوف حتوفها دانيه * فركبت وأخذتها * ووضعتها على كبدها * التى منها فلذتها * فأخذها منها مرة ثالثه * بنية فى الفساد عابثه * وحلف لها يمينا حانثه * انه يحملها وينوء * ولا يمسها بسوء * فحملها ساعه * ثم خرج عن سنة الجماعه * ورمى بها فى بعض البطاح * ومثل بها ما فعله اليهودى بصاحبة الاوضاح * وجاء ويده الدامغه * بالاثم ملآى ومن البنت فارغه * وقد سلبها سلبها * وجلب الى أمها اجلها * فاطرحت نفسها باكيه * ورامت الرجعى جاريه * فقال لها لا تتعبى * كفيتك همها فارجعى واركبى * فبكت وصاحت * وأنت وناحت * ووقعت فى العناء وان كانت استراحت * والناس على دين ملوكهم * سالكون طرائق سلوكهم *

(سبب دخوله الى عراق العرب وان كان ابداؤه لا يحتاج الى علة وسبب)

ولما خلص لتيمور جميع ممالك العجم * ودانت له الملوك والامم * وانتهت مراسيمه الى حدود عراق العرب * غضب السلطان أحمد صاحب بغداد واضطرب * فجهز جيشا عرمرما * وجعل رئيسهم أميرا مقداما مقدما * يدعى سنتائى * فتوجه الجيش نحو الجغتائى * فبلغ تيمور خبر الجيش وخبره * فسر بذلك قلبه وانشرح صدره * فجعل ذلك سببا لمهاوشته * وذريعة لمحاربة ملك العراق ومناوشته * وأنفذ جيشا كرارا * بل بحرا زخارا * فتلاقيا بصدق نيه * على مدينة سلطانيه * فصدق كل منهما صاحبه الضرب * وسدد لنحره السنة الاسنة ومهام الحرب * واستمد بحر الجغتائى من أفواج أمواجه واصطدم * فانكسر فى قساطله قنيات جند سنتائى فانهزم * ووصل كلهم الى بغداد * وتشتتوا فى البلاد * فألبس السلطان أحمد سنتائى المقنعه * وأشهره فى

بغداد بعد أن ضربه وأوجعه * وكف تيمور عن عناده * وقفل متوجها الى بلاده *

※(ذكر سكون ذلك الزعزع الثائر وهدو ذلك البحر المائر لتطمئن منه الاطراف)※
(فيحطمها كما يريد ويدير بها الدوائر)

ثم ان تيمور خرج من سمرقند الى ضواحيها * وجعل ينتقل فى جوانبها ونواحيها *
و بنى حواليها قصبات * سماهن بأسماء كبار المدن والامهات * وقد صفت له سمرقند
وولاياتها * وممالك ماوراء النهر وجهاتها * وتركستان ومافيها من البلاد * ونائبها
من جهته يدعى خدايداد * وخوارزم التى بها فتك وسطا * وكاشغر وهى فى بحر ممالك
الخطا * و بلخشان وهى ممالك على حده * عن ممالك سمرقند متباعده * وأقاليم
خراسان * وغالب ممالك مازندران * ورستمدار وزاولستان وطبرستان * والرى
وغزنة واستراباد * وسلطانية وسائر تلك البلاد * وجبال الغور المنيعه * وعراق
العجم وفارس الشامخة الرفيعه * وكل ذلك من غير منازع * ولا مجادل ولا ممانع * وله
فى كل مملكة من هذه الممالك ولد * أوولد ولد أونائب معتمد *

※(نموذج مما كان يغور ذلك الظلوم الكفور من عساكره فى بحور ويغوص)※
(على أمور ثم يفور بشرور ومن جملة ذلك غوصه مما وراء النهر)
(وخروجه من بلاد اللور)

ثم انه مع اتساع مملكته * وانتشار هيبته وصولته * وشيوع أراجيفه فى الاقطار *
و بلوغ تخاويفه الاقاليم والامصار * وثقل أثقاله * وعدم اختفاء توجهه الى جهة
وانتقاله * كان يجرى فى جسد العالم * مجرى الشيطان من ابن آدم * ويدب فى
البلاد * دبيب السم فى الاجساد * قلت شعر

يصوب يمنة ويصيب يسره ※ وينوى جهة والقصد نثره

بينما يكون له فى المشارق بيارق فيالق * اذلمع له فى الغرب بوارق بوائق * و بينما نغمات
طبوله وضربات أعواده تقرع فى حصار العراق واصبهان وشيراز * واذا برنات أوتاره

وبوقات أبواقه تسمع في مخالف الروم ومقام الرهاوي وركب الحجاز * فمن ذلك انه مكث
في سمرقند مشغولا بانشاء البساتين وعمارة القصور * وقد أمنت منه البلاد واطمأنت
الثغور * فلما انتهت أموره * وبلغ الكمال قصوره * أمر بجمع جنده * الى سمرقنده *
ثم أمرهم أن يصنعوا لهم قلانس ابتدعها * وعلى صورة من التركيب والتضريب
اخترعها * فيلبسونها ويسيرون * ومابين الى أين يصيرون * ليكون ذلك لهم شعارا *
وقد كان أرصد له في كل جهة من ممالكه جشارا * ثم رحل عن سمرقند * وأشاع انه
قاصد خجند * وبلاد الترك وجند * ثم انه اندمس * في دردور عسكره وانغمس * كانه في
لجة بحر انغمس * ولم يشعر أحد أين عطف * ولا أنى قصد المختطف * ولا زال في تأويب
وإسآد * وجوب بلاد بعد بلاد * يجري جري الراكب * ويسير سير الكواكب *
ويطرح كلما وقف من نجائب الجنائب * حتى نبغ من بلاد اللور * ولم يكن لاحد به
شعور * وهي بلاد عامره * خيراتها متكاثره * وفواكهها وافره * اسم قلعتها بروجرد
وحاكمها عز الدين العباسي * وقلعتها وان كانت في الحضيض لكن كانت تسامي بمناعتها
حصون الجبال الرواسي * وهي مجاورة همذان * ومناظرة عراق العرب كاذربيجان *
فأحاط بالقلعة وما حواليها * وحاصر ملكها المتولي عليها * ولما كان صاحبها بلا عدد *
ولا عدد ولا أهبة ولا مدد * وكان في صورة المتوكل المحتسب * وأتاه البلاء من حيث
لا يحتسب * لم يسعه الا طلب الامان * والانقياد له والاذعان * فنزل اليه وسلمه قياده *
فقبض عليه وضبط بلاده * ثم أرسله الى سمرقند وحبسه * وضيق عليه نفسه ونفسه *
ثم بعد ذلك بمدة حلفه ورفع عنه ما نابه * وصالحه على جمل من الخيل والبغال ورده الى
بلاده واستنابه * ولما استخلص ذلك الكفور * ولايات تلك الكفور * وأصل السير
الى همذان * في أقرب زمان * فوصل اليها وأهلها غافلون * فجاءها البأس بياتا
أو وهم قائلون * فخرج اليه منها رجل شريف يقال له مجتبى * وكان عند الملوك مصطفى
ولديهم مرتضى * فشفع فيهم فشفعه على أن يبذلوا مال الامان * ويشتروا بأموالهم ما منّ
عليهم به من الارواح والابدان * فامتثلوا أمره وفعلوا * ووزعوا ذلك فجمعوه والى
خزائنه نقلوا * فدعته نفسه الجانيه * أن طرح عليهم المال مرة ثانيه * فخرج اليه
ذلك الرجل الجليل * ووقف في مقام الشفاعة مقام البائس الذليل * فقبل شفاعته *
ووهبه جماعته * ثم انه سدك بمكانه وجثم * حتى تلاحق به عسكره والتأم *

※(ابتداء تخريب ذلك الحزب أذربيجان وممالك عراق العرب)※

ولما بلغ السلطان أحمد بن الشيخ أويس * ما فعله بغنم رعايا جيرانه اللور وهمذان ذلك الاويس * علم انه لابد له من قصد مملكته ودياره * لانه هو باداه بالشر وطرح على شراره طائر شراره * وان عسكره وان كان كالسيل الهامر فانه لامقاومة له ببحره وتياره * وانه اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى * ولا مقابلة لسحرة فرعون مع عصا موسى * قلت

شعر

السيل يقلع ما يلقاه من شجر ※ بين الجبال ومنه الصخر ينفطر
حتى يوافي عباب البحر تنظره ※ قد اضمحل فلا يبقى له أثر

فاستعدّ للبلاء قبل نزوله * وتأهب له قبل حلوله * فتشمر للهزيمه * وعلم أن إيابه سالما نصف الغنيمه * واقتصر من بسيط فقه المقاتلة والمقابلة على الوجيز * وصمم على الخروج من ممالك بغداد والعراق وتبريز * وقال لنفسه النجاء النجاء * وجهز ما يخاف عليه صحبة ابنه السلطان طاهر الى قلعة النجاء * وأرسل الى تيمور الاشعار والهجاء * فمن ذلك ما ترجمته وهو شعر

لئن كانت يدى فى الحرب شلا ※ فرجلى فى الهزيمة غير عرجا

ثم قصد البلاد الشاميه * وذلك فى سنة خمس وتسعين وسبعمائه * فى حياة الملك الظاهر ابى سعيد برقوق رحمه الله تعالى * فوصل تيمور الى تبريز * ونهب بها الذليل والعزيز * ووجه الى قلعة النجاء العساكر * لانها كانت معقل السلطان أحمد وبها ولده وزوجته والذخائر * وتوجه هو الى بغداد ونهبها * ولم يخربها ولكن سلبها سلبها * وكان الوالى بالنجاء رجلا شديد البأس يدعى التون * عند السلطان أحمد مأمون وله اليه ركون * ومعه جماعة من أهل النجده * وأولى البأس والشدّه * نحو من ثلاثمائة رجل فى العدّه * فكان ينزل بهم التون * اذا أخذ الليل فى السكون * ويشنّ الغارة على تلك العساكر والمكان المسكون * فوهن أمر العسكر * فأبلغوا تيمور هذا الخبر * فأمدّهم بنحو أربعين ألف مقاتل مشهور * مع أربعة أمراء كبيرهم يدعى قبلغ تيمور * فوصلوا الى القلعة ولم يكن اذ ذاك التون فيها * وكان قد خرج الناس للغارة على من فى ضواحيها * فبينا هو راجع * اذا بالنقع ساطع * فلما اطلع طالع الخبر * قال أين المفر *

فقيل

فقيل كالا لاوزر * فعلم انه لاملجأ من الله الا اليه فثبت جاشه وحاشيته وتوكل عليه * وقال ان الرؤس في مثل هذا المقام * انما يكونون تحت الاعلام * فأحطموا نحو قلب هؤلاء اللئام * فاما أن تبلغوا المرام أو تموتوا على ظهر الخيل وأنتم كرام * اذ لا ينجيكم من هذا الكرب * سوى الطعن الصادق والضرب * قلت شعر

كريما مت والا مت لئيما * فانا والله بعد الموت موت

فتعاضدوا بهمة صادقه * وعزيمة على حصول الخلاص من الله تعالى واثقه * وقد أحاطوا بهم احاطة الشبكة بالسمكه * وصار وافي وسطهم كالمغزل في الفلكه * وقصدوا الراية وحامليها * ومن يليها وذويها * فساعدهم ساعد سعد اللحيان بنصرته * وحل عنهم القبض الداخل أنكيس عقلته * فاسالوا على راياتهم ذات البياض من الدماء جره * وفتحت لجماعتهم طريق الى عتبة النصره * فلاح لهم فلاح * ونجح لهم نجاح * فنجوا من الشرور * وحصل لهم السرور * بعد أن قتلوا من العسكر أميرين أحدهما قبلغ تيمور * ولما وصل هذا الخبر اليه * اسودت الدنيا في عينيه * بل انقلب الكون والمكان عليه * ثم نهض اليها بنفسه * وربض عليها بحرسه * وأحاط بجوانبها * وألقم الحرس أفواه مضاربها *

* (صفة قلعة النجاء) *

وهذه القلعة أمنع من العقاب * وأرفع من السحاب * يناجي السماك سمكها * ويباهي الافلاك استمساكها * كأن الشمس في شرفها * ترس من الابريز على بعض شرفها * وكأن الثريا في انتصابها * قنديل معلق على بابها * لا يحوم طائر الوهم عليها * فاني يصل طائش السهم اليها * ولا يتعلق بخدم خدمتها * خلخال خيال وافتكار * فضلا عن أن يحلق على معصم عصمتها من عساكر الاساورة سوار * وكان التون قدترتبي في ترائب ترابها * وأهل مكة أخبر بشعابها * فصار كما يجي الليل الساحم * وأرصد لسراق الشياطين عيونه الرواجم * هبط من تلك القلال * وسرى سرى طيف الخيال * ودب دبيب الشحم في اللحم * والماء في العود والنار في الفحم * من درب لم تتوهمه الظنون * بعون من لا تراه العيون * بحيث لا يشعر به الحرس * ولا يبصره العسس *

ولا يزال يتلو عليهم آيات الاغفاء * وينفث بطلسماته الاستخفاء * ويتقرب ويترقب *
حتى يلوح له في الحي مضرب * فيقتل ويسلب * وينهب ويهرب * فيكر سالما *
ويفر غانما * فلم يزل ذلك دأبهم ودابه * حتى أعجز تيمور وأصحابه * فلم ير تيمور
أوفق من الارتحال * لضيق المجال * وعسر المنال * فارتحل عنها بعد أن رتب عليها
للحصار اليزك * واستمر الحصار مدة طويلة والقضاء يقول له أصبر فانها الآن تتحرك *
قيل انها مكثت في الحصار اثنتي عشر سنة * وسبب أخذه لها أن التون المذكور * كان له
أخ بالفسق مشهور * فحصل بينه وبين أم السلطان طاهر * خيانة أوجبت عليهما ما يجب
على العاهر * فاطلع على ذلك طاهر بن السلطان أحمد * فقبض عليهما وقتلهما سالكا
في ذلك الرأي الاحمد * وكان اذ ذاك التون عن القلعة غائبا * قد خرج منها وقصد
للغارة جانبا * فلما رجع التون أغلقوا باب القلعة عليه * ورموا بأخيه من فوق
السور اليه * وأخبروه خبره * وبعجره وبجره * فقال جزاكم الله أحسن الجزاء *
وجعل حظكم من الخيرات أوفر الاجزاء * لو كنت عالما فعله * أو حاضرا قتله *
لعاملته بما هو أهله * وفعلت به ما يجب فعله * ويحل به من الزمان دواهيه *
ولا رتكم العبر فيه * ولا شهرته في خلق الله تعالى وبريته * وناديت عليه هذا جزاء من
يخون ولي نعمته * ثم طلب الدخول * فقطعوه عن الوصول * فقال أما أخي فانه جنى فذاق
ثمرة ما جناه * وأما أنا فقلبي على الوفاء بعهدكم من الازل والى حين الوفاه * ولم أزل موالي
وليكم * ومعادي عدوكم * فان طردتموني فالى أين أذهب * وان رددتم رغبتي فيكم ففيمن
أرغب * فقالوا ربما أدركتك الحميه * وبعثتك العصبيه * فتذكرت أخاك * وتفكرت
شدتك بعد رخاك * فنقمت * وانتقمت * واعوججت بعدما استقمت * وتكدر منك
ما صفا * وناهيك قصة الاخوين مع ذات الصفا * وقلت   شعر

ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه ❊ ولكنه يبقى به عقدة الربط

فانشأ لهم أيمانا واثقه * وان كلماته وعهوده صادقه * فقالوا والله لا تطل فاحييت * مالك
عندنا مقيل ولا مبيت * فارجع من حيث جئت * وهذا آخر العهد منك غضبت
أم رضيت * فأخذ يذم دهره * ويعض يده ندامة وحسره * على انه أنفد عمره *
في طاعة من لم يعرف قدره * ثم دني فتدلى * وعبس وتولى * وسيب فرسه وماله *
وفرق خيله ورجاله * ولما لم يكن له ملجا * سوى قلعة النجا * وقد خرجت من يده *

والقت

[illegible]

كسيرته حسنه * وكانت دولته تسعة عشرة سنه * وكان محبا للفقراء * معتقدا للعلماء
والكبراء * وكان قد أبصر في منامه * لوقت موافاة حمامه * فاستعد لحلول فوته * ورصد
نزول موته * وخلع من الملك يده * وولاه حسينا ولده * وهو أكبر بنيه * والافضل
من أهله وذويه * ونبذ دانيه ودنياه * وأقبل على طاعة مولاه * واستعطفه الى الرضى *
والعفو عما مضى * ولازم صلاته وصيامه * وزكاته وقيامه * ولازال يصلي و يصوم *
حتى أدركه ذلك الوقت المعلوم * فاظهر سره المصون * وتلا اذا جاء أجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون * فدرج على هذه الطريقة الحسنه * وقد جاوز نيفا وثلاثين
سنه * ومن مغرب تبريز افل قمره * وفي سنة ست وسبعين وسبعمائة وصل الى الشام
خبره * واستقر ولده جلال الدين حسين مكانه * وأفاض على رعيته فضله واحسانه *
وكان كريم الشمائل * جسيم الفضائل * وافر الشهامه * ظاهر الكرامه * أراد أن
يمشي على سنن والده * ويحيي ما دثر من رسوم آثاره ومعاهده * فخذلته الاقدار *
وخالطت صفو مساعيه الاكدار * وفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائه * وصل من
قصاده الى الشام فئه * وهم القاضي زين الدين علي بن جلال الدين عبد الله بن نجم
الدين سليمان العنابقي الشافعي * قاضي بغداد وتبريز والصاحب شرف الدين بن
الحاج عز الدين الحسين الواسطي * وزير السلطان وغيرهما * ثم في جمادى الآخرة من
هذه السنة وثب السلطان أحمد على أخيه المشار اليه فقتله * وقام لينصر الملك والدين
مكانه فخذله * فلا أجفن حياته من الفناء سنه * وعمره اذ ذاك نيف وعشرون سنه *
ولما استولى السلطان على ممالك العراق * مد يد تعديه وضم جناح الشفقة والارفاق *
وشرع يظلم نفسه ورعيته و يذهب في الجور والفساد يومه وليلته * ثم بالغ في الفسق
والفجور * فتجاهر بالمعاصي وتظاهر بالشرور * واتخذ سفك الدما * الى سلب الاقراض
وثلم الاعراض سلما * فقيل ان أهل بغداد محوه * واستغاثوا بتيمور * فاغشوا عباء
كالمهل يشوي الوجوه * فلم يشعر الا والتتار قد دهمته * وعساكر الجغتائي خيلا ورجلا
حطمته * وذلك يوم السبت المذكور * من الشهر المشهور * فاقتحموا بخيلهم رجله وقصدوا
الاسوار * ولم يمنعهم ذلك البحر البتار * ورماهم أهل البلد بالسهام * وعلم أحمد انه
لا ينجيه الا الانهزام * فخرج فيمن يثق به قاصد الشام * فتبعه من الجغتاي طايفة
لئام * فجعل يكر عليهم ويردعهم * و يفرمنهم فيطمعهم * وحصل بينهم قتال شديد *

وقتل

وقتل من الطائفتين عدد عديد * حتى وصل الى الحله * فعبر من جسرها نهر دجله * ثم قطع الجسر * ونجا من ورطة الاسر * واستمرّت التتار في عقبه * تكادانوفها تدخل في ذنبه * فوصلوا الى الجسر ووجدوه مقطوعا * فتراموا في الماء وخرجوا من الجانب الآخر ولم يزالوا تابعا ومتبوعا * ففاتهم ووصل الى مشهد الامام * وبينه وبين بغداد ثلاثة أيام *

(ذكر ما افتعله من الخديعة والمكر في بلاد أرزنجان وديار بكر)

فوصل الى ديار بكر واستخلصها * ومن أيدي ولاتها خلصها * فعصت عليه قلعة تكريت * فسلط عليها من عساكره كل عفريت * وذلك يوم الثلاثاء رابع عشر ذي الحجه * وقد ارتجت منه البلاد أشدّ رجه * فحاصرها وأخذها في صفر بالامان * ونزل اليه متوليها حسن بن بولتمور متدرع الاكفان * وفي حضنه وطي عاتقه أطفاله * وقد ودّعه أهله وماله * وأسلمته خيله ورجاله * وذلك بعد أن عاهده أن لا يريق دمه * فارسله الى حائط فقضه عليه وردمه * وقتل من بها من رجال * وسبى النساء وأسر الاطفال * وجعل يعيث ويستأصل * ويقطع في الفساد ويوصل * حتى أناخ يوم الجمعة حادي عشري صفر سنة ست وتسعين الى الموصل * فأخربها وكسرها * ثم أتى رأس عين ونهبها وأسرها * ثم الى الرها تحوّل * ودخلها يوم الاحد عشرة شهر ربيع الاوّل * فزاد عيثا وفسادا * وجارى فيما عاند ثمودا وعادا * وخرج من تلك البلد * ثاني عشرية يوم الاحد * ثم اختار من نسو رقومه طائفه * على ورد الدماء حائمة وعلى قتل المسلمين عاكفه * فأخذهم واندغر * وفي ممالك ديار بكر انغمر * ولم يزالوا بها عاثين * ولاذاها قاصدين * وعليها ظالمين * وفيها ماردين * فقصدها بتلك العفاريت المصاليت * وواصل السير اليها فوصل في خمسة أيام من تكريت * ومسافة ما بينهما للمجد * اثني عشر يوما ان لم ترد * وكان سلطانها الملك الطاهر تحقق انه لا يضر من التجأ اليه * وقدم في ثوب الطاعة عليه * فأوسعه الا التشبث بذيل ذممه * والانتظام في سلك خدمه *

❊ (ذكر ما جرى لسلطان ماردين عيسى الملك الطاهر من المحنة والبلاء) ❊
(مع ذلك الغادر الماكر)

لكنه خاف غائلته * فجمع حاشيته وصاغيته * وقال انى ذاهب الى هذا الرجل ومظهر له الانقياد * فان ردّنى حسبما أريد فهو المراد * وان طالبنى بالقلعه * فكونوا أنتم على التأبى والمنعه * واياكم أن تسلموها اليه * أو تعتمدوا فى الكلام عليه * وان دار الامر بين تسليم القلعة وبين اتلافى * فاحتفظوا بالقلعة واجعلوا التلافى فى تلافى * فانكم ان تسلموها اليه خرجتم من باطنكم وظاهركم * وأتى بالهلاك على أولكم وآخركم * وخسرتم شعاركم ودثاركم * وغبنتم أنفسكم ودياركم * واذا كان كذلك فانا أجعل نفسى فداكم * وأكفيكم بروحى مادهاكم * وبعض الشر اهون من بعض * وها أنا أجس لكم النبض * ثم قصد ذلك الكاشح * المفسد الطائح * بعدما استخلف ابن أخيه الملك الصالح * شهاب الدين أحمد بن الملك السعيد * اسكندر بن الملك الصالح الشهيد * ونزل يوم الاربعاء خامس عشرى شهر ربيع الاوّل سنة ست وتسعين وسبعمائة * واجتمع به فى سلخه بمكان يسمى الهلالية فقابله بشنعه * وقبض عليه بسرعه * وطلب منه تسليم القلعه * فقال القلعة عند أربابها * وبيد أصحابها * وأنا ما أملك الا نفسى فقدّمتها اليك * وقدمت بها عليك * فلا تحملنى فوق طاقتى * ولا تكلفنى غير استطاعتى * فاتى به القلعة وطلبها منهم فأبوا * فقدّمه اليهم ليضرب عنقه أو يسلموه فنأوا * فطلب منه فى مقابلة الامان * من الدراهم الفضية مائة تومان * كل تومان ستون ألفا ❊ خارجا عما يتقرب به اليه زلفى * ثم انه شدّ وثاقه * وسدّ عليه ليذهب عنه ما به من قوة كل باب وطاقه * وشمر للفساد ذيله * وجعل بريح رجله وسمن خيله * ويتفوق كاسات فساده * ويعربد على عباد الله وبلاده * واستمرّ على ذلك لا يعى ولا يفيق * ويتردّد ما بين الفردوس الى رسعل ونصيبين والموصل العتيق ❊ ثم أمر عساكره فى جمادى الآخرة أن يمرّدوا قاصدين * ويقصدوا ماردين * فسابقوا الطير * ولاحقوا السير * وجاوزوا بالنهار الانهار * وبالليل السيل فقطعوا قفار القفار * قطع المندى * وعملوا فى تلك الجبال والقلال بما قاله الكندى وهو

سموت اليها بعد ما نام أهلها ❊ سمو حباب الماء حالا على حال

فوصلوا اليها على غفلة * واحتووا عليها من غير مهله * وذلك يوم الثلاثاء ثانى عشره * وقد سل الصبح حسام فجره * وطار غراب الدجى عن وكره * فصار واسوار معصم تلك الاسوار * وأحلوا الدمار هاتيك الديار * فموهار جفا * وساموها خسفا * وهدوها زحفا * ودكوها وجفا * وتعلقوا بأهداب أرجائها * وتسلقوا بالسلالم من أرضها الى سمائها * وكان متسلقهم على الاسوار * من القبلة رابية اليهود ومن الغرب التلول ومن الشرق المنشار * فأخذوا المدينة عنوة وقهرا * وملأوها فسقا وكفرا * وترفع أهل المدينة الى القلعه * ولم يكن لاحد سواهم علو المنزلة والرفعه * واكوهدوا ملتجين الى قوادمها وخوافيها * وذب عنهم من القلعة بالسهام والمكاحل من كان فيها * فقتلوا من ظفروا به ذكرا أو أنثى صغيرا او كبيرا * ولم يرتضوا ان فيها نهبا ومن فيها أسيرا * فجالد بعض الناس وأظهر لهم بعض الجلاده * وأراد بتثبته لهم أن يضم الجهاد الى الشهاده * ولازالت آيات القتال عليهم تتلى * حتى امتلأت المدينة من الجرحى والقتلى * واستمر ذلك من قبل طلوع الشمس * الى أن صار اليوم أمس * وحين التقى على وجنتى الكون عارضا الليل * واستوفى أولئك المطففون من ظلمهم وتعديهم الميزان والكيل * وبادرنون الظلام * يونس الشمس بالالتقام * طراء على تلك الحركات السكون * فتراجعوا ونزل العسكر مقابل غربون * وقد قتل من العسكرين ما سبق العدد * وأكثرهم كان من أهل البلد * فباتوا يعدون السلاح ويثقفونه * وينتظرون الصباح ويستبطؤنه * الى أن شق الليل مكتوم جيبه * وأظهر الظلام مكنون غيبه * وأمر الكون وجه النهار أن يضرب على جنبي الآفاق أطراف شيبه * بكروا بكور الغراب * وبدروا الى الحراب والخراب * وعصروا أهل المدينة وحاصروها أشد حصر * وهدموها وأسوارها من الظهر فمحوا آثارها بعد العصر * ثم باؤا بالآثام * وقد انتشر كظلمهم الظلام *

(ايضاح ما أخفاه من الحيله وصلود زند تلك الافكار الوبيله)

ولما آب ابله بالخيبه * ولم يمكنه تحصيل القلعة بالهيبه * شحذ فكرا * وحدّد مكرا * وتاب عن المقابحه * وثاب الى المصالحه * فردع ذلك الخسيس * فى نهار ذلك الخميس *

[illegible]

مع ذويه * وتوجه اليه يوم الخميس خامس عشره * ودخل عليه يوم السبت سابع عشره *
فتلقاه بالاحترام واعتنقه * وأذهب عنه دهشه وقلقه * وقبله في وجهه مرارا *
واعتذر اليه مما فعله معه جهارا * وقال له انك لله ولي * ورفيع القدر كابي بكر وعلي *
وتحلل منه * عما صدر في حقه عنه * وأضافه ستة أيام * وخلع عليه خلع الملوك
العظام * وأحله محلا جميلا * وأعطاه عطاء جزيلا * من ذلك مائة فرس وعشرة بغال *
وستون ألف دينار كبكية وستة جمال * وخلعا مزركشة مكلله * وانعامات وافرة
مكمله * ولواء يخفق على رأسه منصورا * وستة وخمسين منشورا * كل منشور بتولية
بلد * وأن لا ينازعه فيه أحد * أوّل ذلك الرها الى آخر ديار بكر * الى حدود أذربيجان
وأرمينية وكل ذلك من الدهاء والمكر * وان جميع حكام تلك البلاد يكونون تحت طاعته *
معدودين في جملة خدمه وجماعته * يحملون اليه الخراج والخدم * ولا يتقلون الا عن
أمره قدما عن قدم * بحيث يكون شخص كل من مجاوريه بما أفاء الله عليهم انطله فيئا *
و يعني هو فلا يحمل الى تيمور ولا الى غيره شيئا * وهذا وان كان في الظاهر كالاكرام *
فانه فيما يؤل اليه و بال عليه وانتقام * وفيه كما ترى مافيه * والقاء العداوة بينه
و بين مجاوريه * وينجرّ ذلك الى أن يلتجي اليه * و يعول في كل أموره عليه * و يدخل
لكثرة الاعداء تحت ضبنه * فيصل اذ ذاك منه الى حضنه * ثم انه شرط عليه * أنه
كلما طلبه جاء اليه * ثم عانقه وودّعه * وأمر أمراءه بتشييعه فخرج من الضيق الى السعه *
ثالث عشري شهر رمضان ليلة الجمعه * سنة ثمان وتسعين وسبعمائة فوصل الى سلطانيه *
في عيشة رضية وحالة هنيه * ثم عزم على تبريز * في جحفل نفيس عزيز * واجتمع باميران
شاه * فزاد في اكرامه وعطاياه * وشيعه في أحسن هيئة وأيمن طور * فجاء على وسطان
و بدليس وارزن الى الصور * ووصل خبره الى قبائله والعشائر * فابتهج الناس
ودقت البشائر * يوم الجمعة حادي عشري شوال * وخرج أهل المدينة والاكابر
للاستقبال * وسبق الناس ولي عهده الملك الصالح * فدخل المدينة بفال سعيد وأمر
ناجح * وتوجه الى مدرسة حسام الدين * وزار والده وأمواته الماضين * وعزم على
ترك التخت المنيف * والتوجه الى الحجاز الشريف * فلم يتركه الناس خاصة وعامه *
وترامواعليه وقبلوا أقدامه * فصعد الى محل كرامته * واستقرّ في كرسي مملكته *
وسيأتي لهذا الشأن مزيد بيان * وماجرى من الامور * عند قدوم تيمور * وحلول

عسكره اللئام * ماردين بعد خرابهم ممالك الشام * قيل لما استقر الملك الطاهر في مملكته * اجتمع عنده جماعة من أدباء قدماء حضرته * فاقترح عليهم أن يقولوا في ذلك شيئا فقال أولا بدر الدين حسن بن طيفور شعر

طغى تمر واستأصل الناس ظلمه * وشاعت له في الخافقين الكبائر
لقد زاد بغيا فافرحوا بزواله * لان على الباغي تدور الدوائر

فقال ركن الدين حسين بن الاصغر أحد الموقعين ثانيا * شعر

كن من رجال اذا ما الخطب نابهم * ردوا الامور الى الرحمن واغتنموا
فسلموا الامر لما أن رأوا خطرا * لذي الجلال فلما سلموا سلموا

فقال القاضي صدر الدين بن ظهير الدين الحنفي السمرقندي ثالثا شعر

طويل حياة المرء كاليوم في غد * نخيرته ان لا يزيد على الحدّ
ولا بدّ من نقص لكل زيادة * وان شديد البطش يقتص للعبد

ثم قال علاء الدين بن زين الدين الحصني احد الموقعين رابعا وبيت شعر

لا تحزن فالذي قضى الله يكون * والامر موكل الى كن فيكون
ما بين تحرك بلحظ وسكون * الحالة تنقضي وذا الامر يهون

فأعجبه ذلك واجازه خمسة آلاف درهم وصرفه والله اعلم

(ذكر رجوعه من ديار بكر والعراق وتوجهه الى مهامه قفجاق) (ووصف ملوكها وممالكها وبيان ضياعها ومسالكها)

ثم انه رجع من عراقي العرب والعجم * وقد ثبتت له في ممالكها أية قدم * وذلك بعد ان قدم عليه الشيخ ابراهيم * وسلمه مقاليد ما بيده من الاقاليم * فتقلد طوق عبوديته * ووقف في مواقف خدمته * وانتظم في سلك عبده * وأحله محل ولده * وسنذكر كيف تعرف عليه * ومن اى طريق تقرب اليه * فقصد دشت قفجاق * وجدّ في الوخد والاعناق * وهو ملك فسيح * يحتوي على مهامه فيح * وسلطانها توقتاميش * وهو الذي كان في حرب تيمور امام السلاطين المخالفين كالجاليش * اذ هو اول من بالعداوة بارزه * وفي بلاد تركستان واقفه وناجزه * وانجده في ذلك كمار السيد بركه *

و بلاد

و بلاد الدشت تدعى بلاد قفجاق ودشت بركه * والدشت باللغة الفارسية اسم للبريه *
وبركة المضاف اليه هو أول سلطان * أسلم ونشر بها رايات الملة الاسلاميه * وانما
كانوا عباد أوثان * وأهل شرك لا يعرفون الاسلام والايمان * ومنهم بقية يعبدون
الاصنام الى هذا الاوان * فتوجه الى ذلك الاقليم * من طريق الدربند الجارى
تحت حكم الشيخ ابراهيم * وهو سلطان ممالك شروان * ونسبه متصل بالملك كسرى
أنوشروان * وله قاض يدعى أبا يزيد * يفضل على جميع أركان دولته بالقرب اليه ويزيد *
هو دستور مملكته * وقطب فلك سلطنته * فاستشاره في أمور تيمور وما يفعله *
أيطيعه أم يتحصن منه أم يفرّ أم يقاتله * فقال له الفرار في رأيي أصوب * والتحصن
في الجبال الشواهق أوثق عندي وأنسب * فقال ليس هذا برأي مصيب * أنجو أنا
وأترك رعيتي ليوم عصيب * وماذا أجيب يوم القيامة رب البريه * اذا رعيت أمورهم
وأضعت الرعيه * ولا عزمت أن أقاتله * وبالحرب والضرب أقابله * ولكني أتوجه
اليه سريعا * وأتمثل بين يديه سامعا لامره مطيعا * فان ردّني الى مكانتي * وقرّرني في
ولايتي * فهو قصدي وغايتي * وان آذاني أو عزلني * أو حبسني أو قتلني * فتكفي الرعية مؤنة
القتل والنهب والاسار * فيولي اذ ذاك عليهم وعلى البلاد من يختار * ثم أمر بالاقامات
فجمعت * وأذن للجيوش فتفرّقت وتمنعت * وعهد الى الولايات أن تتزين وتتزوّق *
وبسكانها برا وبحرا أن تأمن فتعامل وتتأنق * وبالخطب أن تقرأ فوق المنابر باسمه *
وبالدنانير والدراهم أن تضرب بوسمه ورسمه * ثم حمل التقادم والخدم * وتوجه اليه باطيب
جاش واثبت قدم * ولما وفد عليه * وتمثل بين يديه * قدّم الهدايا والتحف * وأنواع
الغرائب والطرف * وعادة الجغتاي في تقديمهم الخدم ان يقدّموا من كل جنس تسعه *
اينالوا بذلك عند المهدى اليه الكرامة والرفعه * فقدّم الشيخ ابراهيم من كل جنس من
أصناف ما قدّمه تسعه * ومن المماليك ثمانيه * فقال له المتسلمون لذلك وأين تاسع
المماليك فقال التاسع نفسي العانيه * فأعجب تيمور هذا الكلام * ووقع من قلبه
بمكان ومقام * وقال له بل أنت ولدي * وخليفتي في هذه البلاد ومعتمدي * وخلع
عليه خلعة سنيه * ورده الى مملكته مستبشرا ببلوغ الامنيه * ثم فرقت تلك الاقامات *
وتوزعت الفواكه والطعامات * ففضل منها أمثال الجبال * عن ذلك العسكر الذي هو
كالحصا والرمال * ثم تركه وسار * الى بلاد الشمال والتتار * وسبب آخر لقصده تلك

الممالك * وان كان لايحتاج الى ذلك * ان الامير ايدكو كان عنده توقتاميش أحد
رؤس أمراء الميسره * والاعيان المتخذين فى النائبات لدفعها وأرباب الرأى والمشوره *
وقبيلته تدعى قوبكومات * وقبائل الترك كقبائل العرب واللغات كاللغات * وكان
ايدكو قد أحس من مخدومه * تغير خاطر خاف منه على نفسه * وكان توقتاميش شديد
البأس تخشى منه حلول بأسه * فلم يزل منه متحرزا * وللفرار اذا رأى منه مايقتضى
ذلك مستوفزا * وجعل يراقبه ويراقيه * ويداريه ويداريه * ففى بعض ليال السرور *
ونجوم الكاسات فى أفلاك الطرب تدور * وسلطان الخمره * قد أنفذ فى أسير العقل أمره *
طفح أن قال توقتاميش لايدكو * ونور البصيرة يخبو ويذكو * ان لى ولك يوما * يسومك
الخسف سوما * ويوليك عن موائد الحياة صوما * ويملأ عين بقائك من سنة الفناء نوما *
فغالطه ايدكو وباسطه * وقال أعيذ مولانا الخاقان * ان يحقد على عبد ما خان * وأن
يذوى غراسا هو أنشاه * أو يهوى أساسا هو بناه * ثم أظهر التذلل والخشوع *
والتمسكن والخنوع * وتحقق ما كان ظنه * وأعمل فى وجه الخلاص ذهنه * واستعمل
فى ذلك الذكاء والفطنه * وعلم أنه ان أهمل أمره أو أمهله أنه * فمكث قليلا واشتغل
السلطان * ثم انسلت من بين الحواشى والاعوان * وخرج فى الحاجه * كأنه يريد
قضاء حاجه * وأتى اصطبل توقتاميش * بجاش يجيش ولا يطيش * وعمد الى فرس
مسرجه * منجية منجيه * أقيمت معده * لكل شده * وقال لبعض حاشيته * المؤتمن
على سره من فاشيته * من أراد أن يوافينى * فعند تيمور يلاقينى * ولا تفش هذه
الاسرار * الا بعد أن تحقق أنى قطعت القفار * ثم تركه وسار * فلم يشعر به الا وقد سبق *
وركب طبقا عن طبق * وقطع على أنوال السير أطوال الشقق * فلم يدركوا منه آثار * ولا
لحقوا منه ولا الغبار * فوصل الى تيمور وقبل يديه * وعرض حكاياته وأخباره كما جرت
عليه * وقال أنت تطلب البلاد الشاحطه * والاماكن الوعرة الساقطه * وتركب فى
ذلك الاخطار * وتقطع فقار القفار * وتتلو سفار الاسفار * وهذا المغنم البارد نصب
عينك * تدركه هنيئا مريئا بهينك ولينك * ففيم التوانى والتناعس * وعلام التقاعد
والتقاعس * فانهض بعزم صميم * فأنا لك به زعيم * فلا قلعة تمنعك * ولا منعة
تقلعك * ولا قاطع يدفعك * ولا دافع يقطعك * ولا مقابل يقابلك * ولا مقاتل
يقاتلك * فما هو الا أوشاب وأوباش * وأموال تساق وخزائن بأرجاها مواش *

ولا

ولازال يحرضه على ذلك ويطالب * ويفتل منه في الذروة والغارب * كما فعل معه عثمان قرا أيلوك حين جاء الى تبريز بوسواسه * وحرضه على دخوله الشام بعد قتله السلطان برهان الدين أحمد ومحاصرة سيواسه * كما يذكر * فتهيأ تيمور بأوفى حركه * الى استخلاص دشت بركه * وكانت بلادا بالتتار خاصه * وبأنواع المواشي وقبائل الترك غاصه * محفوظة الاطراف * معمورة الاكناف * فسيحة الارجاء * صحيحة الماء والهواء * حشمها رجاله * وجنودها ابطاله * أفصح الاتراك لهجه * وأزكاهم مهجه * وأجملهم جبهه * وأكملهم بهجه * نساؤهم شموس * ورجالهم بدور * وملوكهم رؤس * واغنياؤهم صدور * لا زور فيهم ولا تدليس * ولا مكر بينهم ولا تلبيس * دأبهم الترحال على العجل * مع أمان لا يدانيه وجل * مدنها قليله * ومراحلها طويله * وحد بلاد الدشت من القبلة بحر قلزم الظلوم الغشوم * وبحر مصر المنقلب اليهم من بلاد الروم * وهذان البحران * كادا يلتقيان * لولا أن جبل الجركس بينهما برزخ لا يبغيان * ومن الشرق تخوم ممالك خوارزم وانزار وسغناق * الى غير ذلك من البلاد والآفاق * آخذا الى تركستان وبلاد الجتا * متوغلا الى حدود الصين من ممالك المغول والخطا * ومن الشمال مواضع وبرار وقفار ورمال كالجبال * وكم في ذلك من تيه * تحير الطير والوحش فيه * وهو كرضى اكابر الزمان غاية لا تدرك * ونهاية لا تسلك * ومن الغرب تخوم بلاد الروس والبلغار * وممالك النصارى والاشرار * ويتصل بتلك التخوم * ماهو جار تحت حكم ابن عثمان من ممالك الروم * وكانت القوافل تخرج من خوارزم وتسير بالعجل * وهم آمنون من غير ريب ولا وجل * والى قريم طولا ومسيرة ذلك نحو من ثلاثة اشهر * واما عرضا فهو بحر من الرمل امده سبعة ابحر * لا يهتدي فيه الخريت * ولا يقربه من الدعاميص كل عفريت * فكانت القافلة لا تحمل زادا ولا عليقا * ولا يصحبون معهم رفيقا * وذلك لكثرة الامم * ووفور الامن والمأكل والمشرب من الحشم * فلا يصدرون الا عن قبيله * ولا ينزلون الا عند من يكرم نزيله * وكأنه قيل فيهم شعر

متكنفي جنبي عكاظ كليهما * يدعو وليدهم بها عرعار

واما اليوم فليس بتلك الاماكن * من خوارزم الى قريم من تلك الامم والحشم متحرك ولا ساكن * وليس فيها من انيس * الا اليعافير والا العيس * وتحت الدشت سراي وهي

مدينة اسلامية البنيان * بديعة الاركان * ويأتى وصفها * وكان السلطان بركة رحمه
الله لما أسلم بناها * واتخذها دار الملك واصطفاها * وجعل أمم الدشت على الدخول
فى حمى الاسلام ورعاها * فلذلك كانت محل كل خير وبركه * وأضيفت بعد اضافتها
الى قفجاق والى بركه * أنشدنى لنفسه مولانا وسيدنا الخواجا عصام الدين * بن المرحوم
مولانا وسيدنا الخواجا عبد الملك وهو من أولاد الشيخ الجليل برهان الدين * المرغينانى
رحمه الله فى حاجى ترخان من بلاد الدشت بعد مرجعه من الحجاز الشريف سنة أربع عشرة
وثمانمائة وفى يومنا هذا أعنى سنة أربعين وثمانمائة انتهت اليه الرياسة فى سمرقند وله
وقد قاسى فى درب الدشت أنواع النكال شعر

قد كنت أسمع أنّ الخير يوجد فى * صحراء تعزى الى سلطانها بركه
بركت ناقة ترحالى بجانبها * فما رأيت بها فى واحد بركه

وأنشدنى أيضا لنفسه معرّضا بمولانا وسيدنا وشيخنا حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد
الكردى البزازى تغمده الله تعالى برحمته فى الزمان والمكان المذكورين شعر

متى تحفظ الناس فى بلدة * مصالحها فى يدى حافظ
فحافظها صار سلطانها * وسلطانها ليس بالحافظ

ولما تشرف بركة خان بخلعة الاسلام * ورفع فى أطراف الدشت للدين الحنيفى الاعلام *
استدعى العلماء من الاطراف * والمشايخ من الآفاق والاكناف * ليوقفوا الناس
على معالم دينهم * ويبصروهم طرائق توحيدهم ويقينهم * وبذل فى ذلك الرغبات *
وأفاض على الوافدين منهم بحار الهبات * وأقام حرمة العلم والعلماء * وعظم شعائر الله
تعالى وشرائع الانبياء * وكان عنده فى ذلك الزمان * وعند أوزبيك بعده وجانى بيك
خان * مولانا قطب الدين العلامة الرازى * والشيخ سعد الدين التفتازانى * والسيد
جلال الدين شارح الحاجبية * وغيرهم من فضلاء الحنفية والشافعية * ثم من بعدهم
مولانا حافظ الدين البزازى * ومولانا أحمد الجندى * رحمهم الله فصارت سراى بواسطة
هؤلاء السادات * مجمع العلم ومعدن السعادات * واجتمع فيها من العلماء والفضلاء *
والادباء والظرفاء والنبلاء * ومن كل صاحب فضيله * وخصلة نبيلة جميله * فى مدة قليله *
مالم يجتمع فى سواها * ولا فى جامع مصر ولا قراها * وبين بنيان سراى وخراب ما بها من
الامكنه * ثلاث وستون سنه * وكانت من أعظم المدن وضعا * وأكثرها للخلائق

جمعا * حكي ان رجلا من أعيانها هرب له رقيق * وسكن في مكان منحى عن
الطريق * وفتح له حانوتا * يتسبب فيه ويحصل له قوتا * واستمر ذلك المهين * نحوا من
عشر سنين * لم يصادفه فيه مولاه * ولا اجتمع به ولا رآه * وذلك لعظمها * وكثرة أممها وهي
على شط نهر متشعب من نهر آتل * الذي أجمع السياحون والمؤرخون وقطاع المناهل *
انه لم يكن في الانهر الجاريه * والمياه العذبة الناميه * أكبر منه * وهو يأتي من بلاد
الروس * وليس له فائدة سوى اغتيال النفوس * ويصب في بحر القلزم ❀ وكذلك
جيحون وسائر أنهار العجم * مع أن بحر القلزم محصور * وعليه بعض ممالك العجم تدور *
مثل كيلان ومازندران * واستراباد وشروان * واسم نهر سراي سنكلا ولا يقطع أيضا
الا بالمراكب * ولا يثبت عليه قدم لراجل ولا راكب * وكم فرق تتفرق من ذلك البحر
العريض الطويل * وكل فرق أعظم من الفراة والنيل ❀

❀(ذكر وصول ذلك الطوفان وجحفة امم الدشت بعد كسره توقتاميش خان)❀

فوصل تيمور الى تلك الداره * بالعساكر الجواره * بل بالبحار الزخاره * ذوي السهام
الطياره * والسيوف البتاره * والرماح الخطاره * والاسود الهصاره * والنمور الكراره
من كل شان الغاره * مدرك في العدو ثاره * حام حقيقته وجاره * وعرينه ووجاره *
وفريسته ونجاره * واتج من بحر الحرب غماره * مقاوم أمواجه وتياره * فارسل
توقتاميش الى زعماء حشمه * وعظماء أممه * وسكان أحقافه * وقطان أطرافه *
ورؤس أسرته * وضروس ميمنته وميسرته * فاستدعاهم * والى المقابلة والمقاتلة
دعاهم * فأتوا في ثوب طاعته رفلون * وهم من كل حدب ينسلون * واجتمعوا شعوبا
وقبائل * ما بين فارس وراجل * وضارب ونابل * ومقبل وقابل * ومقاتل وقاتل *
بمرهف وذابل * وهم قوم نبال النبال * ونضال النضال * لا يطيشون سهما * وهم من
بني ثعل أرمى * اذا عقدوا الاوتار * أصابوا الاوتار * وان قصدوا الاوطار * وجدوا
المقصد جم أوطار * ثم نهض للصادمه * واستعد للمقاحمة والمقاومه * بعما كر كالرمال
كثره * وكالجبال قره *

❁ (ذكر ماوقع من الخلاف فى عسكر توقتاميش وقت المصاف) ❁

وحين تواقف الصفان * وتناقف الزحفان * برز من عسكر توقتاميش أحد رؤس الميمنه * له دم على أحد الامراء فطلبه منه وفى قتله استأذنه * فقال له لينعم بالك * وليجب سؤالك * قلت شعر

لكن ترى ماقد طرى ❁ على الورى وماجرى

فأمهلنا حتى اذا انفصلنا * وعلى المراد حصلنا * أعطيتك غريمك * وناولتك خصمك * فأدرك منه ثارك * واقض أوطارك * قال لا ولكن الساعه * والا فلا سمع لك ولا طاعه * فقال نحن فى كرب مهم * هو من مرامك أهم * وخطب مدلهم هو من مصابك أغم * فاصبر ولا تجعل * واطمئن ولا توجل * فلا يذهب لاحد حق * ولا يضيع مستحق * فلا تلجئ الاعمى الى الجرف * ولا تكن ممن يعبد الله على حرف * فكانك بليل الشده وقد أدبر * وبصباح الفلاح وقد أسفر * فالزم مكانك * ونازل أقرانك * وتقدم ولا تتأخر * واصدع بما تؤمر * فانجرّ ذلك الامير * بجمع كثير * واتبعه كل باغ وغاو * وقبيلته كلها واشمها اقتاو * فانطلق بروم * ممالك الروم * فوصل هو وحشمه الى ضواحى أدرنه * واستوطن تلك الامكنه * فاختل لذلك عسكر توقتاميش * وصارت سهام مرامه عن مراميه تطيش * ولم ير بدا من اللقاء * وصدق الملتقى * فثبت جاشه وجيشه * وهزم وقاره وطيشه * وقدم من اجلابه الابطال * ورتب الخياله والرجال * وقوى القلب والجناح * وسدد النبل والصفاح

❁ (فصــــل) ❁ وأما جيش تيمور * فانه مستغن عن هذه الامور * لان أمره معلوم * ووصفه مفهوم * وسطر النصر والتمكين على جبين راياته مرقوم * ثم تدانى الجيشان واصطدما * واصطليا بنار الحرب واصطلما * والتفت الاقران بالاقران * وامتدت الاعناق للضراب وشرعت النحور للطعان * واكفهرت الوجوه واغبرت ❁ وكشرت ذئابه الضراب واهرّت * وتهارشت نمور الشرور واسبطرّت وتعانشت * اسود الجنود وازبأرت * واكتست بريش النبال الجلود فاقشعرت * وهوت جباه الجباه ورؤس الرؤس فى محراب الحرب للسجود فخرّت * وثار الغبار وقام القتام * وخاض بحار الدماء كل خاص وعام * وصارت نجوم السهام * فى ظلام القتام *

لشياطين الاساطين رجوما رواشق * ولوامع السيوف في سحاب التراب على الملوك والسلاطين بروقا وصواعق * ولازالت سلاهب المنايا تجوب وتجول * وضراغم السرايا تصوب وتصول * ونقع السنابك الى الجوّ راقيا * وتجيع السوافك على الدوّ جاريا * حتى غدت الارض ستا والسموات كالبحار ثمانيا * واستمر هذا اللدد والخصام * نحوا من ثلاثة أيام * ثم انجلى الغبار * عن انهزام جيش توقتاميش وولى الادبار * وفرّت عساكره واندعرت * وانتشرت جنود تيمور في ممالك الدشت واستعرت * واستولى على قبائلها * وأتى على ضبط أواخرها وأوائلها * واحتوى على الناطق فحازه * وعلى الصامت فحازه * وجمع الغنائم * وفرّق المغانم * وأباح النهب والاسر * وأذاع القهر والقسر * واطفأ أفتائلهم * وا كفأ مقاولهم * وغير الاوضاع * وحمل ما استطاع * من الاموال والاسرى والمتاع * ووصلت طراشته الى أزاق * وهدم سراي وسرا بحوق وحاجي ترخان وتلك الآفاق * وعظمت منزلة ايدكو عنده * ثم قفل قاصدا سمرقنده * وصحب ايدكو امعه * ورام منه أن يتبعه

(ذكر ايدكو وما صنعه وكيف خلب تيمور وخدعه)

فأرسل ايدكو قاصدا الى أقاربه وجيرانه * وقبائل الميسرة كلهم من أصحابه وأخدانه * من غير ان يكون لتيمور * بذلك شعور * أن يرحلوا عن مكانهم * ويتشمروا عن أوطانهم * وأن يحواجهة عينها * وأما كن بينها * صعبة المسالك * كثيرة المهالك * وان أمكنهم أن لا يقيموا في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك * فانه ان ظفر بهم تيمور بدد شملهم * وأبادهم كلهم * فامتثلوا ما رسم به ايدكو * وارتحلوا ولم يلووا * ولما علم ايدكو أن جماعته فوزوا * وحشمه لتيمور أعجزوا * قال له يا مولانا الامير * ان لي من الاقارب والحشم الجم الغفير * وانهم عضدي وجناحي وبصلاح معايشهم صلاحي * ولا آمن عليهم أن يلقوا بعدي * من توقتاميش الجور والتعدي * بل لا أشك انه يغنيهم * ويبيدهم عن بكرة أبيهم * وحيث يمتنع عليه بجاه جنابك جانبي * ينتقم لسوء طويته من حشمي واقاربي * لان سداه هذه الملاحم انا الحمته * وفي مضائق البلاء ومآزق الانكسار انا اقحمته * وعلى كل حال فلا يطيب على قلبي ان يساكنوه * وكيف يهنأ لي العيش

واصدقائي محاوروه * فان اقتضت الآراء المنيره * ارسال قاصد الى تلك الاماكن والقبائل الكثيره * صحبة مرسوم شريف * وامر عال منيف * باستمالة خواطرهم * وتطييب قلوب قبائلهم وعشائرهم * والامر بترحالهم * وترفيه حالهم * فنكون جميعا تحت الظل الشريف * في روض عيش وريق وريف * ونتخلص من هذا الدشت * الخالي الدست ونقتضي ما مضى من الاعمار * ونقضي الباقي في جنات تجري من تحتها الانهار * فالرأي الشريف اعلى * واتباع ما يبديه بالممالك اولى * فقال له تيمور انت عذيقها المرجب وجذيلها المحكك * ومع وجودك انت من يسلك هذا المسلك * فقال كل الانام عبيدك * وتابع مرادك ومريدك * ومن تراه لشيء اهلا * كان كل حزن عليه سهلا * فقال بل انت اولى بهذا الامر فكن ضمينه * اذ لا يفتي ومالك في المدينه * فقال اضف الى واحدا من الامراء * ليكون لي عليهم وزراء * مع مراسيم شريفه * بما تقتضيه الآراء المنيفه * فأجابه وقضى مراده * واضاف اليه من اراده * فقضيا مآربهما ونجزا * ونحوه مطلبهما تجهزا * ولما فصل ايدكو عن تيمور * استدرك فارطه وعلم ان ايدكو خلبه عقله وغالطه * فأنفذ اليه قاصدا * ان يكون اليه عائدا * لامر قد سنح * ورأي قد جنح * فلما قدم القاصد عليه * وبلغ ما ارسل به اليه * قال له وللامير الذي معه * وقد نهى كلا منهما ان يتبعه * اقضيا مآربكما * والحقا صاحبكما * وقبلا يديه وابلغاه * ان امدا جتماعنا هذا منتهاه * واني بريء منه اني اخاف الله * ولم يمكنهما مخاشنته * ولا وسعهما في تلك المضايقة الشديدة الاملاينته * فودعاه وانصرفا * وانحرفا وما وقفا * ولما بلغ تيمور ذلك تضرر وتضرم * وتبرح وتبرم * وحرق عليه الارم وتندم * ولات حين مندم * وكاد يقتل نفسه حنقا عليه * وتجرع كاسات ويوم يعض الظالم على يديه * ولم يمكنه التقيد به فلم يتحرك له بحركه * وتوجه الى ممالكه ثم الى سمرقند وتركه * فكان هذا آخر امره من دشت بركه * قيل انه لم يخدع تيمور ويدهيه * ويخلبه قولا وفعلا ويطغيه * سوى ايدكو المارذكره * اقول وسوى قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي الآتي حكايته وامره *

(تتمة ماجرى فى نواحى الشمال بين توقتاميش وايدكومن الجدال والقتال)
(الى ان تغير أمركل منهما وحال)

ولما انفصل تيمور بما حصل * واستقرّ فى مملكته بعد ماوصل * واتصل ايدكو بحاشيته * وابتهج بصاغيته وغاشيته * أخذفى التفتيش * من أمور توقتاميش * وتحفظ منه وتحرّز * ولمناواته انتصب وتجهز * اذلم يمكنه رتق مافتقه * ولا رقع ماخرقه * وأيضا ما أمكنه الاستقلال بادّعاء السلطنه * اذلو أمكن ذلك * لادّعاه تيمور الذى ملك الممالك * فنصب من جهته سلطانا * وشيد فى دار الملك خانا * ودعارؤس الميسرة ووجوه قبائلها اليه * فلبوادعوته وأقبلوا عليه * اذ كانوا أقوى من غيرهم * آمنين من ضر الجغتاى وضيرهم * فقوى بذلك سلطانه * وعمر بقفول الجنود خانه * وثبت فى دار الملك أساسه وعلت أركانه * وأماتوقتاميش فبعد أن تراجع وهله * واستقرّ فى دماغه عقله * ورحل عدوّه * وحصل هدوّه * جمع عساكره * واستنجد قومه وناصره * فلازالت ضروب الضراب لحراب الحروب بينه وبين ايدكو قائمه * وعيون السكون بجفون الزمان المتعامى عن صلحهما نائمه * الى ان بلغ مصافهم خمس عشرة مره * يدأل هذا على ذاك تارة وذاك على هذا كره * فأخذ أمر قبائل الدشت فى التنقص والشتات * وبواسطة قلة المعاقل والحصون وقعوا فى الانبثاث والانبتات * لاسيما وقد تناوشهما أسدان * وأظل عليهما نكدان * وقد كان جلهم ذهب مع تيمور * وأمسى وهو فى أمره محصور * وفى حصره مأسور * فانفلذت منهم طائفة لاتحصى ولاتحصر * ولا يمكن ضبطها بديوان ولا دفتر * وانحازت الى الروم والروس * وذلك لحظهم المشؤم وجدّهم المعكوس * فصاروا بين مشركين نصارى * ومسلمين أسارى * كما فعله جبلة بنى غسان * واسم هذه الطائفة قرابوغدان * فبواسطة هذه الاسباب * آل عامر الدشت الى الخلا والخراب * والتفرّق والتباب * والانفلات والانقلاب * وصارت بحيث لوسلكها أحد * من غير دليل ورصد * فانه يهلك على الحقيقه * لاضاعته فى المجاز طريقه * أما صيفا فلانّ الرياح للرمال تسفى * فتخفى الطريق على المارة وتعفى * وأما شتاء فلانّ الثلج النازل فيها * يتراكم عليها فيغطيها * اذ كل أرضها مجاهل * ومنازلها مذاهل * ومراحلها مهامه ومناهل * فعلى كل تقدير * سلوكها مهلك عسير *

فكانت الوقعة الخامسة عشر على ايدكو فتشتت وتشرد * وتبذر وتبدد * وغرق هو ونحو من خمس مائة رجل من أخصائه فى بحر الرمل فلم يشعر به أحد * واستبد توقتاميش بالمملكه * وصفا له دشت بركه * وكان مع هذا متشوقا لاخبار ايدكو وأحواله * متشوقا لمعرفة كيفية هلاكه فى رماله * ومرّ على ذلك نحو من نصف سنه * وانقطع أثره عن الاعين وخبره عن الالسنه * وايدكو كان دعميص تلك الاعقاص والاحقاف * وممن قطع بسير أقدامه أديم تلك النعال والاخفاف * فصار يتربص ويتبصر * ويتفكر معنى ما قلته ويتدبر * وهو شعر

أرقب الامر وانتظر فرجا ❀ وانتهز وقتا اذا ماجا
وأمزج الصبر بالمجى فبه ❀ ورق التوت صار ديباجا

فلما تيقن أن توقتاميش ايسه * وتحقق ان ليث المنايا افترسه * شرع بتجسس أخباره ويتتبع * ويستشرف آثاره ويتطلع * الى أن تحقق من الخبر * أنه فى متنزه منفرد عن العسكر * فامتطى جناح الخيل * وارتدى جنوح الليل * ووصل السير بالسرى * واستبدل السهر بالكرى * فارعا الى الهضاب * فروع الحباب * مقرعا من الربى * اقراع الندى * حتى وصل اليه تيمور وهو لا يعلم * وانقض عليه كالقضاء المبرم * فلم يفق الاوالبلايا احتوشته * وأسود المنايا انتوشته * وثعابين الرماح وأفاعى السهام نهشته * فحاولهم قليلا * وحاولهم طويلا * ثم انجدل قتيلا * وكانت هذه المرة من الوقعات السادسة عشر خاتمة التلاق * وحاكمة الفراق * فاستقر أمر الدشت على متولى ايدكو * وصار القاصى والدانى والكبير والصغير الى مراسيمه يصغو * وتفرقت أولاد توقتاميش فى الآفاق * جلال الدين وكريم بردى فى الروس وكوبال وباقى اخوته فى سغناق * واستمر أمر الناس على مراسيم ايدكو يولى السلطنة من شاء * ويعزله منها اذا شاء * ويأمر فلا يخالفه أحد * ويحد فلا يعصا وزذلك الحد * فمن ولاه قوبليغ تيمور خان وأخوه رشادى بيك خان * ثم فولاد خان بن قوبليغ تيمور ثم أخوه تيمور خان * وفى أيامه تخبطت الامور * فلم يسلم لايدكو زمامه * وقال لاعزله ولا كرامه * أنا الكبش المطاع فانى أكون مطيعا * والثور المتبوع فكيف أصير تبيعا * فالتحم بينهما الشقاق ونجم من ذوى الضغينة مخبو النفاق * وجرت شرور ومحن * وحروب وإحن * وبنا ظلمات الفتن احتبكت * ونجوم الشرور فى دياجى الدشت بين الفريقين اشتبكت *

واذا

واذا ببدر الدولة الجلاليه * من مشارق السلالة التوقتاميشيه * بزغ متهللا * وفرع من بلاد الروس مقبلا * وكانت هذه القضيه * في شهور سنة أربع عشرة وثمانمائه * فتعاظمت الامور * وتفاقت الشرور * وضعف حال ايدكو وقتله تيمور * واستمر النفاق والشقاق * بين ملوك ممالك قفجاق * الى ان مات ايدكو غريقا جريحا * وأخرجوه من نهر سيحون بسرايجوق وألقوه طريحا * رحمه الله تعالى * وله حكايات عجيبه * وأخبار ونوادر غريبه * وسهام ذراه في اعدائه مصيبه * وأفكار مكائد وواقعات مصائد * وله في أصول فقه السياسة نقود وردود * البحث فيها يخرج عن محصول المقصود * وكان أسمر شديد السمرة ربعه * مستمسك البدن شجاعا مهابا ذا رفعه * جوادا حسن الابتسامه * ذا رأى مصيب وشهامه * محبا للعلماء والفضلاء * مقربا للصلحاء والفقراء * يداعبهم بألطف عباره * وأظرف اشاره * وكان صواما * وبالليل قواما * متعلقا باذيال الشريعه * قد جعل الكتاب والسنة وأقوال العلماء بينه وبين الله تعالى ذريعه * له نحو من عشرين ولدا كل منهم ملك مطاع * وله ولايات على حدة وجنود وأتباع * وكان في جماعات الدشت اماما * نحو من عشرين عاما * وأيامه في جبين الدهر غرّه * ولياليٰ دولته على وجه العصر طرّه *

(رجعنا الى ما كنا فيه من أمور تيمور ودواهيه)

ولما وصل تيمور الى أذربيجان * وانبث عسكره في ممالك سلطانية وهمذان * واستدعى الملك الطاهر سلطان ماردين وأطلقه * وانعم عليه كما ذكر واستوثقه * وولاه ما بين الشام والعراق * وأحكم تلك الممالك بما وسعه من المكر والنفاق * ولم يمكنه الاقامة بملك العجم * لما نعه من الدشت من أمم * وجه عنان قصده * الى ممالك سمرقنده * فنفض فيها أوطابه * وفرغ عما كان ملأ به من الدشت جرابه * ثم خرج من غيرتوان * وقطع جيحون بالطوفان * ووصل الى خراسان * وواصل السير الى أذربيجان * وتوجه اليه طهرتن حاكم أذربيجان * متلقيا طوق مراسمه بجيد الاطاعة والاذعان * وأهمل أمر ماردين وتناساها * ولم يتعرض الى ما يتعلق بها من مدنها وقراها *

❋(ابتداء ثوران ذلك القتام فيما يتعلق بممالك الشام)❋

ثم انه قصد الرها * ورام نهبها * فخرج اليه شخص من أعيانها * ورؤساء قطانها *
يقال له الحاج عثمان بن الشكشك * فصالحه واشتراها * بجمل من الاموال وحملها
اليه وأداها * فعند ذلك أرسل الى القاضي برهان الدين أبي العباس * أحمد
الحاكم بقيصرية وتوقات وسيواس * من الرسل عدّه * ومن الكتب شدّه * يبرق فيها
ويرعد * ويرغي في بحرها ويزبد * ويقيم بفحاويها ويقعد * ومن جملة فحواه *
ومضمون ذلك وما حواه * أن يخطبوا باسم محمود خان * أوسيورغاتمش خان وباسمه *
ويضربوا السكة على طرز ذلك ورسمه * كما هو دابه * ويحمله رسوله وكتابه * فلم يؤمن
له السلطان برسول ولا بكتاب * ولا تقيد له بجوابه عن خطاب * بل قطع رؤس الرؤس
من قصاده * وعلقها في أعناق الباقين وأشهرهم في بلاده * ثم جعلهم شطرين *
وقسمهم نصفين * وأرسلهم الى جهتين * للسلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق منهم
جزء مقسوم * والجزء الآخر الى السلطان أبي يزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان حاكم
ممالك الروم * وأخبرهما بالقضيه * عن جليه * وما ورد عليه من خطاب تيمور الممقوت *
وانه جعل في ذلك جوابه السكوت * وقتل قاصديه نكايه * ولم يزده على هذه الحكايه *
وانما فعل ذلك برسله وقصاده * استهوانا به واستعظاما لما فعله بعباد الله تعالى وبلاده * ثم
قال القاضي إعلموا أني جاركما * ودياري دياركما * وأنا ذرة من غباركما * وقطرة من بحاركما *
ومافعلت معه هذا مع ضعف حالي * وقلة مالي ورجالي * وضيق دائرتي وبلادي *
ورقة حاشية طريفي وتلادي * الا اعتمادا على مظاهرتكما * واتكالا على مناصرتكما *
واقامة لاعلام حرمة دولتكما * ونشر الرايات هيبة صولتكما * فاني جنة ثغركما * ووقاية نحركما *
وشاويش جنودكما * وجاليش بنودكما * وربيئة طلائعكما * وطليعة وقائعكما * والان أين لي
مقاومته * وأنى تيسر لي مصادمته * وقد سمعتم أحواله * وعرفتم مشاهدته وأفعاله *
فكم من جيش كسر * وقيل أسر * وملك ملك * وملك أهلك * وستر هتك *
ونفس سفك * وحصن فتح * وفتح منح * ومال نهب * وعز سلب * وصعب أذل *
وخطب أحل * وعقل أزل * وفهم أخل * وخيل هزم * وأس هدم * وسؤل قطع *
وقصد منع * وطود قلع * وطفل فجع * ورأس شدخ * وظهر فضخ * وعقد فسخ *

ونار

ونار أشب * وريح أهب * وماء أغار * ورهج أثار * وقلب شوى * وكبد كوى *
وجند قصم * وطرف أعمى وسمع أصم * وأنّ لى ملاطمة سيل العرم * ومصادمة الفيل المغتلم *
فان تجد تمانى وجد تمانى * وان خذلتمانى بذلتمانى * ويكفيكما هيبة وشهره * وناهيكما
أبهة ونصره * ان من خدامكما قدامكما * من كفا كمادها كما * وان أصابنى والعياذ بالله
منه ضرر * أو تطاير الى مملكتى من جمرات شره شرر * ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة
الحوادث الى مفعول به وثان وثالث * قلت شعر

والشر كالنار يبدو حين تقدحه * شراره فاذا بادرته خمدا
وان توانيت عن اطفائه كسلا * أورى فتائل تشوى القلب والكبدا
فلو تجمع أهل الارض كلهم * لما أفادوك فى اطفائها أبدا

وانما أهملت خطابه * وأمهلت جوابه * لترسما فاقتفى * وتأمرا فاكتفى * وتؤسسا
فأبنى عليه * وتحاوبا فيصل ذلك كذلك منى اليه *

* (ذكر ما أجاب به السلطان أبو يزيد بن عثمان للقاضى برهان الدين أبى العباس) *
(سلطان ممالك سيواس)

فأما السلطان أبو يزيد بن عثمان فان هذا الفعل أعجبه * ونغم هذا القول أطربه *
واستحسن هذا الحكم من القاضى واستصوبه * وأرسل اليه يقول ان ارتدع تيمور عنه
وانتهى * والا فلنأتينه بجنود لا قبل له بها * فليقابله بعين قريره * وليثبت له بحسن
البصيره * واخلاص السريره * ولا يجزع من جنوده الغزيره * فكم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيره * وان اقتضت آراؤه السديده * وأحكامه السعيده * توجه بنفسه
اليه * وقدم بالغزاة والمجاهدين عليه * ليرفع أعلامه * وينفذ أحكامه * ويكون
لسيفه يدا * ولجناحه عضدا * ثم أرسل كتابه * وانتظر جوابه * وأما الملك الظاهر
فما رأيت له كتابا * ولا حققت منه له جوابا * والظاهر أنّ جواب الملك الظاهر أبى
سعيد * كان شقيق جواب السلطان الغازى أبى يزيد * اذ أفعالهما وأقوالهما فى
الباطن والظاهر * كانت من باب توارد الخاطر * ثم انى رأيت كتابا * يتضمن خطابا
وجوابا * وذكر انّ الخطاب من ذلك الغادر * والجواب من الملك الظاهر * وكلاهما

سوى آي الكتاب غير زاه ولا زاهر * أما صورة الخطاب * فهو قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلموا أنا *
جند الله مخلوقون من سخطه * مسلطون على من حل عليه غضبه * لا نرق لشاكٍ *
ولا نرحم عبرة باكٍ * قد نزع الله الرحمة من قلوبنا * فالويل كل الويل لمن لم يمتثل أمورنا
فانا قد خربنا البلاد * وأهلكنا العباد * وأظهرنا في الارض الفساد * قلوبنا كالجبال *
وعددنا كالرمال * خيولنا سوابق * ورماحنا خوارق * ملكنا لا يرام * وجارنا
لا يضام * فان أنتم قبلتم شرطنا * وأصلحتم أمرنا * كان لكم ما لنا * وعليكم ما علينا *
وان أنتم خالفتم وأبيتم * وعلى بغيكم تماديتم * فلا تلومن الا أنفسكم * فالحصون منا
لا تمنع * والعساكر لدينا لا ترد ولا تدفع * ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع * لانكم
أكلتم الحرام وضيعتم الجمع * فابشروا بالذلة والجزع * فاليوم تجزون عذاب الهون
وقد زعمتم أننا كفره * فقد ثبت عندنا أنكم فجره * قد سلطنا عليكم من بيده أمور
مقدره * وأحكام مدبره * كثيركم عندنا قليل * وعزيزكم عندنا ذليل * قد ملكنا
الارض شرقا وغربا * وأخذنا منها كل سفينة غصبا * وأرسلنا اليكم هذا الكتاب *
فأسرعوا في رد الجواب * قبل أن ينكشف الغطاء * ولم يبق لكم باقية فينادي عليكم منادي
الفناء * هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا * وقد أنصفناكم اذ راسلناكم * ونثرنا
جواهر هذا الكلام * عليكم والسلام * وهذه صورة الجواب وقيل هو انشاء القاضي
علاء الدين بن فضل الله وما أظن لذلك صحه * وهو بسم الله الرحمن الرحيم قل اللهم
مالك الملك تؤتي الملك من تشاء * وتنزع الملك ممن تشاء * وتعز من تشاء وتذل من تشاء *
بيدك الخير انك على كل شيء قدير * حصل الوقوف على كتاب جهز من الحضرة الايلخانيه *
والسدة العظيمة الكبيرة السلطانيه * قولكم (انا مخلوقون من سخطه * مسلطون على من
حل عليه غضبه * لا نرق لشاك ولا نرحم عبرة باك * قد نزع الله الرحمة من قلوبكم) *
فهذا من أكبر عيوبكم * وهذا من أقبح ما وصفتم به أنفسكم * ويكفيكم بهذه
الشهادة واعظا اذا اتعظتم قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ففي كل
كتاب ذكرتم * وبكل قبيح وصفتم * وزعمتم أنكم كافرون * ألا لعنة الله على الكافرين *
من تشبه بالاصول لا يبالي بالفروع * نحن المؤمنون حقا لا يصدنا عيب * ولا يداخلنا
ريب * القرآن علينا نزل * وهو رحيم بنا لم يزل * وقد عمنا بركة تأويله * وقد

خصنا

[illegible]

وتلا الكافرون آية النصر على أصحاب الفيل * وأرسلوا عليهم من السهام طيرا أبابيل * فلم ينتفعوا بالافيال * بل أفنت الافيال غالب الخيل والرجال * ثم تراجعت عساكر الهنود * وأبطال الخيالة من الجنود * وكتبوا الكتائب وبندوا البنود * ثم تراموا وتصافوا * وتضاموا وتحافوا * وهم ما بين مجوسى ومسلم * ومبارز منتسب ومناد بالشعار معلم * وكل فى سواد اللون من الحديد كقطع الليل المظلم * ثم تداعوا مع التتار وتزاحفوا * وبعد المراشقة بالسهام بالرماح تثاقفوا * ثم بالسيوف تضاربوا * ثم تلاتبوا وتواثبوا * ثم تراموا عن ظهور الخيل * واعتكر فى ذلك القتام النهار بالليل * ولا زالت تختلف بينهم الضربات * وتصول فيهم الحملات * وتخمد منهم الصولات * حتى تلا لسان القضاء والقدر إن فى اختلاف الليل والنهار لآيات * ثم تناهى الاقتحام * وانفرج الازدحام * وأسفرت القضية عن أن بردحامى الهند فانهزم جيش حام * وحل بالهنود الويل * ومحا الله آية الليل * ولما تفرقت الهنود وفلوا * وانتهى عقد عملهم فى المحاربة فحلوا * وقتلت سرواتهم وهرب سلطانهم ملوا * وثبت تيمور وحكمه فى هنده * الى الآن كما ثبتت أوتاده فى سمرقنده * فجمع أقيالها * وربط أفيالها * وضبط أحوالها * وما غفل عن ضبطه ما عليها وما لها * وسلم أفيالها فيالها * ثم توجه نحو تختها وهى مدينة دهلى * مصر عظيم جمع فنون الفضل وأرباب الفخر الجلى * معقل التجار * ومعدن الجواهر والبهار * فتمنعت عليه بالحصار * فأحاط بذلك السواد الاعظم * من عساكره السواد الاعظم * ومن معه من الخلائق والامم * فقيل ان هذه العساكر والخلائق مع عظمها وكثرتها * لم يقدروا أن يكتنفوها لسعة دائرتها * وانه أخذ هامن أحد جوانبها بالمحاصره * وتم الجانب الآخر ثلاثة أيام فى المجاذبة والمشاجره * لم يدر من فى الجانب المحاصر * لبعد المدى وكثرة الامم ما فعل بالجانب الآخر *

❊(ذكر وصول ذلك الخبر الى ذلك المعقوق بوفاة الملكين أبى العباس أحمد)❊
(والملك الظاهر برقوق)

وبينما هو قد استولى على كرسى الهند وأمصاره * واحتوى على ممالكه وأقطاره * وبلغت مراسيمه أعماق أنجاده وأغواره * وانبث جيشه فى ولاياتها سهلا ووعرا * وظهر

[illegible]

من يكفيك أمر رعيتك وأجنادك * ويقوم بحفظ مملكتك وبلادك * وأنى لك بلاد وممالك * وأنت عن قريب هالك * فان كان لك عين باصره * وبصيرة فى نقد الاشياء ماهره * فاترك الدنيا واشتغل بعمل الآخره * ولو ملكت ملك شدّاد * ورجع اليك اقتدار العمالقة وعاد * وساعدك النصر والعون * حتى تبلغ مقام هامان وفرعون * ورفع اليك خراج الربع المسكون * حتى تفوق فى جمع المال قارون * وصرت فى خراب البلاد كبختنصر * الذى طول الله تعالى له فقصر * وبالجملة فلو بلغ سلطانك الاقطار * وقضيت من دنياك غاية الاوطار * وصار عمرك فيها أطول الاعمار * وخدامك فيها ملوكها الاغمار * فقهر جندك قيصر * وكسر كسرى فانكسر * وتبعك تبع والنجاشى * وأوساط الملوك والاقيال غدوا لك خدّاما وحواشى * وفغر لك فغفور بالثناء فاه * وأخنيت على الخان وخاقان فوجه كل فى رقعة دستك شاه * وأذعن لك فرعون مصر وسلطانها * وجبى لك على يد خير الدين ايران الدنيا وتورانها * وآل أمرك الى أن كان لك سكان الاقاليم وقطانها * أليس قصارى تطاول قصورك الى القصور * ونهاية كمالك النقص وحياتك الموت وسكناك القبور *

قلت شعر

فعش ماشئت فى الدنيا وأدرك * بها مارمت من صيت وصوت
فخيط العيش موصول بقطع * وحبل العمر معقود بموت

وقيل شعر

قميص من القطن من حلة * وشربة ماء قراح وقوت
ينال به المرء مايرتجى * وهذا كثير على من يموت

فأين أنت من نوح وطول عمره * ونياحته على قومه وحسن عبوديته وشكره * ولقمان ووعظه ولده * وتربيته لطول الحياة لبده * وداود فى ملكه الفسيح * مع قيامه بأوامر الله تعالى وكثرة الذكر والتسبيح * وسليمان بعده وحكمه على الانس والجنّ والطير والوحش والريح * وذى القرنين الذى ملك المشرقين وبلغ المغربين وبنى السد بين الصدفين * وداخ البلاد * وملك العباد * وأين محلك من سيد الانبياء وخاتم الرسل * وصفوة الاصفياء المرسل * رحمة للعالمين * الكائن نبيا وآدم بين الماء والطين * محمد المصطفى * وأحمد المجتبى * الذى زويت له مشارق الارض ومغاربها * وتمثل بين

يديه شاهدها وغائبها * وفتحت له خزائنها * وعرض عليه ظاهرها وكامنها * وكانت جنوده الملائكة الكرام * وآمن به الانس والجنّ والطير والوحش والهوام * وأيده الله الكريم المتعال * بأن أرسل لطاعته ملك الجبال * وكان حامل رايات نصره نسيم الصبا باليمين والشمال * فملك الجبابرة بالهيبة والقهر * وكانت الاكاسرة والقياصرة تهابه من مسيرة شهر * وأيده بنصره وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار * وتولى نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار * وان الله سبحانه به أسرى * فى بعض ليلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى * وكان مركوبه الشريف البراق * ثم عرج به الى السبع الطباق * وقرن اسمه الكريم مع اسمه * وتعبد عباده بما شرعه الى يوم القيامة من غير تغيير لحدّه ورسمه * وخلق لاجله الكائنات * وأنار بوجهه الموجودات * ولم يخلق فى الكون أشرف منه ولا أفخر * وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر * وأظهر من معجزاته ان اشبع الجم الغفير * من القرص الشعير * وسقى الكثير من الرعال * مما نبع من بين أصابعه من الماء الزلال * وانشق له القمر * وسعت اليه الشجر * وآمن به الضب وسلم عليه الحجر * وهل تحصى معجزاته * وتحصر كراماته * وناهيك بمعجزاته المؤيده * وكرامته المؤبدة المخلده * على مرّ الزمان * الباقية ما دار الحدثان * الساكنة ما تحرك الملوان * وهو القرآن المجيد * الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * وهذه منازله فى الدنيا * غير ما ادّخر له فى العقبى * وبشره بقوله وللآخرة خير لك من الاولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى * مع ان الله تعالى أخذ ميثاق النبيين بالايمان به وبنصره فلو أدركوه لم يسعهم الا اتباعه وامتثال أمره * فهو دعوة ابراهيم الخليل * ومتوسل موسى وعلماء بنى اسرائيل * والمبشر بقدومه على لسان عيسى فى الانجيل * وحامل لواء الحمد به يوم لقائه * فآدم ومن دونه تحت لوائه * وهو صاحب الحوض المورود * والمخاطب من ربه فى موقف الشفاعة والمقام المحمود * وبمعنى ما قلت مغوفا مقتبسا

شعر

قل تسمع اشفع تشفع سل تنله تحمد ※ تفو بف خلعة عز واقتبس نعمى

فانظر الى هؤلاء السادة * معادن الخير ومفاتيح السعاده * هل رغبوا فى الدنيا واعتمدوا عليها * أو نظروا الا بعين الاحتقار والاعتبار اليها * أو هل كان نظرهم غير التعظيم لامر الله * والشفقة على خلق الله * وناهيك بالخلفاء الراشدين * وأعظم

بالعمرين

وجرى بينه وبين الاستاذ عبد القادر المراغي مباحثات * وكان اميرانشاه به مغرما * بعد صحبته والعشرة معه مغنما * وكان تيمور لا يعجبه اللعب * ولا يستهويه اللهو والطرب * فقال ان القطب أفسد عقل أميرانشاه * كما أفسد عبد القادر احمد بن الشيخ اويس واطغاه * فوصل ذلك الطاغ * سابع عشر شهر ربيع الاول سنة اثنين وثمانمائة الى قراباغ * فأناخ بها ركابه * واراح بها دوابه * وضبط ممالك اذربيجان * وقتل اولئك المفسدين واهل العدوان * ولم يتعرض لاميرانشاه * لانه ولده وهو انشاه * وبينهما امور متشابهات لا يعلم تأويلها الا الله * ثم توجه بذلك الخميس * ثاني جمادى الآخرة يوم الخميس * واخذ مدينة تفليس * وقصد بلاد الكرج * وهدم ما استولى عليه من قلعة وبرج * وقلعهم الى الصياصى * والقلاع العواصى * وقتل من ظفر به من طائع وعاصى * وجرهم ما بين رؤس ونواصى * ثم ثنى عنان الفساد * وحرش ابغاة على بغداد * فهرب السلطان احمد من ذلك اللجب * الى قرايوسف فى ثامن عشرى شهر رجب * فسكن تيمور زعازعه * وطمن بذلك مراقبه ومنازعه * وتمهل فى السير * واستعمل فى نحوه مع مناظريه مباحث سوى وغير * وصار يتجاوز ويتحاول * وينشد وهو يتغافل شعر

أموه عن سعدى بعلوى وانتم ❁ مرادى فلا سعدى اريد ولا علوى

فتراجع السلطان احمد وقرايوسف يوما الى مدينة السلام * متصورين انه لم يبرح من بلاد الكرج الشام * فلما تحققا منه الخروج * وكانا حققا انه اذا عرج على شئ فما يعوج * وطار طائرهما نحو الروم * وترك ديارهما ينعق فيها الغراب والبوم * فتوجه ذلك القشعمان * الى مصيف التركمان * فأغمد السيف * وكف عن الحيف وتصرم الصيف *

❁(ذكر ما وقع من الفتن والبدع وما سل للشر ومن حسام)❁
(بعد موت سلطان سيواس والشام)

وكان اذذاك قد تخبط امر الناس * ووقع الاضطراب ببلاد مصر والشام الى سيواس * اما مصر والشام فلموت سلطانها * واما سيواس فلقتل برهانها * وكان موتهما متقارب

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وابن المؤيد وحاجي كلدي وحاجي ابراهيم وغيرهم ومن أكبرهم أبو القاضي برهان الدين فصار هؤلاء الامراء * والرؤس من الوزراء والكبراء * يدبرون مصالح الرعيه * ولا يفصلون الا بالاتفاق ما يقع من قضيه * فمات أبو القاضي برهان الدين وتولى ولده مكانه * وفاق بالعلم وحسن السياسة أباه وأقرانه * ففرّق ولايات ذلك الاقليم * على ابن المؤيد وحاجي كلدي وحاجي ابراهيم * فبقي حوالي السلطان محمد فريدون وغضنفر وبرهان الدين أحمد * ثم توفي السلطان محمد * عن غير ولد * فبقيت الولاية بين الثلاثه * على سبيل الاشتراك وراثه * وقلما اتفق ضرتان على زوج واحد والتقتا * ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * ومائة فقير * يلتفون في حصير * وملكان لا يسعهما أقاليم كبير * فأراد برهان الدين الاستبداد بالملك والاستقلال * فنصب لشريكيه أشراك الاحتيال * اذ الملك عقيم * فرصد لذلك الطالع المستقيم * ونظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم * فرأى شريكاه ان العيادة عياده * فطلبا بعيادته الحسنى ورام هو الزياده * فعاداه وقد عاداهما * وماراعياه ولكن راعهما وماراعاهما * فدخلا عليه وقد أرصد لهما رصدا * وأعدّ لهما من الرجال المعدّة عددا * وقتلهما وقد حصلا في قبضة الاشراك * وخلص توحيد السلطنة الاحمديه عن الاشراك * فقوي بالتوحيد سلطانه * وأضاء به للدين حجته وبرهانه * ولكن ناواه انداده * وعصى عليه من النواب اكفاؤه واضداده * وأظهر كامن العداوة أعداؤه وحساده * وقالوا هذه مرتبة لم ينلها آباؤه ولا أجداده * ونحن كلنا سواسية اذ انتمينا * فأنى يكون له الملك علينا * وحسد الرياسة هو الغل القمل * وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل * فمنهم شيخ نجيب صاحب توقات القاسيه * ومنهم حاجي كلدي وكان نائب أماسيه * فلما استقل بالملك تلقب بالسلطان * وكان قد استولى اذ ذاك السلطان علاء الدين على ممالك قرمان * فقال السلطان برهان الدين ان رواة التواريخ حدّثتنا وأسمعتنا * وكتب السير أنبأتنا وأخبرتنا * انّ ما حوالينا من الممالك متعلق بنا * من سلطاننا وارثنا * ثم شرع في استخلاص ما كان متعلقا بسلطانه * وجعل يشن الغارات على من يتمادى في عصيانه * فقلع قلعة توقات من الشيخ نجيب قسرا * واستصحبه معه طيبة وقهرا * وانحازت تتار الروم اليه وهم الجم الغفير * وعثمان الملقب بقرايلوك قال له أنا تحت أوامرك أمشي وفي قيد طاعتك أسير * فكان قرايلوك من جملة خدمه * وفي حساب تراكمه وحشمه *

فكان يرحل هو ومن معه من الناس * شتاء وصيفا بضواحي سيواس *

(ذكر محو قرايلوك عثمان آثار أنوار برهان الدين السلطان)
(بسبب ما أظهره من العدوان واضمره حالة العصيان)
(وقبض عليه لما غدر به الدهر وخان)

ثم انه وقع بين قرايلوك وبين السلطان منافره * أدّت الى المشاجره * وانتهت الى المراجحة والمناقره * فنقض العهود والذمم * وامتنع من حمل التقادم والخدم * وتمنع في الاماكن العاصية بمن معه من التراكمة والحشم * فلم يكترث به السلطان * لانه كان أقل الاعوان * وجعل يتوجه الى اماسية وأخرى الى أرزنجان * وكان بالقرب من سيواس مصيف * منظره ظريف * وترابه نظيف * وماؤه خفيف * وهواؤه لطيف * كان الخلد خلع على أكتاف رياضه سندسه الاخضر * والفردوس فجر في خلال أشجاره من نهره الكوثر * على حدائقه من روضات الجنان شبه * وفي ربوة جبهته للابصار دهشات وللبصائر نزه * قلت شعر

عليه شقيق قدزها فكانه * صحون عقيق أترعت بالعنابر

فقصده قرايلوك * ورام في طريقه السلوك * فرّ على سيواس * وبها القاضي أبو العباس * فجاز بركابه * ولم يعبأ به * فالتهب تموزقيظه * وكاد يتميز من غيظه * وقال بلغ من هذا العواء أن يلج برج الاسد * ويقدم قدم اقدامه وأنا حل بهذا البلد * ثم أمر جماعته بالركوب * وقصد عليه الوثوب * واستفزه الغضب والطيش * ان ركب وسبق الجيش * فقال له بعض من معه من الجماعه * لو يلبث مولانا السلطان ساعه * حتى يتلاحق العسكر * كان أحزم واوفق وأجدر * وان كان حرمة مولانا السلطان فيها كفاية ولها أيد * لكن قرايلوك تركماني ذو دهاء وكيد * فلم يلتفت السلطان الى هذا الكلام * ولم يزل هاجما وراءه حتى هجم الظلام * فكرّ عليه قرايلوك بجماعته * فقبض عليه باليد من ساعته * ولم يدر بحاله العسكر * وتفرق أمراؤه وجنده شذر مذر

❊(ذكر ما كان نواه قرايلوك من الرأى المصيب ورجوعه عنه لسوء)❊
(طويته بشيخ نجيب)

ثم ان قرايلوك * عزم أن يجدّد معه العهد والميثاق * و يقلع غراس الخلاف و يؤسس بنيان الصداقة والوفاق * ويردّه الى مكانه * و يصير كما كان أوّلا من أنصاره وأعوانه * و يعلم بذلك السلطان انه له ناصح * فلا يسمع فيه كلام واش وكاشح * واذا بشيخ نجيب الذى كان متولى قلعة توقات * وحاصره السلطان وضيق عليه مسالك الطرقات * ثم قهره وغلبه * وأخذ قلعته و بالكراهة استصحبه * وجد فرصة فانتهزها * وكان فى قلبه كائن سخيمة فابرزها * فجاء الى قرايلوك * ووقف فى خدمته كالمملوك * وقال أعيذ عالم عقلك ان يزل * ودليل فهمك ان يضل * ومصيب رأيك ان يصاب * وجميل فكرك أن يعاب * قد أمكنك الله من العدوّ * وأنى لك مع هذا سكون وهدوّ *

قلت شعر

ما الدهر الا ساعة وتنقضى ❊ والمرء فيها حازم أو نادم

فلئن ابقيت عليه لا يبقى عليك * ولئن نظرت اليه بعين الرحمة والله لا ينظر اليك * فانه رجل غبى * وبأنواع المكر وأصناف الخديعة عبى * عسر القياد وأبيك لا ينجع فيه الخير وأبى * وهبك والعياذ بالله منه مكانه منك * أ كان يرق لك أو يصفع عنك * هيهات هذا والله محال * فقد وقع لك والله مجال * فما كل أوان * يسمح بالمراد الزمان * والدهر فرص وأ كثره غصص * فاياك ان تفوت الفرصه * فتقع فى الغصة وأى غصه * ولا ينفعك الندم * اذا زلت بك القدم * وتفكر فيما أقول * واستنبط دليل هذه المسئلة من المعقول * واستبق شرفك الرفيع باراقة دمه * وحسن استارحرمك بابتذال حرمه * وتذكر يا أمير * امورقابوس بن وشمكير * ولا زال ذلك الشيطان * يحسن له الرأى فى قتل السلطان * و يقول هذا الرأى أنفع لك وعليك أعود * كما فعل بسطام أمير الكرد بقرايوسف لما قبض على السلطان احمد * فرجع قرايلوك عن رأيه لما خدعه ودهاه * فقتل السلطان من غير امهال ولا توقف رحمه الله * وكان قتل قرايوسف السلطان احمد ابن الشيخ اويس فى عاشر شهر رجب سنة ثلاثة عشرة وثمانمائة والقصة مشهورة * وكان السلطان رحمه الله كما ذكرا أوّلا * عالما فاضلا كريما متفضلا * محققا فى التقرير *

مدققا في التحرير * قريبا من الناس * مع كونه شديد الباس * رقيق الحاشية
اديبا * شاعرا ظريفا لبيبا اريبا * جوادا مقداما * قرما هماما * نهاب الدنيا وهابها *
يهب الالوف ولن يهابها * يحب العلماء ويجالسهم * ويدني الفقراء ويكايسهم * قد
جعل يوم الاثنين والخميس والجمعة للعلماء وحفاظ القرآن خاصه * لا يدخل عليه معهم
غيرهم من تلك الامم الغاصه * وكان قد اقلع قبل وفاته عن جميع ما كان عليه * وتاب
الى الله تعالى ورجع اليه * وله مصنفات منها الترجيح * على التلويح * وكان عنده
نديم للفضل حريز * بغدادي الاصل يدعى عبد العزيز * وكان اعجوبة الزمان * وفي
لطائف الشعر والنظم فارسيا وعربيا أطروفة الدوران * سرقه من بغداد من السلطان
أحمد بن الشيخ اويس * فكان عنده رأس ندمائه وعين أهل الفضل والكيس *
والقاضي كان يربي الفضلاء * متطلبا من كل جهة الادباء والشعراء * وكان أهل
الفضل والادب يفدون عليه من كل فج * حتى صار مقامه كعبة الحاج لا كعبة الحج *
وصورة سرقته له انه لما سمع بأوصافه أحبه فأراد قربه فالتمسه من مخدومه * فلم تسمح
نفس السلطان أحمد بمفارقة نديمه * ثم اختشى من القاضي رهبه * وخاف لشدة دهيه
هربه * فوصى به وخرج عليه * وأقام له معقبات يحفظونه من خلفه ومن بين يديه *
فأرسل القاضي اليه رسولا ذكيا * فناداه نداء خفيا * وأجزل له العطيه * ووعده
مواعيد سنيه * وفرق ما بين السلطانين من الحسن والقبح * كفرق ما بين البحرين
العذب والملح * والملوين المساء والصبح * فلبى دعوته بالقبول * وواعد للخروج بعض
القفول * ثم خرج ولهيب الحر قد وقد * والسلطان أحمد عند الحريم قد رقد * ووضع
ثيابه على ساحل دجله * ووجه الى داخل النهر في الطين رجله * ثم غاص في الماء وبخر *
وخرج من مكان آخر * ولحق برفقائه * واختفى بينهم اختفاء اليربوع في نافقائه *
فطلبه السلطان أحمد * ففتشوا عليه فلم يوجد * فما الغوا في طلابه * الى ان وقفوا على
ثيابه * ورأوا آثار رجليه في الطين * فلم يشكوا ان الموج اختطفه فكان من المغرقين *
فكفوا اقدم السعي عن طلبه * ولم يضيقوا على أحد بسببه * ثم بعد أيام يسيره * أخرج
غريق بغداد رأسه بسيواس عند القاضي برهان الدين من تحت الحصيره * ففرقه في
أبحر نواله * وأسبغ عليه ذيل كرمه وافضاله * فصار عنده مقدما * ولديه مبجلا معظما *
ألف له تاريخا بديعا * سلك فيه مهيعا رفيعا * وانتهج منهجا منيعا * ذكر فيه من بدو

أمره الى قرب وفاته * مع مواقفه ووقائعه ومصافاته * ووشحه بظريف كناياته * ولطيف استعاراته * وفصيح لغاته وبليغ كلماته * ورشيق اشاراته ودقيق عباراته * مدّ فيه عنان اللسان * وهو موجود فى ممالك قرمان * فى أربع مجلدات ذكر ذلك لى من غاص بحره * واستخرج دره * ووقف على تاريخ العتبى فى اليمين * السلطان محمود بن سبكتكين * وأنّ هذا أحسن من ذلك أسلوبا * وأغزر ينبوعا * وأعذب مشروبا * مع أنى لم أقف عليهما * ولا وصلت لقصر الباع اليهما * ثم ان الشيخ عبد العزيز هذا بعد لهيب هذه النائره * انتقل الى القاهره * ولم يبرح على الابراح * ومعاقرة راح الاتراح * حتى خامرته نشأة الوجد فصاح * وتردّى من سطح عال فطاح * ومات منكسرا ميتة صاحب الصحاح * والله أعلم

❋ (ذكر ما وقع من الفساد فى الدنيا والدين بعد قتل قرايلوك السلطان) ❋
(برهان الدين)

ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن فى أولاده من يصلح للرياسه * وينفذ أحكام السلطنة والسياسه * فرجع قرايلوك الى سيواس * ودعا الى نفسه الناس * فلم يجيبوه * ولعنوه وسبوه * فأخذ يحاصرهم ويناكدهم * ويضيق عليهم ويعاندهم * فاستمدّوا عليه التتار فأمدّوهم * واتت طائفة منهم فنجدوهم * فكسرهم قرايلوك ففرّوا * واستنجدوا طوائفهم وكروا * وأقبلوا بالقض والقضيض * وملأوا البقاع والحضيض * فلم يكن لقرايلوك على جبة قتالهم طوق * فدخل عليهم من تحت وجاءهم من فوق * وتوجه الى تيمور * وكان بجر جيشه فى أذربيجان يمور * فقبل يديه * وانتمى اليه * وجعل يناديه الى هذه البلاد ويدعو * كما فعل معه الامير ايدكو * فحك له فى الدبره * فأجابه اجابة برصيصا بأمره

❋ (ذكر مشاورة الناس من أهل سيواس انى يسلكون ومن يملكون) ❋

ثم ان أهل سيواس * والاعيان من رؤسائها والاكياس * تشاوروا فيمن يملكون

قيادهم

قيادهم * والى من يسلمون بلادهم * السلطان مصر أم لابن قرمان * أم السلطان الغازى بايزيد بن عثمان * ثم اتفق رأيهم السديد * على المرحوم يلدريم بايزيد * فأرسلوا اليه قاصدا * واستنهضوه اليهم وافدا * وأنشدوه * وقد استنجدوه شعر

وكم أبصرت من حسن ولكن ❁ عليك من الورى وقع اختيارى

فتوجه من ساعته اليهم * وقدم بالعساكر والجنود عليهم * ومهد القواعد والاركان * وولى عليهم اكبر أولاده أمير سليمان * وأضاف اليه خمسة أنفار * من أمرائه الكبار * يعقوب بن أورانس وحمزة بن بجار وقوج على ومصطفى وداوادار * واستمال خواطر الاعيان * وتوجه الى أرزنجان * فهرب منها طهرتن المذكور * وقصد فى انهزامه تيمور * فاستولى ابن عثمان * على مدينة أرزنجان * وأخذ أموال طهرتن وذخائره وحرمه * ومكن منهن سواسه وغلمانه وخدمه * ورجع بالاموال والحول * واشتغل بمحاصرة استنبول

❁(فصـــــل)❁ فنبه قرايلوك وطهرتن * من تيمور قائم الفتن * وان كان المتحرك منه فى الفساد ماسكن * حتى توجه الى هذه البلاد * وعم فساده البلاد والعباد * فوصلوا الى ارزنجان واردين * ثم ارتحلوا ونزلوا مفسدين ماردين * فعصى عليه الملك الظاهر * لما كان قاساه أولا من طاعة ذلك الغادر * فندم على اطلاقه أول مره * كما يندم يوم القيامة ولم تنفعه الندامة والحسره * وكان ذلك فى سنة اثنين وثمانمائه * والخلف قد وقع بين العساكر الشامية والمصرية وانحاز الى كل فئه * وتفرقت آراؤهم أيادى سبا * ومال هؤلاء كل منهم الى دبور وشمال وصبا * وأهملوا أمور الرعايا * وغفلوا عن حلول الرزايا * قلت شعر

من يهمل الاعداء ويأمن كيدهم ❁ مثل النؤوم وراءه مستيقظ

قلت شعر

واللص ليس له دليل سائر ❁ نحو الذى يبغى كنوم الحارس

ثم قتل هو تنم ملك الامراء بالشام المحروس * أعيان الامراء والاعلام الرؤس * فى شهر رمضان من العام المذكور * وبيان هذه الامور * فى كتب التواريخ مسطور *

قلت شعر

واذا العرين تصرعت آساده ❁ عوت الثعالب فيه آمنة الردى

(ذكر قصد ذلك الغدار سيواس وما يليها من هذه الديار)

ثم ان تيمور وجه عنان الباس * نحو مدينة سيواس * وبها كما ذكر أمير سليمان *
ابن بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان * فأرسل يخبر أباه بهذا الامر المهول *
ويستنجده وهو اذ ذاك محاصر استنبول * فلم يطق ان يمد اليه يدا * لاحتياجه الى
المدد ولبعد المدى * فاستحضر من جنده أهل المنعه * وحصن المدينة والقلعه *
واستعد للقتال واستعد للحصار * وفرق رؤس أمرائه على أبدان الاسوار * وجهز تيمور
من جيشه العيون * ليتحقق ما هو عنده مظنون * ولما كشفت جيوشه لامير سليمان
زينها * فر لما أن رأى عينها * فعزم على التوجه الى أبيه * واشترط مع أمرائه وذويه *
أنهم يحفظون له البلد * ريثما يجهز لهم العدد والعدد * فلم يسعهم الا الموافقه *
والتخلف وعدم المرافقه * فرام لنفسه الخلاص * وأفلت وله حصاص * فوصل اليها
تيمور بتلك السيول الهاميه * سابع عشر ذى الحجه سنة اثنين وثمانمائه * ولما أحل
بسيواس رجله الشومى * قال أنا فاتح هذه المدينة فى ثمانية عشر يوما * ثم أقام فى
محاصرتها علامات الحشر * وفتحها فى اليوم الثامن عشر * بعدما عثى فيها وعاث * وذلك
يوم الخميس خامس المحرم سنة ثلاث * وبعد أن حلف للمقاتلة أن لا يريق دمهم *
وانه يرعى ذممهم ويحفظ حرمهم وحرمهم * ولما فرغت المقاتلة * واستمكن من المقاتله *
ربطهم فى الوثاق سربا * وحفر لهم فى الارض سربا * وألقاهم أحياء فى تلك الاخاديد *
كما ألقى فى قليب بدر الصناديد * وعدد من ألقى فى تلك الحفر * كان ثلاثة آلاف نفر *
ثم أطلق عنان النهاب * وأتبع النهب الاسر والخراب * وكانت هذه المدينة من أظرف
الامصار * فى أحسن الاقطار * ذات عمائر مكينه * وأماكن حصينه * ومآثر مشهوده *
ومشاهد للخير معهوده * ماؤها رائق * وهواؤها للامزجة موافق * وسكانها من
أحشم الخلائق يتعاونون التوقير والاحتشام * ويتعاطون أسباب التكلف والاحترام *
وهى متاخمة ثلاث تخوم * الشام وأذربيجان والروم * وأما الآن فقد حلت بها الغير *
وتفرق أهلها شذر مذر * وانمحت مراسم نقوشها * فهى خاوية على عروشها *

(ذكر انسجام صواعق ذلك البلاء الطام من غمام الغرام على فرق ممالك الشام)

ولما استنقى سيواس محا ونقيا * واستوفاها حصدا ورعيا * فوق سهام الانتقام * الى نحو ممالك الشام * بجنود ان قيل كالجراد المنتشر * فالجراد كان من أعوانها * أو كالسيل المنهمر * فسيل الدماء جار من فرندها وخرصانها * او كالفراش المبثوث فالفراش يحترق عند تطاير سهامها * أو كالقطر الهامى فالديم تضمحل عند انعقاد قتامها * رجال توران * وابطال ايران * ونمور تركستان * وفهود بلخشان * وصقور الدشت والخطا * ونسور المغول وكواسر الجتا * وأفاعى خجند وثعابين ايدكان * وهوام خوارزم وجوارح جرجان * وعقبان صغانيان * وضوارى حصار شادمان * وفوارس فارس واسود خراسان * وضباع الجبل وليوث مازندران * وسباع الجبال وتماسيح رستمدار وطالقان * وأصل قبائل خوز وكرمان * وطاس أرباب طيالسة اصبهان * وذئاب الرى وغزنى وهمذان * وافيال الهند والسند وملتان * وكباش ولايات اللور * وثيران شواهق الغور * وعقارب شهرزور * وجرارات عسكر مكرم وجندى سابور شعر

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طاروا اليه زرافات وحدانا

مع ما أضيف اليهم من أعيار الخدم * وفراعل التراكمة والاوباش والحشم * وكلاب النهاب من رعاع العرب وهمج العجم * وحفالة عباد الاوثان وأنجاس مجوس الامم * مالا يكتنفه ديوان * ولا يحيط به دفتر حسبان * وبالجملة فانه الدجال ومعه يأجوج ومأجوج * والرياح العقيمة الهوج * فتوجه والنصر قائده * والسعد رائده * والقضاء موافقه والقدر مساعده * ومشيئة الله تعالى سائقته * وارادة الله عز وجل فى تدبير العباد والبلاد سابقته * فبلغ خبره البلاد الشاميه * واتصل ذلك بالديار المصريه * فورد مرسوم شريف الى نائب الشام * وسائر النواب والحكام * وغزاة الدين وكماة الاسلام * ان يتوجهوا الى حلب * ويقيموا عليه الجلب * ويجتهدوا فى دفعه * ويتعاونوا على منعه * فتجهز نائب الشام سيدى سودون مع النواب والعسكر * ورحلوا الى حلب سنة ثلاث وثمانمائة فى شهر صفر * ووصل تيمور الى بهسنا * فنهب ضواحيها ولم يبق بها سنا * وحاصر قلعتها ثلاثة وعشرين ليله * فأخذها ولكن كف عنها للطيفة ربانية ثبوره وويله * ثم وطأ مدينة ملطية فأبادها * ودك أطوادها * ثم حل كعبه المشوم *

بقلعة الروم * وكان نائبها الناصري * محمد بن موسى بن شهري * وسنذكر ما جرى له معه مشبعا * وكيف اجتهد في مجاهدته وسعى * فأقام بها يوما * فلم ينتج له روما * ولم يحتفل لها بحصار وهياج * وقال هي أهون علي من تبالة على الحجاج * وذلك انه لما رآها من بعيد * قال فيها ما قاله من لم يصل الى العناقيد * والحق انه لما رآها * قال ان الله لما بناها * ادخرها لنفسه واصطفاها * ثم انجاب ذلك السحاب * الى عين تاب * وكان نائبها اركماس * رجلا شديد الباس * فحصنها واستعد * وباشر القتال بنفسه واستبد * ثم خرج فهرب الى حلب * فلم يرسل وراءه الطلب *

❀(ذكر ما ارسل من كتاب وتشنيع خطاب الى النواب بحلب وهو في عين تاب)❀

ثم ارسل الى النواب * قاصدا وهو في عين تاب * وصحبته مرسوم * بأنواع التفخيم موسوم * وبأصناف التهويل مرقوم * ومن جملته ان يطيعوا أوامره * ويكفوا عن القتال والمشاجره * ويخطبوا باسم محمود خان * وباسم الامير الكبير تيمور كوركان * ويرسلوا اليه اطلاميش الذي كان عنده في الخان * واقتبضه التركمان * وأرسله الى مصر لحضرة السلطان * واطلاميش هذا زوج بنت أخت تيمور * وكان جاء الى الشام قبل وقوع هذه الشرور * وفيما بين ذلك امور * كان لها بطون فصار لها ظهور * وكان أولا في مصر محبوسا * ونال ضرا وبوسا * ثم صار معززا مكرما * معظما مقدما * وكان تيمور عليه مغضبا * فجعل ذلك حجة للمعاداة وسببا * ثم شرع يقول * وهو يجول * في ميدان هذه الرسالة ويصول * انه هو أولى بسياسة الانام * وان من نصبه هو الخليفة والامام * وانه ينبغي ان يكون هو المتبوع والمطاع * وما سواه من ملوك الارض له خدام واتباع * وأنى لغيره دربة الرياسه * وكيف تعرف الجراكسة طرق السياسه * مع كثير من التهويل * والحشو والتطويل * وكان يعلم ان اجابتهم سؤاله محال * وانه طلب منهم ما لا ينال * ولكن قصد بذلك قرع باب الجدال * وتركيب الحجة عليهم في فتح مجرات القتال * فلم يجيبوه بالمقال * ولكنهم قضوا مراده بالفعال * ولم يلتفت سيدي سودون لما يقول * وضرب على رؤس الاشهاد عنق الرسول * واستعدوا للبرازه * واستعدوا للمناجزه *

(ذكر ما تشاور عليه النواب وهم في حلب وتيمور في عين تاب)

ثم ان النواب والامراء * ورؤس الاجناد والكبراء * تشاوروا كيف يكافحونه * وفي أي ميدان يناطحونه * فقال بعضهم عندي الرأي الاسد * ان نحصن البلد * ونكون على أسوارها بالرصد * نحرس بروج افلاكها * حراسة السماء بأملاكها * فان رأينا حواليها من شياطين العدو واحدا * أرسلنا عليه من رجوم السهام ونجوم المكاحل شهابا رصدا * وقال آخر هذا عين الحصر * وعلامة العجز والكسر * بل نحالق حواليها * ونمنع العدوان يصل اليها * ويكون ذلك افسح للمجال * وامرح للجدال * ثم ذكر كل من اولئك * ماعن له في ذلك * وخلطوا غث القول بسمينه * وساقوا هجان الرأي مع هجينه * فقال الملك المؤيد * شيخ الخاصكي وكان ذا رأي مسدد * وهو اذ ذاك نائب طرابلس يامعشر الاصحاب * واسود الحرب وفوارس الضراب * اعلموا ان أمركم خطر * وعدوكم داعر عسر * داهية دهياء * معضلة عضلاء * جنده ثقيل * وفكره وبيل * ومصابه عريض طويل * فخذوا حذركم * واعملوا في دفعه بحسن الحيلة فكركم * فان صائب الافكار * يفعل مالا يفعله الصارم البتار * ومشاورة الاذكياء * مقدحة الفكر * ومباحثة العلماء * مقدمة النظر * ان هذا البحر مايحمله بر * وجيشه عددا كالقطر والذر * وهو وان كان كالوابل الصيب * لكنه اعمى لانه في بلادنا غريب * فعندي الرأي الصائب * ان نحصن المدينة من كل جانب * ونكون خارجها مجتمعين في جانب واحد * وكنا له مراقب مراصد * ثم نحفر حوالنا خنادق * ونجعل اسوارها البيادق والبوارق * ونطير الى الآفاق أجنحة البطائق * الى الاعراب والاكراد * والتراكمة ومعاشر البلاد * فيتسلطون عليه من الجوانب * ويثب عليه كل راجل وراكب * ويصير مابين قاتل وناهب * وخاطف وسالب * فان أقام واني له ذلك ففي شر مقام * وان تقدم الينا صافحناه بسواعد الاسنة واكف الدرق وأنامل السهام * وان رجع وهو المرام رجع بخيبه * وأقيمت لنا عند سلطاننا الحرمة والهيبه * وان كان بسلامة علينا عرج * فلنا بحمد الله سلطان وفي سلطاننا فرج * وأقل الاشياء ان نمادده ونحرز من جنده * فعسى الله أن يأتي بالفتح اوأمر من عنده * وهذا الرأي الاسد * بعينه كان رأي شاه منصور الاسد * فقال تمرداش وهو نائب المدينة * ماهذه الاراء مكينة ولا هذه الافكار

رصينه * بل المناضلة خير من المطاولة والمناجزه * فى هذه المواطن قبل المحاجزه * ومقام المنازله * لاتجدى فيه المغازله * ولكل مقام مقال * ولكل مجال جدال * وهذا طير فى قفص * وصيد مقتنص * فاغتنموا فيه الفرص * وناوشوه بالحرب * وسابقوه بالطعن والضرب * لئلا يتوهم فينا الخور * و يستنشق من ركود ريحنا عرف الظفر * فاجمعوا أمركم وأعجلوا * ولا تنازعوا فتفشلوا * وانهضوا وثابروا * واصبروا وصابروا * فأنتم بحمد الله أهل النجده * وأولوا الباس والشدّه * وكل منكم فى فقه المناضلة مغن ومختار * وعلمه فى افاضة دماء الاعداء منار * وله فى ذلك كفايه * وهداية ونهايه * وغيره له بدايه * وهو لجمع الاسلام كنز واف وجامع كاف ووقايه * تنحو السنة سيوفكم الى تكليم الرؤس فهى فى لفظها كافية شافيه * وتصرف أشنان أسنتكم فى مضاعفة كل ذى فعل معتل فهى فى تصريف عللها شافية كافيه * فان كسرناه فزنا بالمنال * وكفى الله المؤمنين القتال * وتلك من الله معونه * وقد كفيناعساكر المصريين المؤنه * وكان ذلك أعلى لحرمتنا * وأقوى فى ورود النصر لشوكتنا * وأذكى لريح نصرنا وأزكى * وأبكى لعينه السخينة وانكى * وان كانت والعياذ بالله الاخرى * فلا علينا اذا بذلنا مجهودنا واوقفنا عذرا * ومخدومنا يدرك ثارنا * و يحيى آثارنا * فتوكلوا على الله العزيز الجبار * واستعدّوا لملاقاة هؤلاء الاشرار * واذا لقيتموهم زحفا فلا تولوهم الادبار * ولا زال تمرداش * يحسن لهم هذا الرأى اللاش * حتى اجمعوا عليه * واتفقوا على الخروج اليه * لانه كان صاحب البلد * وعلى كلامه المعول والمعتمد * وكان تمرداش قد خالف الجمهور * ووافق فى الباطن تيمور * وهذه كانت عادته * وعلى المراوغة جبلت طينته * فانه كان كالشاة العابره * والمرأة العاهرة الغائره * اذا التقى عسكران فلا يكاد يثبت فى أحدهما جبنا منه ومكرا * بل يعبر الى هذا مرة والى هذا اخرى * مع انه كان صورة بلا معنى * ولفظا بلا فحوى * فاعتمد تيمور عليه * وفوّض الامور اليه * وكذلك عساكر الشام * وجنود الاسلام * ثم حصنوا المدينة وأوصدوا أبوابها * وضيقوا شوارعها وزحابها * ووكلوا بكل حارة ومحلة أصحابها * وفتحوا الابواب التى تقابل ملتقاه * وهى باب النصر وباب الفرج وباب القناه *

(ذكر ما صبه من صواعق البيض واليلب على العساكر الشامية)

(عند وصوله الى حلب)

ثم ان تيمور نقل الركاب * فوصل في سبعة أيام الى حلب من عين تاب * فحل بذلك الخميس * تاسع شهر ربيع الاول يوم الخميس * وبرز من ذلك العسكر * طائفة نحو من ألفي نفر * فتقدم لهم من الاسود الشاميه * نحو من ثلثمائه * ففلوهم بالصفاح * وشلوهم بالرماح * فبددوهم وطردوهم * وحدروهم وشردوهم * ثم اصبحوا يوم الجمعة فبرز من عسكره نحو من خمسة آلاف * الى مصاف الثقاف * فتقدم اليهم طائفة اخرى * ارسالا وتترى * فالتحم بينهم النطاح * واشتبكت بين الطائفتين أنامل الرماح * فازدحموا واقتحموا * واشتدوا والتحموا * ولازالت أقلام الخط في ألواح الصدور تخط * والقضبان الصوارم لرؤس تلك الاقلام والاعلام تقط * ومشاريط النبال لدماميل الدمال تبط * والارض من اثقال اجبال القتال تأط * حتى سجى ليلا الظلام والقتام واغطشا * فتراجعوا وقد أعطى الله النصر لمن يشا * وجرى من دماء العدو مع كل فريق نهران * وفقد من العساكر الاسلامية نفران * ثم اصبحوا يوم السبت حادى عشره وقد تعبت الجنود الشاميه * والعساكر الاسلامية السلطانيه * بالعدة البالغه * والاهبة السابغه * والخيول المسومه * والرماح المقومه * والاعلام المعلمه * ولم يعوزا ولئك الصناديد * سوى شمة من النصر والتأييد * فنحوا قصده * وقصدوا رده وصده * وأقبلت عساكره والسعد الميمون طائره * والقضاء موازره والقدر مظاهره * بالجنود المذكوره * والجيوش المعهوده المنصوره * تؤمهم الاقيال * وأفيال القتال * واذا به قد اضمر لهم الويل * وعبى عساكره تحت جنح الليل * وبثهم فيهم وأرسل عليهم وقابلهم بمقدمتهم وشغلهم بأوائلهم * وأحاط الباقون بهم فأتوهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم * فمشى عليهم مشى الموس على الشعر * وسعى سعى الدبا على الزرع الاخضر * وكان هذا الجولان * على قرية حيلان * ولما اهتمش أمر الناس وهاش * وجاشت الهوشة والامتحاش * وتهارشت الاسود وانتطحت الكباش * فرت الميمنة وكان رأسها تمرداش * فانكسر العسكر وطاش * وأخذ الابطال من الدهشة الارتعاش * وغلبتهم الحيرة

والانهار * فلم يلبثوا ولا ساعة من نهار * ثم ولوا الدبر * وصارت لاقلام رماحه ظهورهم الزبر * واستمروا امامهم يتواثبون * وعسكره وراءهم يتخاطبون *

بمعنى ماقلت * شعر

جعلنا ظهور القوم فى الحرب اوجها * رقمنا بها ثغرا وعينا وحاجبا

فقصدوا المدينة من الباب المفتوح * وهم مابين مهشوم ومجروح * والسيوف تشقهم * والرماح تدقهم * وقد سالت بدمائهم الاباطح * ونثر من سائر لحمهم كل كاسر وجارح * فوصلوا الى باب المدينة وانكسروا * وهجموا فيه يدا واحدة وتكردسوا * ولا زال يدوس بعضهم بعضا * حتى صارت العتبة العليا من الباب أرضا * فانسدت الابواب بالقتلى * ولم يمكن الدخول منها أصلا * فتشتتوا فى البلاد * وتفرقوا فى المهامه والاطواد * وكسر باب انطاكية المماليك الاغتام * وخرجوا منه قاصدين بلاد الشام * فوصل فلهم الى دمشق فى أبشع صوره * وحكوا فى كيفية هذه الوقعة أشنع سيره * وصعد النواب الى قلعة حلب وتحصنوا * فضاقت عليهم الارض بما رحبت فاستأمنوا * ونزلوا بواسطة تمرداش اليه * وقد غسل كل منهم من الحيوة يديه * ثم انه مشى على هينته * مع وقاره ورزانته وسكينته * ودخل حلب * ونال منها ماطلب * وفاز بالروح والسلب * ولما نزل النواب اليه * قبض على سيدى سودون وشيخ على الخاصكى واما تمرداش فخلع عليه * وقبض على التونبغا العثمانى نائب صفد * وعلى عمر بن الطحان نائب غزة وجعل الكل فى صفد * وشرع فى استخلاص الاموال * وضبط الاثقال والانفال * وقد ملأت القلوب هواجس هيبته * وانتشر فى الآفاق شرار صولته * ثم انه لم يكتف بما ازهقه من النفوس * حتى بنى الميادين من الرؤس * وسبب ذلك ان ذا قرابة البريدى الذى أرسله الى حلب * وضرب نائب الشام عنقه وسلبه السلب * ذكر تيمور بقصته * وأراد القود من أهل حلب لذى قرابته * فأجاب سؤاله فمكنه * فعين يختار منهم ان يفعل فيه مااستحسنه * فقتل طائفة منهم وبنى من رؤسهم كذا وكذا ميدنه *

(زيادة ايضاح لهذه المحنة مما نقلته من تاريخ ابن الشحنه)

قال اخبرنى الحافظ الخوارزمى ان من كتب فى الديوان من عساكر تيمور ثمانمائة ألف نفس

ومنه ان تيمور قصد قلعة المسلمين وكان نائبها الناصرى محمد بن موسى بن شهرى وانه عصى
عليه وكان يخرج للغارات ثم قال ما نصه بحروفه وكان قد ابدع بجمائع تمرلنك وطراشته
مدة اقامته على بهسنا وقتل منهم جماعة وأرسل رؤسهم الى حلب وكسر توما نا كان جهزه
اليه اقبح كسرة حتى رمى غالب جماعته بأنفسهم فى الفراة وجهز تمرلنك كتابه الى المشار
اليه ونصه يقول فيه انى خرجت من أقصى بلاد سمرقند ولم يقف أحد امامى وسائر ملوك
البلاد حضروا الى وأنت سلطت على جماعتى من يشوّش عليهم ويقتل من ظفر به منهم والآن
قد مشينا عليك بعساكرنا فان اشفقت على نفسك ورعيتك فاحضر الينا لترى من الرحمة
والشفقة ما لا مزيد عليه والا نزلنا عليك وخربنا بلدك وقد قال الله تعالى ان الملوك اذا
دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها اذلة وكذلك يفعلون فاستعدّ لما يحيط بك ان ابيت
الحضور * فامسك المشار اليه الرسول وحبسه ولم يلتفت الى كلام تمرلنك فمشى اليه
أوائل عسكره فبرز اليهم المشار اليه وقاتلهم وكسرهم وفى اليوم الثانى حضر تمرلنك على قلعة
المسلمين وبرز اليه المشار اليه وقاتله قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة رأى فيها منه تمرلنك
شدة حزم ورجع عن محاربته وأخذ فى مخادعته وملاطفته وطلب منه الصلح وان يرسل اليه
خيلا وما لا لاجل حرمته فلم ينخدع منه وتنازل معه الى ان طلب منه جانبا فلم يعطه وعاد
خائبا وأخذ المشار اليه فى أواخره قتلا ونهبا واسرا كل ذلك وباب قلعته مفتوح لم يغلقه يوما
واحدا وأنشد فيه لسان الحال * شعر

هذا الامير الذى صحت مناقبه * ليث الوغى عمت الدنيا مفاخره
ولى تمرلنك مكسورا أوائله * منه مرارا ومذعورا أواخره

وكان حصول تلك السعادة للمشار اليه دون غيره من الملوك واصحاب الحصون لما كان فيه
من العلم والديانة والاخلاص والصيانة ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية رضى الله
عنها * ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع الاول نازل تمرلنك حلب وكان نائبها المقر السيفى
تمرداش وقد حضرت اليه عساكر البلاد الشامية وعسكر دمشق مع نائبها سيدى سودون
وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفى شيخ الخاصكى وعسكر حماة مع نائبها المقرّ السيفى
دقماق وعسكر صفد وغيرها فاختلفت اراؤهم فى قائل ادخلوا المدينة وقاتلوا من
الاسوار وقائل اخرجوا ظاهر البلد تلقاء العدو بالخيام فلما رأى المقر السيفى اختلافهم
اذن لاهل حلب فى اخلائها والتوجه حيث شاؤا وكان نعم الرأى فلم يوافقوا على ذلك وضربوا

خيامهم ظاهر البلد تلقاء العدو وحضر قاصد تمرلنك فقتله نائب دمشق قبل ان يسمع كلامه ويوم الجمعة حصل بين الاطراف تناوش يسير فلما كان يوم السبت حادى عشر شهر ربيع الاول زحف تمرلنك بجيوشه وقبيلته فولى المسلمون نحو المدينة وازدحموا فى الابواب ومات منهم خلق عظيم والعدو وراءهم يقتل ويأسر واخذ تمرلنك حلب عنوة بالسيف وصعد نواب المملكة وخواص الناس الى القلعة وكان أهل حلب قد جعلوا غالب أموالهم فيها وفى يوم رابع عشر شهر ربيع الاول أخذ القلعة بالامان والايمان التى ليس معها ايمان وفى ثانى يوم صعد اليها آخر النهار طلب علماءها وقضاتها فحضرنا اليه فاوقفنا ساعة ثم أمر بجلوسنا وطلب من معه من أهل العلم فقال لامير هم عنده وهو المولى عبد الجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفى والده من العلماء المشهورين بسمرقند قل لهم انى سائلهم عن مسئلة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهراة وسائر البلاد التى افتتحتها فلم يفصحوا عن جواب فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبنى الا أعلمكم وأفضلكم وليعرف ما يتكلم فانى خالطت العلماء ولى بهم اختصاص والفة ولى فى العلم طلب قديم وكان بلغنا عنه انه يتعنت على العلماء فى الاسئلة ويجعل ذلك سببا لقتلهم أو تعذيبهم فقال القاضى شرف الدين موسى الانصارى الشافعى عنى هذا شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها اسلوه والله المستعان فقال لى عبد الجبار سلطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا أم قتيلكم فوجم الجميع وقلنا فى أنفسنا هذا الذى بلغنا عنه من التعنت وسكت القوم ففتح الله على بجواب سريع بديع وقلت هذا سؤال سئل عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا مجيب بما اجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى صاحبى القاضى شرف الدين موسى الانصارى بعد ان انقضت الحادثة والله العظيم لما قلت هذا سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا محدث زمانى قلت هذا اعلمنا قد اختل عقله وهو معذور فان هذا سؤال لا يمكن الجواب عنه فى هذا المقام ووقع فى نفس عبد الجبار مثل ذلك والقى تمرلنك اليه سمعه وبصره وقال لعبد الجبار يسخر من كلامى كيف سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا وكيف اجاب قلت (جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فأينا فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الشهيد فقال تمرلنك خوب خوب وقال عبد الجبار ما احسن ماقلت وانفتح باب المؤانسة وقال انى رجل نصف

آدمى

آدمى وقد اخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتار فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الامة ولا تقتل احدا فقال والله انى لا اقتل احدا قصدا وانما انتم قتلتم انفسكم فى الابواب والله لا اقتل احدا منكم وانتم آمنون على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة منا فطمع كل من الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه فى المدرسة والقاضى شرف الدين ينهاهم ويقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فانه يعرف ما يقول وكان آخر ما سأل عنه ما تقولون فى على ومعاوية ويزيد فأشرت الى القاضى شرف الدين وكان الى جانبى ان أعرف كيف تجاوبه فانه شيعى فلم أفرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضى علم الدين القفصى المالكى كلاما معناه ان الكل مجتهدون فغضب لذلك غضبا شديدا وقال على على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وأنتم حلبيون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فأخذت فى ملاطفته والاعتذار عن المالكى بانه اجاب بشئ وجده فى كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط واخذ عبد الجبار يسال منى ومن القاضى شرف الدين فقال عنى هذا عالم مليح وعن شرف الدين وهذا رجل فصيح فسألنى تمرلنك عن عمرى فقلت مولدى سنة تسع واربعين وسبع مائة وقد بلغت الآن اربعا وخمسين سنة فقال للقاضى شرف الدين وانت كم عمرك فقال أنا أكبر منه بسنة فقال تمرلنك انتم فى عمر أولادى أنا عمرى اليوم بلغ خمسا وسبعين سنة وحضر صلوة المغرب واقيمت الصلاة وامنا عبد الجبار وصلى تمرلنك الى جانبى قائما يركع ويسجد * ثم تفرقنا وفى اليوم الثانى غدر بكل من فى القلعة واخذ جميع ما كان فيها من الاموال والاقمشة والامتعة ما لا يحصى * اخبرنى بعض كتابه انه لم يكن اخذ من مدينة قط ما اخذ من هذه القلعة وعوقب غالب المسلمين بانواع من العقوبة وحبسوا بالقلعة ما بين مقيد ومزنجر ومسجون ومرسم عليه ونزل تمرلنك من القلعة واقام بدار النيابة وصنع وليمة على زى المغل ووقف سائر الملوك والنواب فى خدمته وادار عليهم كؤوس الخمر والمسلمون فى عقاب وعذاب وسبى وقتل واسر وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم فى هدم وحرق وتخريب ونبش الى آخر شهر ربيع الاول * ثم طلبنى ورفيقى القاضى شرف الدين واعاد السؤال عن على ومعاوية فقلت له لا شك ان الحق كان مع على وليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدى ثلاثون سنة وقد تمت بعلى فقال تمرلنك قل على على الحق ومعاوية ظالم قلت قال

صاحب الهداية يجوز تقليد القضاء من ولاة الجور فان كثيرا من الصحابة والتابعين
تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع علي في نوبته فأمر لذلك وطلب الامراء الذين
عينهم للاقامة بحلب وقال ان هذين الرجلين نزول عندكم بحلب فاحسنوا اليهما والى
ألزامهما واصحابهما ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا أحدا من أذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا
تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما في المدرسة يعني السلطانية التي تجاه القلعة ففعلوا
ما أوصاهم به الا انهم لم ينزلونا من القلعة وقال انما الذي ولي الحكم منهم بحلب وكان يدعى
الامير موسى بن حاجي طغاي اني أخاف عليكما والذي فهمته من سياق كلام تمرلنك انه
اذا أمر بسوء فعل بسرعة ولا يحيد عنه واذا أمر بخير فالامر فيه لمن وليه * وفي أول يوم
من ربيع الآخر برز الى ظاهر البلد متوجها نحو دمشق وثاني يوم أرسل يطلب علماء
البلد فرحنا اليه والمسلمون في أمر مريج وقطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل ان تمرلنك أرسل
يطلب من عسكره رؤسا من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد التي اخذها فلما
وصلنا اليه جاءنا شخص من علمائه يقال له المولى عمر فسألناه عن طلبنا فقال يريد يستفتيكم
في قتل نائب دمشق الذي قتل رسوله فقلت هذه رؤس المسلمين تقطع وتحضر اليه بغير
استفتاء وهو حلف ان لا يقتل منا احدا قصدا فعادا اليه ونحن ننظر وبين يديه لحم سليق في
طبق يأكل منه فتكلم معه يسيرا ثم جاءنا اليها شخص بشيء من ذلك اللحم فلم نفرغ من
اكله الا وزعجة قائمة وتمرلنك صوته عال وساق شخص هكذا وآخر هكذا وجاءنا أمير
يعتذر ويقول ان سلطاننا لم يأمر باحضار رؤس المسلمين وانما أمر بقطع رؤس القتلى وان
يجعل منها قبة اقامة لحرمته على جاري عادته ففهموا منه غير ما أراد وانه قد أطلقكم
فامضوا حيث شئتم * وركب تمرلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق فعدنا الى القلعة
ورأينا المصلحة في الاقامة بها واخذ الامير موسى أحسن الله اليه في الاحسان الينا وقبول
شفاعتنا وتفقد أحوالنا مدة اقامته بحلب وقلعتها وتجيئنا الاخبار ان سلطان المسلمين الملك
الناصر فرج قد نزل الى دمشق وانه كسر تمرلنك ومرة تجيء بالعكس الى ان انجلت
القضية عن توجه السلطان الى مصر بعد أن قاتل مع تمرلنك قتالا عظيما أشرف تمرلنك منه
على الكسر والهزيمة وانما حصل من بعض أمرائه خيانة كان ذلك سبب توجهه آخذا
بالحزم ودخل تمرلنك الى دمشق ونهبها وأحرقها وفعل فيها فوق ما فعل بحلب ولم يدخل
ماردين بل أحضر له منها مال ولا جاوز فلسطين وعاد نحو حلب راجعا الى بلاده * ولما

كان سابع عشر شعبان من السنة المذكورة وصل تمرلنك عائدا من الشام الى الجبول شرقي حلب ولم يدخلها بل أمر المقيمين بها من جهته بتخريبها واحراق المدينة ففعلوا وطلبني الامير عز الدين وكان من أكبر أمرائه وقال ان الامير رسم باطلاقك واطلاق من معك فاطلب من شئت وكثر لاروح معكم الى مشهد الحسين واقيم عندكم حتى لا يبقى من عسكرنا أحد وكان القاضي شرف الدين لا يفارقني فطلبنا باقي القضاة واجتمع معنا نحو من ألفي مسلم وتوجهنا الى مشهد الحسين صحبة المشار اليه وأقمنا ننظر الى النار وهي تضرم في أرجائها و بعد ثلاثة أيام لم يبق بها أحد فنزلنا اليها فلم نر بها أحدا فاستوحشنا وماقدرنا على الاقامة بها من النتن والوحشة ولم نقدر على السلوك في الطرقات من ذلك

شعر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وكانت نواب بلاد الشام معه مأسورين وانفلتوا أوّلا بأوّل ومات سودون بالبطن معه في قبتبلبغا واستقرّ في نيابة دمشق تنكري وردي والله أعلم * هذا مانقلته من كلام ابن الشحنة كما وجدته

* (ذكر ورود هذا الخبر الذي اقلق ووصول استنبوغا الدوادار) *
(وعبد القصار الى جلق)

فورد من حلب استنبوغا الدوادار * والفتح الماهر المدعو بعبد القصار * وقالا معاشر المسلمين * الفرار ملاطاق من سنن المرسلين * من يقدر على هذا * فيطلب لنفسه طريق النجا * ومن أطاق أن يشمر ذيله * فلا يبيتن في دمشق ليله * ولا يغالط نفسه بالمداهنه * فليس الخبر كالمعاينه * فتفرقت الاراء * واختلفت الاهواء * وماج أمر الناس موجا * وتفرقوا كما هو دأبهم فوجا فوجا * فبعض الناس انزعج * وجهز امره وانترح * وبعضهم كابر واصر * وكثر أنيابه لاستنبوغا وعبد القصار واهر * وارادوا رجم هذين الناصحين * وان يسقوهما كأس حين * وقالوا انما اردتما بذلك تبديد الناس وتشريدهم * واجلاءهم عن اوطانهم وتحريدهم * وتفريق كلمتهم وتمزيق جلدتهم والافالامن حاصل * والسلطان بحمد الله واصل * والنواب في حلب كانوا شرذمة

قليله * ولم يتم لهم معه الفكر والحيله * مع انه حصل من بعضهم مخامره * ولم يوجد من الباقين مناصحة ومظاهره * ولم يكن لهم راس * فلا تأخذوا فى هذه المسألة بالقياس * وأما عساكر مصر فانهم كاملوا العدّه * وسابغوا العدّه * وفيهم للمسلمين فرج بعد الشدّه * فقالا نحن بعد التتيا والتى من شره سلمنا * وما شهدنا الا بما علمنا * وكل منا افصح عما أدّى اليه اجتهاده وأبان * ووالله انه فى نصيحته المسلمين النذير العرفان * وقد نصحنا كم ان كنتم مفلحين * ولكن لاتحبون الناصحين * واستمرّ أمر الناس فى الترديد والتشاعب * والتفرّق والتبديل والتشاغب * فبعضهم توجه نحو الاماكن القدسيه * وتوجه بعض الى الديار المصريه * وبعض تشبث بأذيال الحروف العاصيه * وتحصن آخرون بالاماكن الغامضة القاصيه *

(ذكر خروج السلطان الملك الناصر من القاهرة بجنود)
(الاسلام والعساكر)

ثم ان السلطان * خرج من غير توان * وتوجه بالعساكر والاستعداد التام * الى جهة بلاد الشام * فلما بلغ الناس ذلك سكن جاشهم * وزال استيحاشهم * ورد غالب من كان برح منهم * وانفرج الكرب والضيق عنهم * وأما أولوا العزم * وذووا الرأى السديد والحزم * فلم يلتفتوا الى قدوم السلطان * بل طلبوا لنفسهم الامان * وانتظروا مايتولد من حادثات الزمان * وكانّ أنامل الدهر الدائر * كتبت لهم على مرآة الخاطر ما أنشده الشاعر * شعر

ألا انما الايام أبناء واحد * وهذى الليالى كلها أخوات
فلا تطلبن من عند يوم وليله * خلاف الذى مرت به السنوات

وقلت شعر

ان اختفى ما فى الزمان الآتى * فقس على الماضى من الاوقات

(فصل) ولما نجز تيمورأمر حلب * ضبط أثقالها وما أخذ منها من مال وسلب * ووضعه فى القلعه * ووكل به بعض أمرائه من ذوى الشجاعة والمنعه * وهو الامير موسى بن حاجى طغاى * وكان ذا عزم شديد ورأى * وتوجه بذلك البحر

الطام * غرّة شهر ربيع الآخر الى جهة الشام * فوصل الى حماه * ونهب ما حوت يداه * ولم يحتفل بأمر نهب وأسير * ولا باسراع فى مسير * بل سار رويدا * وهو يكيد كيدا وهم يكيدون كيدا

(حكاية)

رأيت حين توجهت الى بلاد الروم فى أوائل شهر ربيع الاول سنة تسع وثلاثين وثمانمائه عند وصولنا الى حماه بالجامع النورى بها من الجانب الشرقى على حائطه القبلى نقشا على رخامة بالفارسى ما ترجمته * (وسبب تصوير * هذا التسطير * هو أنّ الله تعالى يسر لنا فتح البلاد * حتى انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق وبغداد * فجاورنا سلطان مصر ثم راسلناه وبعثنا اليه قصادنا بأنواع التحف والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا بذلك ان تنعقد المودّة بين الجانبين * وتأكد الصداقة من الطرفين * ثم بعد ذلك بمدّة قبض بعض التراكمة على أناس من جهتنا وأرسلهم الى سلطان مصر برقوق فسجنهم وضيق عليهم فلزم من هذا انا توجهنا لاستخلاص متعلقينا من أيدى مخالفينا واتفق لذلك نزولنا بحماه فى العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائه)

(فصل) ثم وصل الى حمص فلم يتعرّض بها للتشتيت وتبديد * ووهبها لسيدى خالد بن الوليد * قلت بديها شعر

ألا لا تجاور سوى الخيرين احيا وكن جارهم فى القبور * ألم تر حمص وسكانها * نجوا من بحار بلا يا تمور
لأنهم جاوروا خالدا * ومن جاور الاتقيا لا يبور

وخرج اليه شخص من أحاد الناس * يدعى عمر بن الرواس * فاستجلب خاطره * وكانه قدّم اليه تقدمة فاخره * فولاه امور البلد * وركن اليه واعتمد * وولى قضاء تلك البلاد * رئيسا يسمى شمس الدين بن الحداد * ونادى بالامان * للقاصى والدان * وتبايعوا بها وتشاروا * وفى استفادة ربح الامن لم يتماروا * ثم ان نائب الشام ضعف معه ومات على قبة يلبغا * ونائب طرابلس هرب منه وللخلاص ابتغى * فوصل الى

العجاج * تحت العجاج متصادمه * وكل ينادى بطريق المفهوم * ومامنا الا له مقام معلوم * فوصلت غيلان الوغى * الى قبة يلبغا * يوم الاحد العاشر * من شهر ربيع الآخر * عام ثلاثة وثمانمائة من الهجره * فنزل كل من العساكر يمنة ويسره * واستقرت العساكر والامراء الاسلاميه * فى البيوت والمساكن * ونزلت الجنود التتاريه * غربى دمشق من داريا والخولة ومايلى تلك الاماكن * ودخل بعض أثقال السلطان الى البلد * وتحصنت القلعة والمدينة بالسلاح والعدد * ثم أخذ كل من الجيشين حذره * وتجهز للمقابلة والمقاتلة أمره * وحفروا الخنادق * وسد كل على الآخر أفواه المضائق * وشرعوا فى المهاوشة والمناوشه * والمهارشة والمعانشه * ثم أمر السلطان العساكر * بالبروز من المدينة الى الظاهر * وجعل يخرج من المدينة رؤساء أعيانها * وتنحاز فى المقاتلة الى سلطانها * والاطفال الصغار والرجال * يجأرون الى الجبال * وينادون بحرقه * كل ليلة فى الازقه * يا الله يارحمن * انصر مولانا السلطان * والناس فى اضطراب وحركات * يستنزلون النصر والبركات * ويستغيثون الليل والنهار * بالمجاهدين الاسوار * واستشهد من رؤساء البلد فى تلك الايام * قاضى القضاة برهان الدين الشاذلى المالكى الحاكم بالشام * وشلت يد قاضى القضاة شرف الدين عيسى المالكى بضربة حسام * وجعلوا يأتون بمن يظفرون به من العدو فيقتلونه * وربما غنموا منهم من ناطق وصامت فيشهرونه *

(ذكر واقعة وقعت ومعركة صدعت لوانها نفعت)

ثم فى بعض الايام * تقدم من أولئك الاغتام * نحو من عشرة آلاف * وزحفوا الى ميدان المصاف * فنهض لهم من العساكر الشاميه * نحو من خمس مائه * ثم اتبعهم الامير استدمر فى نحو من ثلاث مائه شعر

أسود اذا لاقوا ظباء اذا عطوا * جبال اذا أرسوا بحار اذا سروا
شموس اذا لاحوا بدور اذا انجلوا * رياح اذا هبوا غمام اذا همّوا
صقور اذا انقضوا نمور اذا نموا * رعود اذا صاحوا صواعق ان رموا

مع كل منهما خطارنه بجد قدود الملاح لخطراته * وبتار يتعلم سفك الدماء من لحظاته *

وجنية تضاهى حاجبه * وسهام فى تشبهها بأجفانه صائبه * وترس لين الملس * اذا تغطى به رأيت البدر على شمس * وعليه خوذه * كأنها من لمعان وجنته مأخوذه * أومن بوارق طلعته مفلوذه * اذا نظر الطرف اليها يأخذه الانبهار * يكاد سنا برقها يذهب بالابصار * ولبوس أشبه لابسه * وصار ملابسه * ظاهره حرير ناعم كبشرته * وباطنه حديد كقلبه فى قسوته * وقد امتطوا الفحول * من نجائب الخيول * فكان بدو رتلك الجوع * مع الرماح الملتهبة الاسنة عروس تجلى تحت الشموع * وتوجهوا الى حومة الوغى * وتلاقوا فى وادخاف قبة بلبغا

(فصـــــل) ولما رأت هذه الاسود تلك الذئاب والكلاب * كانوا كالمؤمنين وقد رأوا الاحزاب * فبان منهم صحيح الضرب وعليله * وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله * فأحاط أولئك بهؤلاء الكثرة الغلبه * وادار والقرضهم على هذه البحور الدائرة المجتلبه * وحين صار وا فى خباء هذه الدائرة كالعروض * اشتغلوا بالضرب وتقطيع الدائرة بالحرب العضوض * فأول ما اضمر والهم فى ذلك الزحف * قطف الراس وخبل العقل وقطع الكف * فصلوا بالرمح الطويل عقلهم * وثلوا بالرشق المديد شكلهم * و بتر وا بالعصب البسيط وافرهم * وشتروا بالسهم السريع كاملهم * فخذوهم وقصموهم * وخزموهم وشعثوهم وثرموهم * وجبوهم ووقصوهم وعصبوهم * وعقصوهم وخزلوهم ونقصوهم * فردوا صدورهم على الاعجاز وسدوا على حقيقة الخلاص منهم المجاز فانكشفوا عنهم وهم ما بين مشطور ومقطوع ومحذوف ومجزوّ ومنهوك وموقوف ورجع استنباى المشار اليه وقد اقتضب بحربه المتدارك حسبهم * واجتث بضربه المتقارب المتماسك ثقيلهم وخفيفهم * وتسبيغ سوابغهم بالنصر مرفل * وبالتمكين التام مذيل * و بيت دائرتهم المتفقة آمن من الخلل * وعروضه وضربه سالم من الزحاف والعلل

(ذكر ما افتعله سلطان حسين ابن اخت تيمور من المكر والمين)

ثم ان سلطان حسين وهو ابن اخت تيمور * اظهر انه خالف على خاله وجاء الى السلطان وفى باطنه أمور * وكان شابا ذا شجاعه * وعنده طيش ورقاعه * واظهر وابقدومه

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ففي بعض الليالي * صعد الناس الى مكان عالي * واذا بما كان مخيم السلطان * قد ملئت من النيران * ولم يعرف أحد ما الخبر * غير أن الدنيا ملئت بالشر والشرر * واصبحوا وقد خلت الديار * ولم يبق في قبة يلبغا نافخ نار * فخشعت أصواتهم وسكنت حركاتهم * فجعلوا بينهم يتهافتون * وفيما بينهم يتخافتون * وماج الشر واضطرب * وقال الناس السلطان هرب * فانقصم ظهر الناس * وأيقنوا حلول الباس * وتفاقمت الهموم * وتعاظمت الغموم * وتقطعت بهم الاسباب * وشمل الخلائق أنواع العذاب * وضاقت الحيل كالصدور * وتخبطت الاوامر والامور *

* (فصــــل) * ثم ان تيمور حمد ربه * ورحل من مكانه ونزل القبة * وألقى عصاه * ونام مستريحا على قفاه * ونادى بمعنى ما قلت   شعر

الحمد لله نلنا ما نؤمله * والضد أدبر والمأمول قد حصلا

وحفر الخنادق حوله * وبث في الاطراف رجله وخيله * وأرسل الطلب * وراء من هرب * وصار كلما أتى بأحد من أجناد الرجال * أمر بالقائه بين يدي تلك الافيال * فتفعل معه الافيال في تلك الفلاه * ما تفعله المواشي يوم القيامة في مانع الزكاه *

* (فصــــل) * وأما السلطان فانه لم يصبه من أحد ضيم * لانه نشز نشوز الغيم * وانساب انسياب الايم * وتوجه على وادي التيم * فانتشرت شياطين تيمور في الارض * وملأت الطول والعرض * ووصلت طراشتهم الى أطراف البلاد وضواحيها * وعامة القرى ونواحيها * وجعلوا من كل حدب ينسلون في مشارق الارض ومغاربها التي بارك الله فيها * وتقدموا الى المدينة * وكانت كما ذكر بالاهبة حصينة * وبأنواع الاستعداد مكينة * مسدولة الحجاب * مغلقة الابواب * فتمنع أهلها عليهم * ولم يسلموها اليهم * رجاء أن يشموا من النجدة الارج * أو يمن الله عليهم بعد الشدة بالفرج * فاستمروا على ذلك نحوا من يومين * ثم استيقنوا من رجائهم الخيبة ومن ظنهم المين * فكان قدوم السلطان وذهابه بالعساكر * كما قال الشاعر *

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها أقشعت وتجلت

﴿ذكر خروج الاعيان بعد ذهاب السلطان وطلبهم من تيمور الامان﴾

ولما خانتهم الظنون * وعلموا انه حل بهم ريب المنون * اجتمع من المدينة الكبراء * والموجود من الاعيان والرؤساء * وهم قاضي القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفي وولده قاضي القضاة شهاب الدين وقاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي وقاضي القضاة شمس الدين محمد الحنبلي النابلسي والقاضي ناصر الدين محمد بن ابي الطيب كاتب السر والقاضي شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير وكان منصب الوزارة اذذاك له أبهة مّا في الجملة والقاضي شهاب الدين الحباني الشافعي والقاضي شهاب الدين ابراهيم بن القوشة الحنفي نائب الحكم رحمهم الله فأما القاضي الشافعي وهو علاء الدين بن أبي البقاء فانه هرب مع السلطان وقاضي القضاة المالكي وهو برهان الدين الشاذلي فانه استشهد كما ذكر فخرج هؤلاء الاعيان * وطلبوا منه الامان * بعدما وقع المشاورة منهم والاتفاق * ونظمت كلمتهم في سلك الوفاق *

﴿فصل﴾ ولما اقلع السلطان بفلك عساكره المشحون * وقع في بحر العساكر التيمورية قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون * وكان من أعلام الاعيان * وممن قدم مع السلطان * فلما قفل السلطان وانفرك * كأنه كان غزالا فوقع في الشرك * وكان نازلا في المدرسة العادليه * فتوجه هؤلاء الاعيان اليه في تدبير هذه القضيه * فوافق فكره فكرهم * فملكوه في ذلك أمرهم * وما وسعهم * الا استصحابه معهم * وكان مالكي المذهب والمنظر * أصمعي الرواية والخبر * فتوجه معهم بعمامة خفيفه * وهيئة ظريفه * وبرنس كهو رقيق الحاشيه * يشبه من دامس الليل الناشيه * فقدموه بين يديهم * ورضوا بأقواله وأفعاله لهم وعليهم * وحين دخلوا عليه * وقفوا بين يديه * واستمروا واقفين * وجلين خائفين * حتى سمح بجلوسهم * وتسكين نفوسهم * ثم هش اليهم * ومرّ ضاحكا عليهم * وجعل يراقب أحوالهم * ويسبر بمسبار عقله أقوالهم وأفعالهم * ولما رأى شكل ابن خلدون لشكلهم مباينا * قال هذا الرجل ليس من هاهنا * فانفتح للمقال مجال * فبسط لسانه وسنذكر ما قال * ثم طووا بساط الكلام * ونشروا سماط الطعام * فكوّموا تلالا من اللحم السليق * ووضعوا امام كل ما به يليق * فبعض تعفف عن ذلك تنزها * وبعض تشاغل عن الاكل بالحديث ولها * وبعض مدّ يده

وأكل وماجبن في مصاف الالتهام ولا نكل * والى الاكل أرشدهم * وناداهم وأنشدهم شعر

كلوا أكل من ان عاش أخبر أهله * وان مات يلقى الله وهو بطين

وكان من جملة الآكلين * قاضي القضاة ولي الدين * وكل ذلك وتيمور يرمقهم * وعينه الخزراء تسرقهم * وكان ابن خلدون أيضا يصوب نحو تيمور الحدق * فاذا نظر اليه أطرق * واذا ولى عنه رمق * ثم نادى وقال * بصوت عال * يامولانا الامير * الحمد لله العلي الكبير * لقد شرفت بحضوري ملوك الانام * وأحييت بتواريخي ما ماتت لهم من الايام * ورأيت من ملوك العرب فلانا وفلانا * وحضرت كذا وكذا سلطانا * وشهدت مشارق الارض ومغاربها * وخالطت في كل بقعة أميرها ونائبها * ولكن لله المنة اذ امتد بي زماني * ومنّ الله علي بأن أحياني * حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة * والمسلك شريعة السلطنة على الطريقة * فان كان طعام الملوك يؤكل لدفع التالف * فطعام مولانا الامير يؤكل لذلك ولنيل الفخر والشرف * فاهتز تيمور عجبا * وكاد يرقص طربا * وأقبل بوجهه الخطاب اليه * وعوّل في ذلك دون الكل عليه * وسأله عن ملوك العرب وأخبارها * وأيام دولتها وآثارها * فقص عليه من ذلك ما جذع عقله وخبله وجلب لبه وسلبه * وكان تيمور في سير الملوك والامم أمه * وأبا التاريخ شرقا وغربا وأمه * وسنذكر لهذا المعان * بديع بيان *

(فصل) وبينما هم يوما قاعدون في حضرة ذلك البصير * واذا بالقاضي صدر الدين المناوي في أيديهم أسير * وكان قد تبع السلطان في الهرب * فادركه في ميسلون الطلب * فقبضوا عليه * وأحضروه بين يديه * واذا هو بعمامة كالبرج وأردان كالخرج * فتخطى الرقاب وجلس من غير اذن فوق الاصحاب * فاشتاط تيمور غضبا * وملأ المجلس لهبا * وانتفخ سحره * وسجر غيظا نحره * وشخر ونخر * ومخر بحر حنقه وزخر * وأمر طائفة من المعتدين * بالتنكيل بالقاضي صدر الدين * فسحبوه سحب الكلاب * ومزقوا ما عليه من ثياب * وأوسعوه سبا وشتما * وأشبعوه ركلا ولكما * ثم أمرهم بتشديد أسره * وتجديد كسره * وترادف الاساءة اليه * وتضاعف الكسرات على رغم التصر يفين عليه * فأخرج اخراج الظالم * يوم يولي مدبرا ماله من الله من عاصم * ثم تراجع تيمور الى ما كان فيه * من ترتيب غوائله ودواهيه *

فألبس كلا من هؤلاء الاعيان خلعه * وأقامه عنده فى عزة ورفعه ❊ ثم ردّهم منشرحى الصدور * فى دعة وسرور * وفى خاطره شرور * وأمور تمور * فساروا وقد حاروا *
قلت شعر

كالهدى زينه المهدى وعظمه ❊ وعن قريب لضيف الموت أطعمه

وشرط لهم ولذويهم الامان * على أن يدفعوا اليه أموال السلطان * وماله وللامراء من أثقال * وتعلقات وأموال * ودواب ومواش * ومماليك وحواش * ففعلوا ما به أمر * ورفعوا اليه ما بطن من ذلك وما ظهر * فأما القلعة فانها استعدت للحصار * وكان نائبها يدعى ازدار * فحصنها * وبالاهبة الكاملة مكنها * وانتظر من السلطان نجده * أو مانعا ربانيا يفرج عنه الشده * فلم يلتفت تيمور فى أول الامر اليها * ولا احتفل بها ولا عرج عليها * بل صرف همه الى تحصيل الاموال * وتوسيق الاحمال بالاثقال * فلما حصل الثقل * والى خزائنه انتقل * طرح على المدينة أموال الامان * واستعان على استخلاصها بهؤلاء الاعيان * وأقام عليهم دواوينه وكتبته * وأهل الضبط والحرص من مباشريه وحسبته * وفوض ذلك الى كفاية الله داد * أحد أركان دولته ومن عليه الاعتماد * وهو أخو سيف الدين المار ذكره فى أول الكتاب لامه * وأقام معهم كل جبار عنيد ومن نشأ فى حجر الفظاظة ورضع ثدى ظلمه * ونادى بالامان والاطمئنان * وان لا يبغى انسان على انسان * فمد بعض الجغتاى يده الى غاره ❊ بعد ما سمعوا هذا النداء واشتهاره * فبلغ ذلك تيمور * فأمر بصلبهم فى مكان مشهور * فصلبوهم فى الحريريين * براس سوق البزوريين * ففرح الناس بهذه الفعله * واملوا خيره وعدله * وفتحوا من أبواب المدينة الباب الصغير * وشرعوا يحررون أمر المدينة على النقير والقطمير * فوزعوا هذه الاموال على الحارات * وتنادى أهل الظلم والعدوان من القريب والغريب بالاشارات * وجعلوا دار الذهب مكان المستخلص * وطفقوا يلقون الناس فى ذلك المقنص * وتسلط بعض الناس على البعض * واصطادوا ارانب الارض بكلاب الارض * وكان فصل الخريف بجيش مصر قد قفل * وفصل الشتاء بزمهريره بجند تيمور بنيرانه على العالم قد نزل * فانتقل الى القصر الابلق * ثم الى بيت الامير تبخاص وامر بالقصران يهدم ويحرق * ودخل الى المدينة من الباب الصغير * فى جمع كثير * وصلى الجمعة فى جامع بنى اميه * وقدم الحنفية على الشافعيه * وخطب به قاضى القضاة

محيي الدين محمود بن العز الحنفي المذكور * وجرى ما يطول شرحه من امور وشرور *
ووقع بين عبد الجبار بن النعمان الخوارزمي المعتزلي * وبين علماء الشام لاسيما قاضي
القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي * مناظرات ومناقشات * ومباحثات
ومراجعات ❋ وهو في ذلك كترجمانه * يخاطبهم في جميع ذلك بلسانه * فمنها وقائع
علي ومعاويه * وما مضى بينهم في تلك القرون الخاليه * ومنها امور يزيد وما يزيد ❋
وقتله الحسين السعيد الشهيد * وان ذلك ظلم وفسق بلا نكر * ومن استحله فهو واقع في
الكفر * ولا شك ان ذلك افعل الحرام * كان بمظاهرة اهل الشام * فان كانوا مستحليه
فهم كفار * وان كانوا غير مستحليه فهم عصاة وبغاة واشرار * وان الحاضرين * على
مذهب الغابرين * فحصل منهم في ذلك انواع الاجوبه * فمنها ماردّه ومنها ما اعجبه ❋
الى ان اجاب كاتب السر واجاد * واصاب فيما قال لو افاد * اطال الله الكبير * بقاء
مولانا الامير * اما انا فنسبي متصل بعمر وعثمان * وان جدي الاعلى كان من اعيان
ذلك الزمان * وحضر تلك الوقائع * وخاض هاتيك المعامع * وكان من رجال الحق *
وابطال الصدق * ومما تواتر من فعله * ووضعه الشئ في محله * انه توصل الى رأس
سيدنا الحسين * ونزهه عما حصل له من ابتذال وشين * ثم نظفه وغسله * وعظمه وقبله
وطيبه وبجله * وواراه في تربه * وعد ذلك عند الله تعالى من افضل قربه * فلذلك ايها
الغمام الصيب * كنوه بابي الطيب * وعلى كل تقدير * ايها الامير * فتلك امة قد
خلت * وغموم غيوم ها انجلت * وبما جرت انقضت * وبما اذاقت مرت وحلت *
وفتن اراحنا الله اذ ازاحنا عنها * ودماء طهر الله سيوفنا منها * واما الساعه * فاعتقادنا
اعتقاد اهل السنة والجماعه * فلما سمع هذا الكلام قال يا لله العجب * وما سميتم باولاد
ابي الطيب الا لهذا السبب * قال نعم ويشهد لي بذاك القاصي والداني * وانا محمد بن عمر
ابن محمد بن ابي القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن ابي الطيب العمري العثماني * فقال لك
المعذرة يا طيب الاسلاف * لولا اني ظاهر العذر لحملتك على عاتقي والاكتاف * ولكن
سترى ما افعله معك ومع اصحابك من التكريم والالطاف * ثم انه ودعهم * وبالتعظيم
والاحترام شيعهم * ومنها انه سألهم كتابه * سؤال اضرار ونكايه * فقال ما على الرتب *
درجة العلم او درجة النسب * فادركوا قصده وفهموا * ولكن عن رد الجواب وجموا *
وعلم كل منهم انه قد ابتلي * فابتدر بالجواب القاضي شمس الدين النابلسي الحنبلي *

وقال درجة العلم اعلى من درجة النسب * ومرتبتها عند الخالق والمخلوق اسنى الرتب * والهجين الفاضل يقدّم على الهجان الجاهل * والمقرف المنيف * اولى للامامة من السيد الشريف * والدليل في هذا جلى * وهو اجماع الصحابة على تقديم ابي بكر على علي * وقد اجمعوا على انّ ابا بكر اعلمهم * واثبتهم قدما في الاسلام واقدمهم * واثبات هذه الدلاله * من قول صاحب الرساله * لا تجتمع امّتى على ضلاله * ثم اخذ في نزع ثيابه مصيخا لتيمور وما يصدر من جوابه * ففكّ ازراره * وقال لنفسه انما انت عاره * وكاس الموت لا بدّ من شربها * فسواء ما بين بعدها وقربها * والموت على الشهاده * من افضل العباده * واحسن احوالها لمن اعتقد انه الى الله صائر * كلمة حق عند سلطان جائر * فسأل ما يفعل * هذا المهمل * فقال يا مولانا الجليل * انّ فرق عساكرك كامم بنى اسرائيل * وفيهم من ابتدعوا بدعا * وتقطعوا في مذاهبهم قطعا * وفرّق راديهم وكانوا شيعا * ولاشكّ ان مجالس حضرتك تنقل * وقائل مباحثها تحل الصدور وتعقل * واذا ثبت هذا الكلام عنى * ووعاه احد غير سنى * خصوصا من ادّعى موالاة على * ويسمى في رفضه ابا بكر بالرافضى * وتحقق منى يقينى * وانه لا ناصر لى يقينى * فانه يقتلنى جهارا * ويريق دمى نهارا * واذا كان كذلك فأنا استعدّ لهذه السعاده * واختم احكام القضاء بالشهاده * فقال لله هذا ما افصحه ❊ واجرأني الكلام واوقحه ❊ ثم نظر الى القوم ❊ وقال لا يدخلنّ هذا محلى بعد اليوم ❊

❊(فصـــــــل) ❊ وهذا الرجل اعنى عبد الجبار كان عالم تيمور وامامه * وممن يخوض في دماء المسلمين امامه * وكان عالما فاضلا * فقيها كاملا * بحاثا محققا * اصوليا جدليا مدققا * وابوه النعمان * في سمرقند كان * وهو في الفروع من اعلم اهل الزمان ❊ حتى كان يقال له النعمان الثانى * وكان من القائلين بعدم الرؤية في الاخرى * فأعمى الله تعالى بصره كبصيرته في الدنيا * واكثر علماء عصره بما وراء النهر قرأ عليه الفروع * ونقل عنه مسائل المشروع * ولا خلاف في الفروع بين اهل السنة واهل الاعتزال * وانما اختلافهم في اصول الدين في مسائل معدودة سلكوا فيها سبيل الضلال ❊

❊(فصـــــــل) ❊ وتصدّى لاستخلاص الاموال من اهل الشام * كل غشوم ظلام وكفور صدام * وكان في قلة وفاقه * كصدقة ابن الخانى وابن المحدث

وعبد الملك بن التكريتى المنبوذ بحماقه * وغيرهم من نظرائهم * من عواقب الظلم وابنائهم *
مع حضور اكابر المدينة واعيانها * المار ذكرهم ورؤساء قطانها * فانه لم يمكنهم
فى ذلك ان يتخلفوا * ولا يتقاعسوا لحظة ولا يتوقفوا * وحضور دواوينه وحسابه *
وضابطى أمور خزائنه وكتابه * ومنهم خواجه مسعود السمنانى * ومولانا عمر وتاج
الدين السلمانى * كل ذلك فى دار الذهب وهو مكان مشهور * ونزل الله داد داخل الباب
الصغير فى دار ابن مشكور * وجعل كل من فى قلبه من أحد ضغينه * أو سخيمة دفينه *
أو غل أو حسد * أو حقد أو نكد * يغمز على اخوته أولئك الظلمة الفظاظ * والزبانية
الشداد الغلاظ *

شعر

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا

بل بأدنى اشاره * وأقل عباره * يبنون على أرض وجود ذلك المسكين من جبال النكال
قصورا شواهق * و ينشؤن على حدائق ذاته من سماء العذاب سحاب عقاب ترعد
عليه صواعق * وتبرق له من الدمار والبوار بوارق *

(فصل) ثم انه صار فى هذه المدة * يحاصر القلعة و يعد لها ما استطاع
من عدة * وأمر أن يبنى مقابلتها بناء يعلوها * ليصعدوا عليه فيهدوها * فجمعوا
الاخشاب والاحطاب وعبوها * وصبوا فوقها الاحجار والتراب ودكوها * وذلك من
جهة الشمال والغرب * ثم علوا عليه وناوشوها الطعن والضرب * وفوض أمر الحصار *
لامير من أمرائه الكبار * يدعى جهان شاه * فتكفل بذلك وعاناه * ونصب عليها
المجانيق * ونقب تحتها وعلقها بالتعاليق * وكان فيها من المقاتلة * فئة غير
طائلة * أمثلهم شهاب الدين الزردكاش الدمشقى * وشهاب الدين أحمد الزردكاش
الحلبى * فأبليا فى عسكره بلاء حسنا * وكانا على جيشه كما فاء الى فنائهم وباء مصيبة
وفنا * فأهلكا من جيشه بالاحراق * وارعاد المدافع والابراق * ما فات العد *
وتبدد عن دائرة الحد * ولكنه لما أحاط بها من بحار تخريبه سيل عرم سائلها * وأمطر
عليها من سهام غمام رماته وصواعق بوارق كماته صيب وابلها * أتاها العذاب من فوقها
ومن تحتها وعن أيمانها وعن شمائلها * وكلت عن المجاذبة والمنابذة أيدى مقاتلها *
فطلبوا الامان * ونزلوا اليه من غير توان * وكل هذا الامر المهول والقضاء العجب * فى
أواخر شهر ربيع الآخر وجمادين وشهر رجب * ولكن ما نال من القلعة روما *

الا بعد محاصرتها ثلاثة وأربعين يوما * وصار فى هذه المدة يتطلب الافاضل * وأصحاب الحرف والصنائع وأرباب الفضائل * ونسج الحريريون له قباء بالحرير والذهب * ليس له درز فاذا هو شئ عجب * وبنى فى مقابر الباب الصغير قبتين متلاصقتين على تربة زوجات النبى صلى الله عليه وسلم * وأمر بجمع العبيد الزنج واعتنى بجمعهم أكثر من غيرهم وقدم *

(ذكر ما صنعه بعض الاكياس من الناس خوفا من ان يحل به الباس)
(ووقى بنفائسه النفوس والانفاس)

وكان فى صفد * تاجر من أهل البلد * أحد الرؤساء والتجار * يدعى علاء الدين وينسب الى دوادار * كأنه تقدمت له خدمة على السلطان * فولاه حجابة ذلك المكان * فلما توجه النواب الى حلب * والعادة أن ينوب عن نائب البلد فى غيبته من حجب * ناب عن نائبها التونبغا العثمانى * وحاجبها علاء الدين الدوادارى * فغرق فى أسر ذلك الطوفان * كل النواب ومن جملتهم العثمانى وابن الطحان * ومات منهم من مات وفرّ من فرّ * واستمر فى قيد الاسر التونبغا وعمر * فلما قدم تيمور الشام * وحل بها منه ما حل من قضاة السوء بأموال الايتام * شرع كل متول فى بلاد * يفعل ما أدّى اليه الاجتهاد * فبعض حصن أماكنه * وبعض مكن كمائنه * وطائفة استنجزت للنفار * وفرقة استوفزت للفرار * وقوم سالموا وساكنوا * وهادوا وهادنوا * ففكر علاء الدين المذكور وقدر * وتأمل فى خلاص صاحبه وبلده وتبصر * وكان من أبناء الناس * وعنده ذوق الاكياس * واستشار مصيب عقله فى ذلك واستنطقه * فقال داره بما معك من مال واترك سرب الفرار ونفقه * وما كذبه اذ قال له كل مداراة عن العرض ستر له وصدقه * وكان ذا مال ممدود * فقال ما ادّخرت الدنانير الصفر والدراهم البيض الا للايام السود * فطلب من تيمور الربانه * وأراد أن يحس أولا بجماماته مخاضه * فعالج هذا الامر علاج النطس المريض * وبادر بالمهادنة وحال الجريض دون القريض * وارسل الى تيمور أجناسا من ماله الطويل العريض * واستمال خاطره * واستدعى أوامره * ثم أردفها باضعافها * وأضعف خواصرها بأردافها *

فشكر تيمور له صنعه * وزاده ذلك عنده منزلة ورفعه * وأرسل اليه مرسوم أمان * وان يعامل هو وأهل بلده بالمجاملة والاحسان * فليؤمن روعهم * وليسكن جنسهم ونوعهم * ولتؤنس وحشتهم * ولتذهب دهشتهم * بحيث انهم يتبايعون ويتشارون * والى معاملتهم من عساكره يتجارون * وان استطال أحد من اجناده * ولو أنه من اخوته وأولاده * فليقابله بالمنع والانكار * والضرب والاشهار * وصار يطلب منه ما أراده * فيرسله اليه بزياده * وكلما زاد فيما يقترحه عليه من نقد وجنس طلبا * زاد علاء الدين لذلك نشاطا وطربا * ومن جملة ما اقترح عليه في ذلك المقبض * حمل بصل أبيض * بناء على أن ذاك لا يوجد * في الشام بأسرها فضلا عن صفد * ففي الحال وجد من ذلك ثلاثة أحمال فأرسلها اليه كما هي * وكان ذلك من الفضل الالهي * حتى أحبه * وتمنى قربه * وقال فيه معنى ما قلت شعر

داريت وقتك راحميت * ببذل مالك بالبشر
لو كان مثلك آخر * في الشام ما سبيت بشر

وتوجه طوائف من العسكر اليهم * واشتروا منهم وباعوا عليهم * واستمرت عقود المصادقة لم تحل * الى ان قوض خيامه عن دمشق ورحل * فلما أقشع من الشام ضباب ضيره * وامتد في ميدان الرحيل حبل سيره * اعقب علاء الدين الدواداري * قاصدا الى ذلك الاسد الضاري * ومعه تحف سنيه * وتنفسه لوكيه * ومطالعة فحاويها رائقه * ومعانيها فائقه * وألفاظها بالخضوع والخشوع ناطقه * فيها من الترقيات ما تقشعر منه الجلود * ويلين له الحديد والصخر الجلمود * ويجرى في طبائع الابدان اليابسة جرى الماء في العود * وطلب في اثنائها مراجعة في أمر العثماني وابن الطحان * وخرناصية عبوديتهما بمقراض الاعتاق والامتنان * وأن يحول العفو عنهما شكر القدره * ويفيض عليهما من بحار براحته قطره * وانهما اقل من ان ينسبا الى اسره * اذ ملوك الارض تود لو كانت اطفالا تحت حجره * ورأيه الشريف اعلى * وامتثال ما يبديه من المراسيم اولى * فلما اطلع تيمور على فحواه * وفهم ما ابداه وما انهاه * وشاهد تحفه وهداياه * وتفكر في اول امره ما اجمه معه من الخدم وما اسداه * والخير له تأثير * والبادئ اكرم * والشر كله تقصير * والبادئ اظلم * قلت شعر

ترقب جزا الحسنى اذا كنت محسنا * ولاتخش من سوء اذا انت لا تسى

وقيل

وقيل شعر

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه ❀ لا يذهب العرف بين الله والناس

لان قلبه وان كان حديدا * فقد هان صعبه الذى لم يزل شديدا * فدعاهما * واكرم مثواهما * واحسن اليهما * وذكر لهما شفاعة علاء الدين فيهما ❀ ثم اقمّهما اللباس * واعطاهما ثلاثة افراس * للعثمانى اثنان * وواحدة لعمر بن الطحان * ثم اضاف اليهما من * بلغهما المأمن * فوصل كل منهما الى دار عزته * وحل ذلك فى صفده وهذا فى غزته *

❀(فصل)❀ ولما تنجز لتيمور اخذ القلعه * جهز امره ورام الرجعه * وقد استخرج منها ما اراد من نفائس واموال * بأنواع العقاب واصناف العذاب والنكال ❀

❀(ذكر معنى كتاب ارسل اليه على يد بيسق بعد ما فرّوا من بين يديه)❀

وقيل ان السلطان لما هرب * ارسل اليه كتابا اثار منه الغضب * فن معناه * وفحوى ماعناه * لا تحسب اننا جزعنا منك * وقررنا عنك * وانما بعض مماليكنا قوّى انفاسه * واخرج عن ربقة الطاعة رأسه * وتصور ان كل من خرج عرج * ولم يعتبر بمن رام للارتقاء سلما فدرج * واراد بذلك مثلك القاء الفساد * وهلاك العباد والبلاد * وهيهات فان دون مرامه خرط القتاد * والكريم اذا بدا بجمه مرضان داوى الاخطر * ورأيناك انت اهون الخطبين واحقر * فثنى عزمنا الشريف عنانه * ليعرك من ذلك القليل الادب آذانه * ويقيم فى نظم طاعته ميزانه ❀ وايم الله لنكرن عليك كرة الاسد الغضبان ❀ ولنوردن منك ومن عسكرك نواهل القنا موارد الاضغان * ولنحصدنكم حصد الهشيم ❀ ولندوسنكم دوس الحطيم * فلتلفظنكم رحى الحرب فى كل طريق ❀ لما تعانون من غليظ الطعن وجليل الضرب لفظ الدقيق * ولنضيقن عليكم سبل الخلاص * فلتنادن ولات حين مناص * ونحو هذه الترهات * ومثل هذه الخرافات * التى هى كالملح على الجروح * وكالريح عند خروج الروح * ولو كان بدل هذا الكلام الذى لا طائل فيه * والخطاب الهذيان الذى تمجه الآذان وترميه *

مايستميل خاطره * ويطفئ من لهيب غضبه نائره * مع شئ من الهدايا والتقادم * وابراز قضاياهم فى صورة المعتذر النادم * ربما كان كسر من غيظه * اوهمد من حنقه وبرد من قيظه * وانما فعلوا تلك المعذره * بعد حريق دمشق وخراب البصره * وارسلوا الخدم والهدايا بصحبة النعام والزرافات * وقد اعجز التدارك وفات * وصاروا كما قيل شـــــعر

ذوالجهل يفعل ماذوالعقل يفعله ❁ فى النائبات ولكن بعدما افتضحا

وكما قيل *مصراع * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

❁(فصـــــل)❁ ذكر بيسق هذا قال لما مثلت بين يديه * واديت الرسالة اليه * وقرئ الكتاب عليه * قال لى قل الحق * ما اسمك قلت بيسق * قال ما مدلول هذا اللفظ المزرى * قلت له يامولانا لا ادرى * فقال انت لا تعرف مدلول اسمك باثماله * فكيف تصلح لحمل الرساله * ولولا ان عادة الملوك ان لا يهيجوا الرسل * وقد مهدوا على ذلك القواعد وسلكوا السبل * وانا اولى من يتبع آثار السلاطين * ويحيى سنن الملوك الماضين * لفعلت معك ما يجب فعله * ولا وصلتك ما انت اهله * وبعد هذا فلا عتب عليك * وانما اللوم على من تقدم بهذا الامر اليك * ولا حرج عليه ايضا لان ذلك مبلغ علمه * ومدرك عقله وفهمه * وقد ظهر بفعله الوبيل * نتيجة ماقيل *

تخير اذا ما كنت فى الامر مرسلا ❁ فمبلغ اراء الرجال رسولها

ثم قال لى توجه الى قلعتكم * ومكان عزكم ومنعتكم * فذهبت فوجدتها قد دكت دكا * وسيم حرامها وحريمها خسفا وهتكا * ثم اتيته * وذكرت له ما رايته * فقال ان مرسلك اقل من ان اجامله * واذل من ان اراسله * ولكن قل له انى واصل اليه عقبك * وها انا منشب مخالب اسودى بذنبك * فليشمر للقرار او للفرار الذيل * وليعد لايهما اختار ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل ❁ ثم امر بى فأخرجت وما صدقت * ان تصوبت الى جهة مصر ودحرجت *

❁(فصـــــل)❁ وحين ملأ جراب طمعه من نفائس الاموال ودنه * واستدر خلفانها شيئا فشيئا صافيا ورنقا حتى صفاها بقطنه * امر بتعذيب هؤلاء الامراء الكبار * فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكلس وكووهم بالنار * واستخرجوا جنا الاموال منهم استخراج الزيت بالمعصار * ثم اطلق عنان الاذن لعساكره بالنهب

العام

العام * والسبي الطام * والفتك والقتل والاحراق * والتقييد بالاسر على الاطلاق * فهجمت أولئك الكفرة الفجرة على ذلك أشد الهجوم * وانقضوا على الناس بالتعذيب * والتثريب والتخريب * انقضاض النجوم * واهتزوا وربوا * وفتكوا وسبوا * وصالوا على المسلمين وأهل الذمم * صولة الذئاب الضواري على ضواني الغنم * وفعلوا ما لا يليق فعله * ولا يحتمل ذكره ونقله * وأسروا المخدرات * وكشفوا غطاء المستترات * واستنزلوا شموس الخدور * من أفلاك القصور * وبدور الجمال من سماء الدلال * وعذبوا الكبار والاصاغر بأنواع العذاب * وبدا للخلق ما لم يكن في الحساب * واستخلصوا باصلاء النار جواهر الناس منهم خلاصات الذهب * وصنفوا في استخراج النفائس من النفوس بأصناف العذاب مسائل يقضي منها العجب * وفرقوا بين الوالدة وولدها * والروح وجسدها * وذهلت كل مرضعة عما أرضعت * وجازوا كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت * وفر المرء من أخيه وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * وصار لكل منهم يومئذ شأن يغنيه * وذل العزيز والكريم * وهان الخطير والجسيم * وطم البلاء وعم القضاء وطاشت الحلوم * وتبلدت الفهوم وتراكمت غيرا الغموم * فأقسم بالله لقد كانت تلك الايام علامة من علامات يوم القيام * وأسفرت تلك الساعه * عن أشراط الساعه * واستمر هذا النهب العام * نحوا من ثلاثة أيام *

(ذكر القائهم النار في البلد ومحو الآثار)

ثم انهم لما أنهوا العيث والعبث * وقضوا في جمع فسادهم التفث * واتموه بالفسق والجدال والرفث * وطافوا وسعوا في المنكرات * ورموا في البيوت النار وفي القلوب الجمرات * وأفاضوا ما أراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الاحصار * ورملوا في أشواط الاحراق فأرسلوا في حرم المدينة شواظا من نار * وكان فيهم من روافض الخراسانيه * فأطلقوا النار في جامع بني اميه * فتشبثت النار بالهيبها * وساعدت الريح بهبوبها * فتساوقا في محو الآثار ريحا ونارا * واستمر على ذلك باذن الله تعالى ليلا ونهارا * فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس * وانمحى بلسان النار ما سطر على لوح وجود المدينة من الدروس * وأمست تلك المغاني لا تسمع فيها الاغية ولا الهمس * وأصبحت

[illegible]

([illegible])

([illegible])

[illegible]

[illegible]

[illegible]

([illegible])

([illegible])

[illegible]

[illegible]

القرار * واستعدت للفرار * فلو رأيت الناس وهم حيارى * سكارى وما هم بسكارى *
أبدانهم راجفه * وقلوبهم واجفه * وأصواتهم خافته * وأبصارهم باهته * وشفاههم
يابسه * وصورهم بائسه * ووجوههم باسره * تظن أن يفعل بها فاقره * وقد
استوفز كل أهل الامصار * وسكان الانجاد والاغوار * وقد أصاخ لما يرد عليه من
جلي الاخبار * فيبنى على ذلك ما يكون * من متعلقات الحركة والسكون * فأخذ
تيمور على طريقته العوجا * ورجع على سبيل بغيه التي اتخذها شرعة ومنهاجا *
وقد سدت عساكره الآفاق والاكناف * وعمت هيبته الارجاء والاطراف *

(ذكر من أصيب من سهام القضاء بالرشق ووقع في مخالب اسره)
(من أعيان دمشق)

وأخذ من أعيان الشام * ومشاهيرها الاعلام * قاضي القضاة محيي الدين بن العز الحنفي
بعد أن عاقبوه بأنواع العقاب وكووه * وسقوه الماء والملح وبالكلس والنار شووه *
وولده قاضي القضاة شهاب الدين ابو العباس * فوصلا الى تبريز ومكثا بها مدة في
شدة وباس * ثم رجعا الى الشام * وأخذ امرهما في الانتظام * وقاضي القضاة شمس
الدين النابلسي الحنبلي * وقاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي * فتوفي الى
رحمة الله الوهاب * غرقا في نهر الزاب * وشهاب الدين احمد بن الشهيد المعتبر * وكان
متحملا أوزار الوزر * بعد أن راموا عذابه * وطلبوا عقابه * وكان قد جهز متعلقيه الى
الاماكن البعيده * وأقام هو في دمشق جريده * فذكر لهم حكايته * وبذل لهم في دفع
وجوده طاقته * فأخذوا ما اخفاه خفية ولم يعذبوه * ولكنهم بالاهبة والقلة استصحبوه *
فوصل الى سمرقند وقاسى بها من صروف الزمن * انواعا من غربة وفقر ومحن * ثم رجع
الى دمشق وتوفي بها رحمه الله تعالى * ومن الامراء الخاص * الامير الكبير بتخاص *
وكان مقيدا معه ومات * عند وصوله الى الفرات * فأما القاضي ناصر الدين ابن أبي
الطيب فانهم عاقبوه بكل بليه * وكان رقيق البدن لطيف المزاج سوداويه * فما كان
عنده لذلك ثبات * فأعجزهم عما يرومون منه بالموت وفات * فمات واستراح * وشرب
من الشهادة كاس مدام جاءه وراح * فدفنوه عشيه * بالمدرسة الكروسيه * ولما

شرع فى النهب العام المبرح * استشهد غلطا قاضى القضاة تقى الدين بن مفلح * وبرهان الدين بن القوشة ضعف سبعة عشر يوما * وانقطع فى حارة تل الجبن ولحق بالاموات قوما * وكانوا قد نحرجوا على الاحياء والاموات * وخافوا ان لا يكون لاحد منهم من أيديهم بحجة الوفاة فوات * فضبطوا بيوت المدينة بيتا بيتا * وحرجوا أن لا يخرج الاحياء ولا تجهز الموتى * فلما مات المذكور * تعسرت الامور * فتحيروا فى تجهيزه * وتغلبوا فى أمره وتجهيزه * ثم بعد جهد بليغ وسعى كثير * دفنوه فى الصالحية بعد اخراجه من الباب الصغير * وخرج مع تيمور بالاختيار من الشام * عبد الملك بن التكريتى فولاه نيابة سيرام * فمكث فيها القليل من الايام * وهى وراء سيحون * وشخص آخر يدعى بلبغا المجنون وكان مقرّبا عنده * وسبب ذلك انه بذل فى مناصحته جهده * وأخبره على ما قيل بعداوى * فخلصه بذلك من المهالك والمهاوى * وحصل له بذلك قربه * وزيادة ملازمة وصحبه * فولاه ذلك الجساس * نيابة مدينة تدعى ينكى بلاس * وراء نهر خجند * نحو خمسة عشر يوما عن سمرقند * بينها وبين سيرام * نحو من أربعة أيام * وكان اسم ذلك الخؤن أحمد فتلقب بلبغا المجنون * واخذ من دمشق أرباب الفضل وأهل الصنائع * وكل ماهر فى فن من الفنون بارع * من النساجين والخياطين * والحجارين والنجارين * والاقباعية والبياطرة والخيمية * والنقاشين والقواسين والبازداريه * وفى الجملة أهل أى فن كان * وجمع كما ذكر السودان * وفرّق هؤلاء الطوائف على رؤس الجند * وامرهم أن يوصلوهم الى سمرقند * وأخذ جمال الدين رئيس الطب وشهاب الدين أحمد الزردكاش وكان فى القلعة كما ذكروا بادمن عسكره خلقا لا يحصون * ولا يحصرون كثرة ولا يستقصون * وكان فى حدود التسعين وقد احدودب * فلما رآه قابله بالسخط والغضب * وقال له انك افنيت صاغيتى * وحصدت غاشيتى * وقصيت حاشيتى * فان قتلتك مرّة واحدة لا يشفى غليلى * ولا يهدأ غليلى * ولكن أعذبك على كبر سنك * وأزيدك كسرا على كسرك ووهنا على وهنك * فقيده بقيد من فوق ركبتيه * زنته سبعة أرطال ونصف رطل بالدمشقى وقصد بذلك التشديد عليه * فلم يزل مقيدا * مكتوب على قيده مخلدا أبدا * حتى مات تيمور * وارتفعت الشرور * وخلص من القيد ذلك المأسور * ثم توفى الى رحمة الله تعالى وربما يكون اخذ أناسا من الفضلاء * والاعيان والسادات والنبلاء * ممن لا اعرفه * فكيف اصفه * وكذلك كل أمير

من أمرائه * وزعيم من زعمائه * أخذ من الفقهاء والعلماء * وحفاظ القرآن والفضلاء * وأهل الحرف والصناعات * والعبيد والنساء والصبيان والبنات * مالا يسع الضبط * ولا يحل الربط * وكذلك كل من عسكره * أخذ كبيرا وصغيرا وأسره في أسره * لانه ما ثم حرج على من نهب شيئا وعزله * وكل من سبقت يده الى شئ فهو له * وهذا اذا أطلق عنان الاذن بالنهب العام * تساوى فيه الخواص من عسكره والعوام * ولو كان الناهب أسيرا فيهم * أو دخيلا عليهم * والسالب من غير طينتهم * ولكن أبيح له ذلك لما سار بسيرتهم * وتخلق بشيمتهم * وأطلق عليه حكمهم * وأجرى عليه شكمهم * فأما قبل الاذن فلو تعدّى أحد على أحد * وكان عند تيمور بمنزلة الوالد أو الولد * او استطال بمقدار حبه * أو تلفظ بغارة أو نهبه * فانه يهدر ماله ودمه * ويهتك حرمته وحرمه * ولا ينجيه استغفاره وندمه * ولا يحميه أهله وخدمه * ولا يقال لعا لمن زلت به قدمه * وكانت هذه قاعدة لا تخرم * وبنية لا تهدم *

(ذكر ما أباد بعده الجراد)

ولما فرغ من مستغلات أموال دمشق الحصاد * وقارب الرحيل عنها أعقبه لقاط الجراد * وصار يسير معه حتى بلغ ماردين وبغداد * فأعرى كل شجراء ومردا * وجرّد ما على وجه الارض جردا * فوصل الى حمص وما نهبها * ولخالد كما ذكروهبها * ولكن نهبوا قراها * وهدموا قواها * ثم الى حماة فنهبوا انفائسها * واستخرجوا مكامنها * وأسروا عرائسها * واستملكوا كائنها * وفي سابع عشر شعبان * انصب الى الجبول ذلك الطوفان * وأرسل الى حلب وأخذ من قلعتها ما استودعها * ثم الى الفرات وعبرها بالمراكب وغيرها فقطعها * ثم الى الرها * فنهبها واستحلبت درها * ثم أرسل ذلك الغادر * رسوله الى ماردين يستدعي الملك الظاهر * وديباجة كتابه الدقل * على ما نقل *

شعر

سلام عليكم والعهود بحالها * لقد بلغ الاشواق منا كمالها

فأبى أن ينزل اليه * ولا استمع كلامه ولا التفت اليه * فانه كان آذاه كما ذكر أوّل مره * فما احتاج الى تجربته آخر كره * فسلك معه بر السلامه * وقال شطر بيت من جرب المجرب حلت

به الندامه * ولكن أرسل اليه قاصدا من بعض الخدم * يدعى الحاج محمد بن خاصبك ومعه التقادم والخدم * واعتذر عن الحضور * بعدّة أمور * وعنوان جوابه * موافق لخطابه * وهو شـــــعر

فشوقي اليكم زائد الحدّ وصفه * ولكن تخاف النفس مما جرى لها

فلم يلتفت تيمور الى هذا الكلام * وأخذ يعنف نفسه بأنواع الملام * كيف خلص من مخاليبه أول مرة بسلام

* (ذكر وروده ماردين بالهيبة وصدوره عنها بعد المحاصرة بالخيبة) *

فوصلوا يوم الاثنين عاشر شهر رمضان وارد ين ماء ماردين * فنزلوا دنيسر وغدوا للحصار قاصدين * واذا بأهلها وقد أخلوا المدينة * وانتقلوا الى قلعتهم الحصينة *

(صفة هذه القلعة)

وهذه القلعة عنقاء قلتها تكبر أن تصاد * وعرنين عانسها يأبى أن يدخل لخاطب تحت مقود انقياد * لانها في قلة من القلل * على ظهر جبل * لم يكن فرق بينه و بين قبة الافلاك * الان تلك لا ثبات لها وهذا ثابت ليس به حراك * بظهره واد بطنه اوسع من صدر الاحرار * فيه جنات تجري من تحتها الانهار * وبه مطارح الزروع * ومسارح المواشي والضروع * وحدوده جروف لا تصل همم ذوي الكرم الى ارجائها * وحروف يعجز قارئ التفكر عن تعديد هجائها * وطريقه من القلعة او على القلعه * والقلعة في غاية المناعة والرفعه * والمدينة مبنية حوالها * متشبثة بذيلها * تأكل من فضلات نعمها * وتشرب من فائض سيلها * فهم بين نعمهم ونقمهم يترددون * وفي السماء رزقهم وما يوعدون * فأقام لمحاصرتها على مضائقها * يسترشد الى طرق المضايقة وطرائقها * ولم يكن حوالها مكان للقتال * ولا لنصب المجانيق مجال * فعوّل على نقبها بالمعاول والفوس * واستعان على ذلك بالمقاول والرؤس * وحاشا در زذيل حشمتها وعصمتها ان يسام فتقا * لانها وان كانت عذراء قد اعجزت الفحول لكونها رتقا * فلا زالت المعاول تفل * والغطاطيس تكل * ومناقير الفوس تنعقف * وخصور المرازب كهيف القدود تنقصف * قلت شعر

كأن معولهم في نقب تربتها * منقار طير على صلد من الحجر

او عذل ذي حسد صابه صمم * او غمز عين معنى فاقد البصر

واستمر

واستمر على اللدد والخصام * الى العشرين من شهر رمضان ولم يحصل على طائل ولم يظفر بمرام

(ذكر تركه فى المحاصرة العناد والمكابرة وتوجهه بعارديه ذوى الفساد عن ماردين الى بغداد)

ولما علم انه رمى منها بالداهية الدهيا * وطلاب ما لا يستطاع عيا * والمكابرة مع الحق خروج عن المنهج * والبلاغة فى غير مقامها عى لجلج * ستر عيبه * وابقى بعض الحرمة والهيبه * وخرب المدينة واسوارها * ومحا آثارها * وهدم مبانيها وجوامعها ومنارها * وفلق اساسها واحجارها * ثم انحدر الى بغداد * بعساكر كالذر والفراش والجراد * وجهز بعض الثقل الى سمرقند مع الله داد * فوصلوا الى مدينة صوز وليس بها بيت مشاد * ثم الى خلاط وعيد الجوز وهى بلاد الاكراد * اهلة عامرة البنيان * واول ما هو جارى تحت حكمه من ولايات تبريز واذربيجان * فعيد الثقل بعيد الجوز عيد رمضان * ثم دخلوا الى ولايات تبريز ثم الى سلطانية ثم الى ممالك خراسان * وكان اذ ذاك وقد خرج فصل الشتا * وفصل الربيع تزين واتى * وصفحات الرياض بأنامل صباغ القدرة تلونت * وعروس الروض قد اخذت من صواغ الحكمة زخرفها وازينت * والاطيار فى الازهار * ما بين مائة بلبل والف هزار * قد شنفت الاسماع * واقامت السماع * واستمالت الطباع برخيم صوتها * واحيت آثار رحمة الله الارض بعد موتها * ولا زال الثقل بين تأويب وادلاج * وسير ولا سير الحاج * كل يوم فى مرحلة وكل ليلة فى مقام * فوصلوا الى نيسابور ثم الى جام * ثم قطعوا مفاوز باورده وماخان * ثم الى الدخوى وانتهوا الى نهر جيحان * فعبروه بالمراكب * وساروا سير النجم الثاقب * ولم يزالوا منبعثين على ذلك انبعاثا * فوصلوا الى سمرقند ثالث عشر المحرم يوم الثلاثا * سنة أربع وثمانمائه * وفيهم من أهل الشام فئه * أمثلهم القاضى شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير * وباقيهم بياطرة * وصباغون ونساجة الحرير * وهذا أول ما تحمله من الشام من احمال الاثقال * وباكورة ما وصل الى سمرقند مما جناه من ثمر الاسارى والاموال * ثم ارسل الاثقال تترى بالانفال واحمال الاموال والاسرى *

(فصـــــل) ثم ان تيمور ولى آمد قرايلوك عثمان * وولى عن ماردين يوم الخميس العشرين من شهر رمضان * وكان خامس ايار * وجعل يبعث فى تلك الديار * وخرب

نصيبين ورعى مستغلاتها * ثم محا من صحف الوجود صورها وسورها وآياتها * وكانت خالية من سكانها * خاربة من عامرى عمرانها * ثم وجه الى الموصل همه * وأخنى عليها بكلكله المدلهمه * فبعدان أحلها الحين * وهبها الحسين بيك بن حسين * ثم جهز بجره * الى ناحية القنطره * واشاع انه كف فساده * وقصد بلاده * ولكن السلطان أحمد كان قد تحقق انه قاصد بغداده * وقد أوهم وورى كما له بذلك دأب وعاده

❊(ذكر مافعله السلطان احمد بن الشيخ اويس لما بلغه انه توجه اليه ذلك النجيس)❊

فلما بلغ السلطان احمد * ان تيمور بعد ان تدمشق تمرد * ثم عزم على ان يتبغدد * وقال العود احمد * استعد ولكن للفرار * واستقر رايه على أن لا قرار * ثم استناب نائبا يدعى فرج * واوصى اليه والى ابن البلقى بأمور وصحبه قرا يوسف الى الروم وخرج * وكان من جملة ما وصى به انه لا يغلق فى وجه تيمور باب * ولا يسدل دون مار ومه حجاب * ولا يشهر فى وجهه سيف * ولا يقابل فيما يأمر به بلم وكيف * فبلغ تيمور * هذه الامور * فجهز ذلك المخاتل * الى بغداد عشرين الف مقاتل * وامر عليهم من امرائه ورؤساء وزرائه والظلمة المعتدين * امير زاده رستم وجلال الاسلامى وشيخ نور الدين * وامر ان يكون المقدم * من الثلاثة الامير رستم * فاذا تسلموا بغداد * يكون هو حاكم البلاد * وحين غربت عن سماء بغداد شمس السلطان احمد فى غرب الغربه * ومد ظلام الظلم جناح العساكر التيمورية على افاقها وارسل عليها شهبه * ابى فرج المذكور ان يسلم المدينة طوعا * واستعد للمقاتلة فجمع ما عنده من اهبة المحاصرة فأوعى * فاطلعوا تيمور على هذا الامر * وانتظر واما يكون منه من نهى وامر * فثنى نحوها عنان الحنق * واضمر ما تصل اليه يده من غرق وحرق * واظل عليهم بغمام غم بعد مار عد وبرق * فوصل بتلك الفرق * واحل بهم البوس والقلق * واذاقهم لباس الجوع والفرق * فرجهم اى رج * وحاصرهم فى اشهر الحج * فثبتت مقالتهم واكثروا من عساكره القتلى والجرحى فحنق اشد الحنق * وزحف عليها برجله وخيله فأخذها عنوة يوم الاضحى * فتقرب على زعمه بأن جعل المسلمين قرابين وعليهم ضحى * ثم امر كل من هو فى دفتر ديوانه محسوب * والى يزك عساكره من الجند والجيش منسوب * ان يأتيه من رؤس اهل بغداد برأسين * فسقوا

كل واحد من خمرة سلب الروح والمال كاسين * ثم اتوا بهم فرادى وجمله * وجاروا بسيل دمائهم نهر الدجله * وطرحوا ابدانهم فى تلك الميادين * وجمعوا رؤسهم فبنى بها ميادين * فقتلوا من اهل بغداد نحوا من تسعين الف نفس صبرا * وبعضهم عجز عن تحصيل البغداديين فقطع رؤس من معه من اهل الشام وغيرها اسرى * وعجز بعض عن رؤس الرجال * فقطع رؤس ربات الحجال * وبعض لم يكن معه رفيق * فاصطاد من وجده فى طريق * واغتال من معه من رفيق * وفدى نفسه بعدوّ وصديق * ولم يلتفت الى شقيق وشفيق * اذلم يمكنهم الخروج عن ربقة الطاعه * ولا يقبل منهم عدل ولا تنفعهم شفاعه * وهذا العدد المذكور * سوى من قتل وهو محصور * اوقتل فى مضيق * اومات فى الدجلة وهو غريق * فقد ذكر ان خلقا * القوا أنفسهم فى الماء وماتوا غرقى * ومن جملتهم فرج فانه ركب سفينة وابق * فاحترشوه من الجانبين بالسهام فجرحوه وانقلبت السفينة فأدركه الغرق * وبنى من الميادين * نحوا من مائة وعشرين * كذا أخبرنى القاضى تاج الدين أحمد النعمان * الحنفى الحاكم ببغداد كان * وتوفى فى غرّة المحرّم سنة اربع وثلاثين وثمانمائة بدمشق رحمه الله تعالى * ثم ان تيمور خرب المدينه * بعد ان اخذ ما بها من اموال خزينه * وافقر اهلها واقفر منازلها * وجعل عاليها سافلها * وصارت بعد ان كانت مدينة السلام * دار السام * واسروا من بقى من ضعفة اهاليها فتمزق * ومزقتهم ايدى الزمان كل ممزق * بعد ان كانوا فى ظلال ودلال * ومن مساكنهم فى جنتين عن يمين وشمال * فاليوم عشش البوم والغراب فى اماكنهم * واصبحوا لاترى الامساكنهم * وهذه المدينة هى اشهر من ان توصف * وعرف عارفتها وعرفانها اذكى من ان يعرف * وناهيك انها كاسمها مدينة السلام * وانه على ما قيل لم يمت بها امام *

* (ذكر رجوع ذلك الطاغ واقامته فى قراباغ) *

ثم الوى بتلك الاتراك التى يصح ان يقال لكل منها انه فى التركية طاغية طاغ * وعزم ان يشتى فى مكان يصلح ان يكون فى الترك والعرب كصفاته وذاته قراباغ * وامسى كالبازى المطل بل كالبوم المشوم * مراقبا اطراف الآفاق وخصوصا ممالك الروم *

* (ذكر مراسلة ذلك المريد سلطان الروم ايلدريم بايزيد) *

فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغاز * وصرح بما يروم من بلاد الروم من غير كناية
والغاز * وجعل السلطان أحمد وقرا يوسف سببا * وذكر أنهما من سطوات سيوفه هربا *
وأنهما مادة الفساد * وبوار البلاد * ودمار العباد * وسنخ الخمول والادبار *
وكفرعون وهامان في العلو والاستكبار * وانّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين * وقد صارا من معهما في حمى ذراكم لاجئين * وانما حلوا حلت التعاسة
والشوم * وحاشا أن يكون مثلهما من المفلوكين تحت جناح صاحب الروم * فاياكم
أن تأووهم بل أخرجوهم * وخذوهم واحصروهم * واقتلوهم حيث وجدتموهم *
واياكم ومخالفة أمرنا * فتحل عليكم دائرة قهرنا * فقد سمعتم قضايا مخالفينا وأضرابهم *
وما نزل بهم منا في حرابهم وضرابهم * وتبين لكم كيف فعلنا بهم * فلا تكثروا بيننا
وبينكم القيل والقال * فضلا عن جدال وقتال فقد بينا لكم البراهين وضربنا لكم
الامثال * وفي اثناء ذلك انواع التهديد والتخويف * وأصناف التهويل والاراجيف *
وكان ابن عثمان عنده رقاعة وشجاعه * ولم يكن عنده صبر ساعه * مع أنه كان من
الملوك العادلين * وعنده تقوى وصلابة في الدين * وكان اذا تكلم وهو في صدر مكان *
فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان * وكان بواسطة عدله ساعده
الزمان * وقويت شوكته في المكان * فاستصفى ممالك قرمان * وقتل مالكها
السلطان علاء الدين وأسر له عنده ولدان * واستولى على ممالك منتشا وصاروخان *
وهرب منه الى تيمور الامير يعقوب بن على شاه حاكم ولايات كرمان * وصفا له من حدود
جبل بالقان * من ممالك النصارى الى ممالك أرزنجان * فلما وقف على كتابه *
وفهم فحوى خطابه * نهض وربض * وامتعض وارتمض * ورفع صوته وخفض *
وكأنه تجرّع نقوع الحضض * ثم قال أو يخوّفني بهذه الترهات * ويستفزني
بهذه الخزعبلات * او يحسب أنني مثل ملوك الاعجام * أو تتار الدشت الاغتام * أوفي
جمع الجنود * كجيش الهنود * أو جندي في الشقاق * كجمع العراق * أو ما عندي من
غزاة الاسلام * كعساكر الشام * أوان قفه له المجمع كجندي * أو ما يعلم ان أخباره
عندي * وكيف ختل الملوك وختر * وكيف تولى وكفر * وما صدر عنه وعنهم *

وكيف كان كل وقت يستضعف طائفة منهم * وأنا أفصل جمل هذه الامور * وأكشف
ماخزنه في التامور * وأما أول أمره فحرامي سفاك الدم * هتاك الحرم نقاض العهود والذمم *
طرف منحرف عن الصواب في الخطا * فصال وجال وسطا * ثم طال واستطال *
واتسع له المجال * وغفل عنه الرجال * ومن حين نبغ * استصبى حتى شاب الشيب
بالعيب فأدرك ما أدرك وما بلغ * فالتهبت فتيلته بعد ان كانت شراره * وانتشرت فروع
حبته فصارت غراره * أما ملوك العجم فانه استنزلهم بدخله وختله * ثم استقرهم بخيله
ورجله * وبادر الى قتلهم بعد ان أمكنتهم فرصة قتله * وأما توقتاميش خان * فان
غالب عسكره خان * ومن أين للتتار الطغام * الضرب بالبتار الحسام * وما لهم سوى
رشق السهام * بخلاف ضراغم الاروام * وأما جنود الهنود فانه ختلهم في أمرهم *
ورد كيدهم في نحرهم * فوهت أركانهم * لاسيما وقد مات سلطانهم * وأما عساكر
الشام * فأمرهم مشهور * وما جرى عليهم فظاهر غير مستور * ولما مات سلطانهم *
وتضعضعت أركانهم * وانفض أمرهم وانقض * وبغى بعضهم على بعض * فقطعت منهم
الرؤس الكبار * ولم يبق فيهم الا رؤس صغار * فنثر الزمان نظامهم * وسام التبدد
ملكهم وشامهم * مع انهم في الصور ربيع وفي المعاني جمادى * يرمون بواحدة وهي
أنهم يبيتون جميعا ويقومون مثنى وفرادى * لاجرم تفرقت أيادي سبا أحزاب تلك الزمر *
فاشتغل جيشه فيها بالخرم فباض لما خلا له الجو وصفر * ولو كان بينهم اتفاق لفتوه فتا *
وبددوا شمله وبتوه بتا * ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى * ومع اتساق نظامهم *
وتسديد سهامهم * وقوة نطاحهم * وشدة كفاحهم وشدة رماحهم * وكونهم ظهر الحاج *
وأسود الهياج * أني لهم نظام عساكرنا * وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا * وكم فرق بين من
تكفل بأمر الحفاة العراة * وبين من تحمل أمر الكماة الغزاة * فان الحرب دأبنا *
والضرب طلابنا * والجهاد صنعتنا * وشرعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا * ان
قاتل أحد تكالبا على الدنيا * فنحن المقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا * رجالنا
باعوا أنفسهم وأموالهم من الله بأن لهم الجنه * وكم لضرباتهم في آذان الكفار من طنه *
ولسيوفهم في قلانس القوانس من رنه * ولنون قسيهم في خياشيم بني الصليب من غنه *
لو يممناهم خوض البحار خاضوها * أو كلفناهم افاضة دماء الكفار أفاضوها * قد طالما
من صياصيهم على قلع قلاع الكفار واحتواء عليها * وأمسكوا بعنان أفراسهم فكاما

سمعوا هيعة طاروا اليها * لا يقولون لملكهم اذا غمرهم في البلاء والابتلاء * انا ها هنا قاعدون فاذهب انت وربك فقاتلا * ومعنا من الغزاة عشاه * افرس من فوارس الكماه * اظفارهم باتره * واظفارهم ظافره * كالاسود الكاسره * والنمور الجاسره * والذئاب الهاصره * قلوبهم بودادنا عامره * لا تخامر بواطنهم علينا مخامره * بل وجوههم في الحرب ناصره * الى ربها ناظره * وحاصل الامران كل اشغالنا * وجل احوالنا وافعالنا ❊ جم الكفار ولم الاسرى وضم الغنائم * فنحن المجاهدون في سبيل الله الذين لا يخافون لومة لائم * وأنا أعلم أنّ هذا الكلام يبعثك الى بلادنا انبعاثا ❊ فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق ثلاثا ❊ وان قصدت بلادي وفررت عنك ولم أقاتلك البته ❊ فزوجاتي اذ ذاك طوالق ثلاثا بته * ثم انهى خطابه ❊ وردّ على هذا الطريق جوابه ❊ فلما وقف تيمور على جوابه القلق * قال ابن عثمان مجنون حق ❊ لانه أطال وأساء * وختم ما قرأه من كتابه بذكر النساء * لانّ ذكر النساء عندهم من العيوب وأكبر الذنوب * حتى أنهم لا يلفظون بلفظ امرأة ولا بأنثى * وانما يعبرون عن كل أنثى بلفظ آخر ويحثون على الاحتراز عنه حثا * ولو ولد لاحدهم بنت يقولون ولد له مخدّره * أو من ربات الحجال أو مستره * أو نحو ذلك *

❊(ذكر طيران ذلك البوم وقصده خراب ممالك الروم)❊

فوجد تيمور الى التوجه على ابن عثمان السبيل * وطلب الرفيق والطريق ورام الدليل * وعرض جنده فاذا الوحوش حشرت ❊ وانبثوا على وجه الارض فاذا الكواكب انتثرت * وماج فاذا الجبال سيرت * وهاج فاذا القبور بعثرت ❊ وسار فزلزلت الارض زلزالها * ومار فاظهرت القيامة أهوالها * وأرسل الى ولي عهده * ووصيه من بعده * حفيده محمد سلطان بن جهانكير * أن يتوجه اليه من سمرقند صحبة سيف الدين الامير * وركب الى الروم الطريق * وساعده الاتفاق لا التوفيق * وجرى بذلك البحر المطرخم * والليل المدلهم ❊ فدار وداخ * وعلى قلعة كماخ أناخ * فاذا هي في الوثاقة كيقين موحد * وفي الرصانة والمناعة كاعتقاد متعبد ❊ لا يقطع خندق مناعتها سهم وهم * ولا يهتدي الى طريق التوصل اليها صائب فهم * مؤسس أركان هضابها معمار القدره *

حين استولى عليها * وأفضى بصارمه الذكر اليها * وفتحها قهرا * ومنحها جبرا * أبرد بهذا المغنم البارد * الى كل صادر فى ممالكه ووارد * بكتب ترجم فيها من الاخبار كل سانح وشارد * وعنوان هذه الترجمه * بلفظها من غير ترجمه * شعر

بحدّ سيوف داميات لدى الوغى * فتحنا بحمد الله حصن كماخ

وذكر فيها ابن عثمان وخطابه اليه * وكيف ردّ جوابه الحق عليه * ومن جملته * وبعض ترجمته * انا ما جفوناه ولا تعدّينا عليه * ولكن رققنا له القول وتلطفنا اليه * وقلنا له يخرج من قروح مملكته مادّة الفساد * وهى أحمد الجلايرى وقرا يوسف التركمانى اللذان أخربا البلاد وأهلكا العباد * والرضى بالمعصية معصية والاقرار على الكفر كفر والفاسق المحروم البائس * شر من الفاجر الظلوم الملابس * فصارا فى الفساد وزيريه وهو الامير * وفى العناد صغيرين وهو الكبير * وعاشراه على ذلك ووالياه فلبئس المولى ولبئس العشير * فأفسداه وما انصلحا * وخسراه وما ربحا * فكأنه عنى شأنهم * من اظهر قولهم وشانهم * بقوله شعر

ولا ينفع الجرباء قرب صحيحة * اليها ولكن الصحيحة تجرب

ولم يزل على طريقته العوجا * فأشبه لما أجارهم مجير أم عامر العرجا * فنهيناه فما انتهى * ونهناه فما أرعوى * وأريناه العبر * فى غيره فما اعتبر * وناداه لسان انتقامنا من المخالفين الحذر الحذر * وكاوضعنا اسمه مع اسمنا * على عادة حشمتنا وادبنا فى المراسلات ورسمنا * فتعدّى طوره * وأبدى جوره * وكان فى بعض مراسلاته * ومواضعه فى مكاتباته * كتب اسمه تحت اسم طهرتن * وهذا هو الواجب عليه والحسن * ولا شك ان طهرتن بالنسبة الينا * كبعض خدمنا وأقل حشمنا * ثم انه أعنى بايزيد لما طالع كتابنا * وردّ جوابنا * وضع اسمه فوق اسمنا بالذهب * وهذه المنافيه من كثرة الحماقة وقلة الادب * ثم ذكر انه توجه بروم * استخلاص ممالك الروم * وتشدّق فى هذا الكتاب * وتفيهق فى هذا الخطاب * فهو أحد ساتير الكتاب * والاساطير المستعان بها فى الخطاب والجواب *

❀(ذكر ما عزم ابن عثمان عليه عند انصباب ذلك الطوفان اليه)❀

فلما بلغ ابن عثمان ماقصده * وأنه جعل طالعه فى سماء الحرب رصده * توجه لقتاله * واستعدّ لاستقباله * وكان على مدينة استنبول محاصرا آثمها وكفارها * وقد قارب أن يفتحها وتضع الحرب عنها أوزارها * وأنّ جنده * كان عنده * ولكن أمر بطارقة الغزاة * والشواهين من كواسر جيشه والبزاة * وسراة السرايا وكرام كرمان * وأحلاس خيل السواحل وقروم قرمان * وأجناد ولايات منتشا وساورة صاروخان ❀ وجميع امراء التومانات والصناجق * واصحاب الرايات ورؤس الفيالق * ونواب جميع الثغور والامكنه * مما هو جار تحت تختى بروسا وادرنه * وكل من دبج البحر الاخضر * من بنى الاصفر * عن رايته البيضاء بالدم الاحمر * وفلق سويداء كل عدوّ ازرق * بسهامه السود على جواده الابلق ❀ ان يعلموا مصلحتهم * ويأخذوا حذرهم واسلحتهم * واستعان فى ذلك بكل بطريق وعلج مارجى * داخل فى امان المسلمين على قتال كل باغ وخارجى * واستدعى التتار * وهم قوم ذو يمين و يسار * ناس سوادج * لهم مواش نواتج * ملأوا الاقطار بمواشيهم * وعلوا الشواهق والبوادى برؤسهم وحواشيهم * ربما يكون لواحد منهم عشرة آلاف جمل * ما منها واحد حمل * ومثل ذلك افراس * ما أسرج لها ظهر ولا الجم راس * وأما الغنم والبقر * فلا يحصى عددها ولا يحصر * وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر * لهم فى ممالك الروم وقرمان الى ضواحى سيواس مشتات ومصائف * وللملوك والسلاطين عليهم اعتماد كما لهم فى انواع المبرات وظائف * لو قصدهم فقير او غريب * اوطالب علم او اديب * جمعوا له من الغنم والبقر * والصوف والشعر والسمن والاقط والوبر * ما يكفيه وذويه الى آخر العمر * وكانوا يسمون لكثرتهم وما معهم من الامم * ثمانية عشر الف عالم * فلبى كل من صدى هؤلاء الجبال مدى صوته بالاجابه * وبادر الى امتثال اوامره بالاطاعة والانابه * وانبعث اليه التتار بقضهم وقضيضهم بعثا * وقشت اليه اطوادعساكرها وبحار جنودها قشا * وحشد على ملاقاة تيمور عساكر الغزاة والمجاهدين حشا *

ظهر فى بطنه اللبن * اعطيتك الثمن * وان تبينت بالصدق قوله * جعلتك مثلة مثله * فقالت والله انه شربه * ومافهت فى حقه بكذبه * ولكنى فرجت كربته * وابرأت ذمته * فقال لا بد من اجراء العدل * وانهاء هذه الحكومة بالفصل * ثم دعا بالسيف ووسطه * واجرى على بطنه ماشرطه * فانفجر بطنه وهو منعفر * وجرى اللبن وهو بدمه ممذقر * فاشهره فى الوثاق * ونادى عليه هذا جزاء من يتناول فى دولة الملك العادل ابن عثمان شيأ بغير استحقاق * ثم ان ابن عثمان تابع الترحال * وسلك فى رمضان السفر صوم الوصال ❋

❋(ذكر مافعله ذلك الساقطه مع ابن عثمان وعسكره من المغالطه)❋

ولما بلغ تيمور ان ابن عثمان اخذ على الطريق الغامره * نبذه نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واخذ على الجادة العامره * فدخل هو وعسكره على ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * ولسان حالهم الفصيح * ينشد فى الآفاق ويصيح شعر

ولست ابالى بعد ادراكى العلى ❋ اكان تراثا ماتناولت ام كسبا

فلم تزالوا فى مراح وزروع * ومراع وضروع * بين سدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وهواء بالراحة مصبوب * ونعيم بالسلامة مصحوب ❋ فى امن ودعه * وخصب وسعه * آمنا من الوجل * سائرا على غير عجل * مستيقنا بالنصر والظفر * مستبشرا بالملك والوزر * مستبعا تدبيره القضاء والقدر * لاتبرد حرارة حميته لتسخين عين عدو * واحراز المغنم البارد فتره * ولا فى اكليل كواكب عساكره المنتظمة نثره * ولا بين اسود جيشه مكاشرة ولا نفره * ولا فى قراهم الاعادى اللهذميات على موائد طعام طعانهم جبن ولا كسره * فلم يفق ابن عثمان من رقاده * الا وتيمور قد دمر على بلاده * فقامت عليه القيامه * واكل يديه حسرة وندامه * وزأر وزقا * والتهب حنقا * وكاد ان يموت خنقا * وسلب القرار والهجوع * وعزم فى الحال على الرجوع * فتلاطمت من بحر عساكره امواجه * وتصادمت اثباج اطواده وابراجه * فرجع عوده على بدئه * واغرى بوصال السير وجد به * فنهكهم السير بسرعته * والمكان بقفرته * والزمان بهجيره * والسلطان بزئيره * فلم يدركوه الا وقد ذاب كل منهم وصبا * وتلا لسان حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا

(فصل) وكان تيمور قد وصل الى مدينة انقره * وخيله ورجله مستريحة موقره * للقتال منتظره * وللنزال متشمره * بل لم يكونوا به مكترثين * ولا به محتفلين * وقد سبقوا كصناديد قريش الى الماء * وتركوا عساكره كمسلمى بدر فى جانب الظماء * فهلكوا كربا واواما * وذابوا عطشا بلا ماء * وكانه الى ذلك المنزل هو ارشدهم * وبلسان حاله انشدهم * شعر

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وانت رب المنزل

وانقرة هذه هى التى ذكرها الاسود بن يعفر فى قصيدته الطنانة وهى شعر

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجىء من اطواد

فاذا النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

فلما تدانت الجيوش من الجيوش * وضربت الوحوش على الوحوش * وامتلأت منهم الصحارى والقفار * وتقابلت اليسار باليمين واليمين باليسار * اندفعت من عساكر ابن عثمان التتار * واتصلت بعسكر تيمور كما رسم اولا واشار * وكانوا هم صلب العسكر * والاوفر من عساكر ابن عثمان والاكثر * حتى قيل ان جماعة التتار * كانوا نحوا من ثلثى ذلك العسكر الجرار * بل قيل ان ذلك الجمهور * كان نحوا من ثلثى جند تيمور * وكان مع ابن عثمان من اولاده اكبرهم امير سليمان * فلما رآى ما فعلته التتار * علم انه حل بابيه البوار * فأخذ باقى العسكر * وقهقر عن ميدان المصاف وتأخر * وترك اباه فى شدة البأسا * وانخزل بمن معه الى جهة بروسا * فلم يبق مع ابن عثمان الا المشاة ومن داناهم * وبعض من الكماة وقليل ماهم * فثبت لمجادلة بمن معه من الرفاق * وخاف ان فر ان يقع عليه الطلاق وكانه فى تلك المعركة والمعكره * كان متمثلا بمقالة عنتره * شعر

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تسفك فى دمى

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فصبر لحادث الدهر ومالزم * واراد ان يفىء على مذهب الامام مالك بما به التزم * فأحاطت به اساورة الجنود * احاطة الاساور بالزنود * وحين تيقنت الاسرة العثمانية بالكسره * وعلمت انها تورطت فى جيش العسره * وثبت المشاة * على الكماة * واستعملت الاطيار * وكل صارم بتار * وكانوا فى ذلك المصاف * نحوا من خمسة آلاف * فنبذوا اندادهم * وابادوا اعدادهم * ولكن كانوا كسافى الرمال بالكربال * او كائل

البحار بالغربال * او محرر اوزان الجبال * بقراريط المثقال * فامطروا على قلل اولئك
الاطواد وحقول ذوات تلك الاسود * من غمام القتام صواعق ديم المدميات وامطار
السهام السود * ونادى محرش القدر * وصياد القضاء الكلاب على البقر * فلم يزالوا بين
وقيذ وواقذ * ومضروب بحكم سهم ماض في القضاء نافذ * حتى صاروا كالشياهم
والقنافذ * واستمرت دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى الى العصر * وانتقلت احزاب
الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة النصر * ثم لما كانت منهم السواعد * وقل
المواصر والمساعد * وتحكم فيهم الاباعد والباعد * دققوهم بالسيوف والرماح * وملاوا
بدمائهم الغدران رباشلائهم البطاح * ووقع ابن عثمان في قنص * وصار مقيدا كالطير في
القفص * وكانت هذه المعركه * على نحو ميل من مدينة انقره * يوم الاربعاء سابع
عشرين ذي الحجه * سنة اربع وثمانمائة هجه * وقد قتل غالب العسكر العطش والغموز *
لانه كان ثامن عشري تموز

(فصـــل) ووصل امير سليمان * الى بروسا معقل بن عثمان * فاحتاط على
مافيها من الخزائن والاموال * والحريم والاولاد ونفائس الاثقال * واشتغل بنقل
ذلك الى برادرنه * وراء البحر المحيط بكثير من الامكنه * المنشعب في بحر مصر الاخذ بعد
مايتدربس * الى بلاد الدشت والكرج الفاصل بينه و بين بحر القلزم جبل الجركس

(ذكر ماوقع من الخباط بعد وقعة ابن عثمان في كل ثغر ورباط)

ولما حصل لراس مملكة الروم هذه الوعكه * واندعكت اجسام عسكرها الجسام اقوى
دعكه * واخنى عليهم الجند المشؤم * ونعق في صباحها غراب البين وزعق في رواحها
البوم * وتلاقى محراب انسها على جماعتها امام القضاء والقدر لمغلبت الروم * خضعت
رؤسها ونواصيها * وتزلزلت حصونها وصياصيها * وتزعزع دانيها وقاصيها * وانبهر
طائعها وعاصيها * خاصوا حيصة الحمر * وايسوا من الاهل والاوطان والمال والعمر *
اذ قد ذهب منهم الراس * ولم يبق فيهم من يقيم الباس * فلما سمعوا ان امير سليمان ضم
الناس الى نحره * وعزم على العبور الى برادرنة بقطع بحره * مالت بهم الاودية والشعاب
اليه * وعولوا في خلاصهم من ذلك البلاء الطام عليه * فصالح اهل استنبول وواددوهم *

وعاهدهم

وعاهدهم على أن لا يغدر كل منهم بالآخر ومدّهم ❊ ثم قصدهم ان يعينوه على الوصول *
بقطع البحر من ثغرى كاليبولى واستنبول * اذ ليس لهذين البحرين * من هذين البرين *
طريق قريب ومعبر سوى هذين الثغرين * فانّ بحر اسكندريه * يأخذ على انطاكيه *
وعلاية ثم يروم * بلاد الروم * فتحصره الجبال ❊ قبل وصوله بلاد الشمال * فلا
يزال فى حصره يدق * وشفتا جانبيه ترق * حتى تترا آى حافتاه * و يكاد تنطبق شفتاه *
ويسير هذا الانضمام * نحو من ثلاثة أيام * ثم يأخذ فى المدّ والانبساط * والجريان على
وجه النشاط * ثم تدور كتائب أمواجه وتتكردس * وتأخذ نحو بلاد الدشت والكرج
حتى تصل كما ذكر الى بلاد الجركس * وما أمكن أحدا من سواحر الحكمة ومهندسى
النوافث * أن يعزز هذين المعبرين فى مدى هذا الانضمام بثالث * فثغر كاليبولى
بيد ملاحى المسلمين * وثغر استنبول بيد النصارى أعداء الدين * وهو أعظم الثغرين *
وأجسم المعبرين * وكانت النصارى ملاحيه * فصار غالب الناس يقصده وينتحيه *
فاستطارت الفرنج فرحا واستطالت * وخاضت فى دماء المسلمين وحريمهم وأموالهم وجالت *
فانّ ابن عثمان كان بالحصار قد أنهكها * وأباد قراها وضواحيها وأهلكها * وضيق
على أهلها فى مجارى أرواحهم مسالكها * فبينما هم وقد بلغ السيل الزبا * وجاوز
الحزام الطبا * وأنشب كل شرفيهم حده * واذا بتيمور جاءهم بالفرج بعد الشدّه *
فاندفع عنهم بالضرورة ابن عثمان * وحصل لهم بذلك الفرج والامان * وزاد ذلك بأن
احتاج المسلمون اليهم * وتراموا فى طلب الخلاص من العدوّ عليهم * فبعد أن زالت عنهم
الغصص * اغتنموا فى درك الثارات من المسلمين الفرص * فجعلوا يوسقون المراكب
من الناس والحمول * ويتوجهون بذلك الى صوب استنبول * وان استنبول وراء ذروة
جبل * ومنحرفة خلف قلة من القلل * وهى من أكبر مدن الدنيا * حتى قيل انها
قسطنطينية الدنيا الكبرى * فكانوا اذا عطفوا وراء تلك الذروة بالمراكب * واستتروا
بالهضبة الناتئة عن عين من هو فى هذا الجانب * يصيرون كالاموات النازلين الى
الحفائر * الملقين فى قعر اللحود والمقابر * لا يدرى الى أين يتوجهون * والى أى ناد
يصيرون * الى برّ السلامة والاسلام * أم الى دار الحرب وأسر الكفرة الطغام *
فيذهب منهم الذاهبون * فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون * فاذا جاءت
المراكب وهى فوارغ * تعلق كل من هذه الخلائق فيها بجهد كامل وجدّ بالغ *

ولم يدر ماذا يجري عليه * والى ماذا يصير أمره اليه * وأشبهوا في أبصارهم الكليله * وخطوبهم الجليله * مالكا الحزين والسمك المذكورين في كتاب كليله * وحاصل الامر انه لم يسلم * من ذلك السواد الاعظم * في كل غراب أدهم * الاعثل الغراب الاعصم * واستطالت أعداء الدين * كيف شاءت على المسلمين * وقطع أمير سليمان البحر * واستولى على ذلك البر * وضبط ممالكه * وربط مسالكه * وهو أوسع من هذا الجانب وأفسح مرجا * وأدر ريعا وأكثر خراجا ونرجا * واعظم حصونا وأمكنه * وتحته مدينة أدرنه * فاجتمع الناس على امير سليمان * وسهل الامر في الجملة شيأ ما وهان *

(ذكر اولاد ابن عثمان وكيف شتتهم وابادهم الزمان)

وكان للسلطان بايزيد المذكور * من الاولاد الذكور * امير سليمان هذا وهو اكبرهم * وعيسى ومصطفى ومحمد وموسى وهو اصغرهم * وكل منهم طالب لنفسه مهربا * وانحاز اليه من ابيه طائفة نجبا * فكان منهم محمد وموسى في قلعة اماسيه * وهي خرشنة الشاهقة العاصيه * التي قال فيها ابو الطيب * شعر

حتى اقام على ارباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبي ما نكحوا والاسر ما ولدوا * للنار ما زرعوا للنهب ما جمعوا

وقلة قلعتها شاهقه * كانها بقبة الفلك عالقه * يعني النازل عنها في نزوله منها اكثر مما يعيى الصاعد الى غيرها * يسميها اهلها بغداد الروم * لان قرار ارضها بنهر كبير من الوسط مقسوم * وبينها وبين توقات مسيرة يوم للمجد * واما عيسى فانه لجأ الى بعض الحصون واستكان * الى ان قتله اخوه امير سليمان * وموسى فيما بعد قتل امير سليمان بعيسى * ثم ان محمدا قتل بعد الكل موسى * ونسخت الاحكام المحمديه * شرائع الملة الموسوية والعيسويه * الى ان مات حتف انفه في اوائل سنة اربع وعشرين وثمانمائة اومات بشيء دس اليه على يد قوجفار في الهدايا الملكية المؤديه * وانتقل الملك من يده * الى مراد ولده * وهو في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة مستقل به * واما مصطفى فانه قد فقد وقتل نحو من ثلاثين مصطفى بسببه *

(عود الى ما كان فيه من امور تيمور ودواهيه)

ثم ان تيمور لما قبض على ابن عثمان * جرّد الى بروسا طائفة من الجنود والاعوان * واضافهم الى شيخ نور الدين * ثم اتبعهم بوقار مكين وجاش مستكين * فوصلوا اليها ونزل نزول القضاء المبرم عليها * وضبط ما وصلت اليه يده من جماعة ابن عثمان وحرمه * وامواله وخزائنه وحشمه وخدمه * وخلع على امراء التتار ورؤسهم * واستعطف خواطرهم بتطييب نفوسهم * ووزع امراءهم على امرائه * واضاف كل ظهر منهم الى رأس من رؤسائه * ووصاهم بهم وعليهم * وبالغ فى ان يصلوا ما امكنهم من البر اليهم * ومشى على مشيه القديم * فى استخلاص النفائس واقتناص النفوس وسبى الحريم * وجعل يحضر ابن عثمان كل يوم بين يديه * ويلاطفه ويباسطه ويترقق اليه * ويسخر منه ويضحك عليه *

(ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكاية غدت بأوصافه القبيحة على مرّ الزمان حكاية)

ثم انه فى بعض الايام جلس فى مجلس عام * وخفض جناح النشاط للخاص والعام * وطوى بساط النهى والامر * ومدّ سماط الخمر والزمر * وحين غص بالناس المكان * استدعى سريعا ابن عثمان * فجاء وفؤاده يرجف * وهو فى قيوده يرسف * فسكن قلبه * وازال رعبه * ثم احسن جلوسه * وازال بالاهتشاش اليه عبوسه * ثم امر بأفلاك السرور فدارت * وبشموس الراح ان تسير من مشرق اكواب السقاة الى مغرب الشفاة فسارت * وحين تقشعت عن شموس السقاة سحاب الخدور * ودار فى سماء العشرة نجوم يحثها من مراسيمه بروز وبدور * نظر ابن عثمان فاذا السقاة جواريه * وعامّتهم حرمه وسراريه * فاسودّت الدنيا فى عينه * واستحلى فراره سكرات حينه * وتصدّع قلبه * وتضرم لبه * وتزايد كمده * وتفتت كبده * وتصاعدت زفراته * وتضاعفت حسراته * ونكى جرحه واغذ قرحه * ونثر على جرح مصابه من قصبات الاسى ملحه * وكانت هذه نكاية لابن عثمان بما اسلفه * فى مكاتباته بذكر النساء وحلفه * لانه سبق انّ ذكر الحرم عند الجغتاى وقبائل الترك من اكبر الجرم * واعظم من

الخيانة في الحرم وايضا مكافاة لما فعله ابن عثمان * مع حريم طهرتن في ارزنجان * ومن تمام اساءته لابن عثمان * احسانه لاولاد ابن قرمان * وكان قبل ذلك ابن عثمان * قد استولى على ممالك قرمان * وقتل متوليها السلطان علاء الدين بعد ان حاصره وقبض عليه * ونقل الى حبس بروسا محمدا وعليا ولديه * فلم يزالا عنده في ضيق وضنك * حتى افرج عنهما بالحبس عليه تمرلنك * فاخرجهما وخلع عليهما * وابرهما واحسن اليهما * وولاهما أواهما وليس ذلك لحب علي كرم الله وجهه ولكن لبغض معاوية قلت

ولم يرفض معاوية محب * عليا بل لأن ربي يزيدا

وقيل

وليس لحبه يحنو عليه * ولكن بغض قوم آخرينا

وقلت بديها

اصادق ضد اعدائي وان لم * يكن بيني وبينهم ولاء

وابغض من يعادي لي صديقا * وان اثنى علي بما اشاء

وذاك لينكي ضدي ويهنا * فتى قد سرني منه الاخاء

والامير محمد هذا هو الذي قبض عليه الامير ناصر الدين * محمد بن دلغادر امير التراكمة المفسدين * وقتل ولده مصطفى في البلا * وجهزه الى الملك المؤيد مكبلا * وذلك في شهر رجب سنة احدى وعشرين وثمانمائة

(ذكر وفود اسفنديار عليه ومثوله سامعا مطيعا بين يديه)

ثم ان الامير اسفنديار ابن بايزيد * وهو احد ملوك الروم وله في السلطنة قصر مشيد * ورث الملك عن ابيه وكان مستقلا بالامره * وبينه وبين الملوك العثمانية عداوة موروثة ونفرة * وتحت حكمه بعض مدن وقلاع * واوهد وبقاع * منها مدينة سينوب الملقبة بجزيرة العشاق * يضرب بظرافتها المثل في الآفاق * وهي في النحر من البحر في جزيرة كبيره * سبيل الدخول اليها عسيره * بها جبل احسن من ارداف الحور * متصل بمعبر ادق من رقيق الخصور * وهي معقل اسفنديار ومعاذه * وحرز خزائنه وملاذه * اعصى من ابليس * واوثق من كف بخيل يخاف التفليس * ومنها قسطمونية تخت ملكه * وبحر

وبطنوا البطون * وأخرسوا الالسنه * وصكوا المسامع * وأرغموا الانوف * وأذلوا العرانين * وهشموا الثغور * وحطموا الصدور * وقصموا الظهور * ودقوا الفقر * وشقوا السرر * وأذابوا القلوب * وفطروا المرائر * وأراقوا الدماء * واستحلوا الفروج * واحروا الانفاس * وابادوا النفوس * وسبكوا الاشباح * وسلبوا الارواح * ولم يخلص من شرهم من رعايا الروم الثلث ولا الربع * وصارت جماعاتهم فيهم ما بين مخنقة وموقوذة ومتردّية ونطيحة وما أكل السبع

※(ذكر فتح قلعة أزمير وحتفها ونبذة من عجيب وضعها ووصفها)※

وحاصر قلعة أزمير * وهي حصن في وسط البحر مناله عسير * بهمزة مكسورة وزاي معجمة وميم مكسورة وياء ساكنة وراء مهملة * قلعة قد أقلعت في البحار * واضرمت في قلب خاطبها بتمنعها وعصيانها النار * أعصى من قلاع الجبال * واقصى في المنال أن تنال بخيل ورجال * فأعد لها انواعا من آلات المحاصره * واخذها يوم الاربعاء عاشر جمادى الآخره * سنة خمس وثمانمائه * سادس كانون الاول من السنين الروميه * فقتل كبارها * واسر نساءها وصغارها * وبنى من ابدان القتلى جوامع وشيد من رؤسها منارها * ثم سلب من القلعة غناءها وافقرها * واقواها من ذخائرها واقفرها * واخلاها وقد استصفى منها ابيضها واصفرها * وطير بهذه الامور اجنحة البشائر * واطارها على رغمه في الآفاق بأسعد فال واسرع طائر

※(ذكر ما صنعه من امر روم وهو في بلاد الروم من قصده بلاد الخطا)※
(واستخلاص ممالك الترك والجتا وافتكاره وهو في الغرب مشغول في استصفائه)
(سائر ولايات الشرق والمغول وكيف عانده القضاء المبرم بنازل الهب فؤاده)
(واضرم فصادمه الزمان وعكس غرضه وهذه كالجملة المعترضه)

ثم ان تيمور كان قد استدعى من سمرقند سبطه * محمد سلطان والامير سيف الدين ورهطه * كما ذكر اولا وكان محمد سلطان هذا للفضلاء ملاذا * وللعلماء معاذا * مخائل السعادة في

غصون جبهته لائحه * وبشائر النجابة من أسارير طلعته واضحه شعر

فى المهد ينطق عن نجابة جدّه ❁ أثر السعادة لائح البرهان

وسيف الدين هذا هو أحد رفقاء تيمور فى مبداه * وأس أركان دولته فى منتهاه * وهما اللذان كانا بنيا أشباره * وأسسا فيها قواعد النهب والغاره * وهى فى نحر بلاد المغول والجتا * وأقصى حدود ما ينتهى اليه حكم تيمور ومبدأ بلاد الخطا * ووليها أمير ايدعى أرغون شاه * وأمدّاه بطوائف من العساكر وفى ثغر المغول أرصداه * كل هذه الامور * بأوامر تيمور * ولما شرعا فى ذلك * لم يرض المغول بهذا الفعل الحالك * لانهم كانوا يعلمون أنّ ذلك الافعى * اذا جاورهم لابدّ انه فى الفساد يسعى * فلا يأمنون غائلته * ولا يطيقون مجاورته * فتشوشت خواطرهم * وتكدرت ضمائرهم * فاستوفزوا للفرار * واخلاء الديار * فزاد الجغتاى فيهم طمعا * ومدّ كل من أشرار الطائفتين الى الاضرار يد التطاول ورجل الفساد وسعى * وشرب كاسات التحرّم فأكل ما حل بيده وما تزهد فى تعففه ورعا * وفرح الجغتاى بذلك * ووقعت العداوة بين الجانبين فسدّ كل على الآخر طرق المسالك * وجعلوا يرسلون اليهم السرايا * ويحلون بما تصل يدهم اليه من متعلقاتهم البلايا * وجعل المغول أيضا يفعلون مع الجغتاى ذلك * وتربصوا بتيمور لبعده عنهم ريب المنون وتشبثوا بعشوبات المهالك * واتصل الخبر بتيمور * فسر بذلك أشدّ السرور * ثم انه ما حصنها بالاهبة الكامله * والعدّة الشاملة والرجال المقاتله * منهم طائفة من عساكر الهنود وملتان * وقوم من جند عراق العرب وأذربيجان * وفرقة من فوارس فارس وخراسان * وشرذمة من أناس تدعى جانى قربان * وأضافوا هؤلاء الكماه * مع تومان من باشاق الجغتاى الى الامير أرغون شاه * ووصلا الى خجند * وقطعا سيحون وقدما سمرقند * ووليها أمير ايدعى خواجه يوسف * فكان فى قيد الطاعة والاخلاص يرسف * ثم خرجا من سمرقند قاصدين ذلك الغشوم * ثم انه ما ماتا جميعا سيف الدين فى خراسان ومحمد سلطان فى بلاد الروم * فوقع تيمور فى الاحزان * على حفيده محمد سلطان * ولبس عسكره السواد * وأقاموا شرائط الحداد * ولم يكن بهم حاجة الى السواد المعلم * فانهم كانوا السواد الاعظم * ثم جهز عظامه فى تابوت * الى سمرقند مع عظموت وجبروت * ورسم أن يتلقاه اهل المدينة بالنوح والبكاء * ويقيمون عليه شرائط العزاء * وأن لا يبقى أحد من العباد * الا ويلبس من فرقه الى

قدمه السواد * فخرج أهل سمرقند عند موافاته * وقد انغمسوا في السواد لملاقاته * وصار الشريف والوضيع والدني والرفيع بالسواد معلما * فكأنما أغشي وجه الكون قطعا من الليل مظلما * فدفنوه بمدرسته الحصينة المعروفة بانشائه * داخل المدينة وذلك في سنة خمس وثمانمائه * ولما أهلك الله تعالى جدّه * دفنوه كما سيأتي ذكر ذلك عنده

❁(ذكر حلول غضب ذلك الصياد على الله داد ونفيه اياه الى اقصى البلاد)❁

ولما توجه الثقل من ماردين صحبة الله داد * وفارقه تيمور متوجها الى استخلاص بغداد * وكان الله داد * له أنداد * واكفاء وحساد * واعداء واضداد * والحسد في عنق صاحبه غل قمل * وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل * وجد أعداؤه للطعن فيه مجالا * وفي مقام ثلب عرضه مقالا * فانتهزوا فرصة غيبته * وأكلوا بلا ملح لحمه وتنقلوا بغيبته * ووشوا به الى تيمور * وذكروا ما فعله في الشام من الامور * وانه التمس من ذخائرها ما لا يحصى * واختلس لنفسه من نفائسها وتعلق به من اعلاقها ما لا يستقصى * وكان كما قالوا * وما اهملوا اكثر مما نالوا * فبدّدوا امره * واوغروا عليه صدره * لا سيما وقد قص جناحه بموت سيف الدين اخيه * وكان من الابهة والمهابة بحيث انّ تيمور كان يخافه ويرتجيه * وله في ممالك ما وراء النهر مآثر مشهوده * ونتائج فكر باقية معهوده * فلما وصل الله داد الى سمرقنده * اعقبه تيمور مرسوما من عنده * بأن يتوجه الى اشباره * ويستعدّ هنالك للنهب والغاره * وذلك كالنفي لله داد * والقائه في اقصى البلاد * وطرحه في نحر المخالفين وثغر ذوي العناد * وانتقل منها الى سمرقند ارغون شاه * ولم يزل بها الله داد الى ان انتقل تيمور الى لعنة الله * فجعلت المغول تجهز الى اشبارة الفيالق * وتنهب ما تصل اليه يدها من صامت وناطق * وتغتنم الفرصة لبعد تيمور عنها * وكان الله داد يحترز اشدّ الاحتراز منها * وهو مع ذلك يجهز لهم التجاريد ويحفر لهم بالمكر الآبار والاخاديد * ويقتل ويأسر * ويطحن ويكسر * حتى اقواها بعد تيمور * وسيأتي ذكر هذه الامور *

❁(نموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط وما كان يصل اليه غواص فكره النشيط)❁

ثم لما كان تيمور المشوم * مخيما ببلاد الروم * أبرد الى الله داد مراسله * فيها أمور مجملة ومفصله * أمره بامتثالها * وارسال الجواب بكيفية حالها * منها ان يبين له أوضاع تلك الممالك * ويوضح له كيفية الطرق بها والمسالك * ويذكر كيفية مدنها وقراها * ووهدها وذراها * وقلاعها وصياصيها * وأدانيها وأقاصيها * ومفاوزها وأوعارها * وصحاريها وقفارها * وأعلامها ومنارها * ومياهها وأنهارها * وقبائلها وشعابها * ومضائق طرقها ورحابها * ومعالمها ومجاهلها ومراحلها * ومنازلها وخاليها وأهلها * بحيث يسلك فى ذلك طريق الاطناب الممل * ويتجنب مأخذ الايجاز وخصوصا المخل * ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين * وكيفية السير بين كل مرحلتين * من حيث تنتهى اليه طاقته ❁ ويصل اليه علمه ودرايته * من جهة الشرق وممالك الخطا وتلك الثغور * والى حيث ينتهى اليه من جهة سمرقند علم تيمور * وليعلم ان مقام البلاغة فى معانى هذا الجواب * هو أن يصرف فيه ما استطاع من حشو وتطويل واطناب * وليسلك فى بيانه الطريق الاوضح من الدلاله * وليعدل عن الطريق الخفى فى هذه الرساله * الى أن يفوق فى وصف الاطلال وحدود الرسوم * وتعريف الدمن مضغة الشيح والقيصوم * فامتثل الله داد ذلك المثال * وصور له ذلك على أحسن هيئة وآنق تمثال * وهو أنه استدعى بعدة أطباق * من نقى الاوراق وأحكمها بالالصاق * وجعلها مربعة الاشكال * ووضع عليها ذلك المثال * وصور جميع تلك الاماكن * وما فيها من متحرك وساكن * وأوضع فيها كل الامور * حسبما رسم به تيمور * شرقا وغربا * بعدا وقربا * يمينا وشمالا * مهادا وجبالا * طولا وعرضا * سماء وأرضا * مرداء وشجراء * غبراء وخضراء * منهلا منهلا * ومنزلا منزلا * وذكر اسم كل مكان ورسمه ❁ وتمييز طريقه ووسمه * بحيث انه بين له فضله وعيبه * وأبرز الى عالم الشهادة غيبه * حتى كأنه مشاهده * ودليله ورائده * وجهز ذلك اليه * حسبما اقترح عليه * كل ذلك وتيمور * فى بلاد الروم يمور *

ورجله * وليأت بعدده وعدده * وجنده وولده * وليعرض ضرورته ان كانت ❊ ولا يستصعبها فقد هانت * فمن كان محتاجا الى اكمال شيء اكملناه * ومن كان معتازا الى ايصال شيء اوصلناه * واضفناه الى كل ما تحب اضافته * فيحصل امنه وتذهب مخافته * فاعرضوا اول شيء علينا السلاحكم * حتى نكمله ونعمل صلاحكم * فأحضر كل منهم اهبته * وعرض عليه عدّته * وطرحوه فى ذلك الجمع النظيم * فتراكم فكان كالطود العظيم * كما فعل اول الزمان * باهل مدينة سجستان * فلما سلب تلك الاسود براثنهم وانيابهم بهذه الاساليب * وخلب اولئك الكواسر الجواسر على مناقيرهم والمخاليب * واوبج صارم فكره الذكر فى احشاء عقولهم وانزل * وصار سماك سماء عزهم الرامح وقد نحره سعد الذابح اعزل ❊ امر كل من عنده احد من التتار * ان يقبض عليه ويوثقه بقيد الاسار * ثم امر برفع تلك الاسلحة الى الزردخانه * وقد اشعل قبائل التتار بجمر البوار واصعد الى العيوق دخانه * ففت ذلك من اعضادهم * وبت من اكبادهم * وقصم ظهورهم * واشعل نارهم واطفأ نورهم * ثم تلافى خواطرهم بالمواعيد الكاذبه * واستعطف قلوبهم بالامانى الخائبه * واستصحبهم بالاقوال المموهه * والافعال المشوهه ❊ وحال بهم الحال * وامر فى الحال بالمسير والترحال * قيل ان السلطان بايزيد * قال لذلك العنيد * انى قد وقعت فى مخالبك * واعلم انى غير ناج من معاطبك * وانك غير مقيم * فى هذا الاقليم * ولى اليك ثلاث نصائح * هنّ بخير الدارين لوائح * اولاهنّ لا تقتل رجال الاروام * فانهم رداء الاسلام * وانت اولى بنصرة الدين * لانك تزعم انك من المسلمين * وقد وليت اليوم امر الناس * وصرت لبدن الكون بمنزلة الراس * فان حصل لوفق اتفاقهم من تعدّى يدك بسط وتكسير * تكن فتنة فى الارض وفساد كبير * ثانيهنّ لا تترك التتار * بهذه الديار * فانهم موادّ الفسق والفساد فلا تهمل امرهم * ولا تأمن مكرهم فخيرهم لا يعدل شرهم * ولا تذر على ارض الروم منهم ديارا * فانك ان تذرهم ملأوها من قبائلهم نارا * وبحرّ وا من دموع رعاياها ودمائهم بحارا * وهم على المسلمين وبلادهم اضر من النصارى * وانت حين نفذتهم عن زعمت انهم اولاد اخوتك * وبنو عمك وذوو قرابتك * والاولى بجماعتك وناسك ان تتبعك * وبكل من اولاد اخيك ان يقول لك عم خذنى معك * فاعمل افكارك المصيبة فى اخراجهم * واذا ادخلتهم حبسا فلا تطمعهم فى افراجهم * ثالثهنّ لا تمديد التخريب الى قلاع المسلمين

وحصونهم * ولاتجاههم عن مواطن حركتهم وسكونهم * فانها معاقل الدين * وملجأ الغزاة والمجاهدين * وهذه أمانة حملتكها * وولاية قلدتكها * فتقبلها منه بأحسن قبول * وحمل هذه الامانات ذلك الانسان الظلوم الجهول * واستكثرها على عقل ابن عثمان * ووفى بها بقدر الطاقة والامكان *

(ذكر انقشاع ذلك الغمام بصواعق بلائه عن ممالك الاروام)

وسار فثار غبار * أخذ عين الشمس منه الابهار * وفار بحار التتار * فكان البحر أمده الله بسبعة بحار * فمر لا يدخل قرية الا أفسدها * ولا ينزل على مدينة الا محاها وبددها * ولا يمر على مكان الا دمره * ولا يجذب عن ربقة طاعته جندا الا كسره * ولا يمتنع عليه شمراخ حصن شامخ الا هصره * فخلع على عثمان قرايلوك حين وصل الى أرزنجان * وقرره فى ولاياته وزاده بعض معان ومغان * ووصاه بشمس الدين الذى ولاه قلعة كماخ * وأن يكون كل منهما للآخر قوة وطباخ

(ذكر انصباب ذلك العذاب ماء ونارا على ممالك الكرج وبلاد النصارى)

ثم لم يزل يلجج بذلك البحر اللج * حتى أرسى على بلاد الكرج * وهم قوم يعبدون المسيح * ملكهم غير فسيح * ولكنه مصون * بواسطة قلاع وحصون * ومغائر وكهوف * وجبال وجروف * وقلاع وحروف * وكل من ذلك أعصى فى المنال * من نفس كريم سيم شيم الانذال * ومن مدنهم تفليس * وكان أخذها ذلك الابليس * وطرابزون وأبخاص * وهى التخت بالاختصاص * فتمنعت هذه الاماكن عليه * ولم تسلم قيادها اليه * فأقام يحاصرها * وقعد يناقرها وينافرها * فمن ذلك مغارة بابها فى وسط جرف شاهق * آمنة من البوائق سالمة من الطوارق * وسقفها آمن من صواعق المجانق * وذيلها أرفع من أن يتشبث به علائق المسالق * مدخلها أخفى من ليلة القدر * وعدم التوصل اليها أجلى من القمر ليلة البدر * فأولع بمحاصرتها * والتزم بمضاجرتها * واستعمل من فكره مهندسه * وجعل لا يقر من الافكار والوسوسه * ثم انتج رأيه المتين *

وانكشف له مستور خبرها * ابى ان يرحل عنها * الا ان يصل الى غرضه منها * ولم يكن بالقرب منها مكان ينزل فيه * ولا برّ يحمل ذلك البحر الطاغى ويحويه * بل انما كان حواليها جروف وهضاب * غضون جبينها كانها وجه شوهاء ناشز عن زوج محب عقاب فى عقاب * فطمع منها فى غير مطمع * ونصب سرادقه بحيث كان منها بمرآى ومسمع * وصار من عساكره الاسود الحوادر * يتناوبون حصارها ما بين وارد وصادر * وهم يرفعون الجسر بالنهار * فيأمنون مكائد القتال والحصار * لانه قد تقدم انه لم يكن حواليها مكان للقتال * ولا مفحص قطاة يتمكن فيه النضال * فكانوا يرمونها بالنهار على بعد بسهام الاحداق * ويرضون منها بنظرة من بعيد كقانع العشاق * فاذا أجنهم الليل * شمروا الى جهة مخيمهم الذيل * لانهم لم يمكنهم حواليها مبيت ولا مقيل * فتضع النصارى الجسر ويرمّون الى حاجاتهم السبيل * فلما لاح له منها امارات الحرمان * وبان له ان امل ظنه من فتحها قد مان * كما قلت

واعظم شئ فى الوجود تمنعا ❋ نتاج مرام من عقيم زمان

صمم العزيمة على الرحيل * ولكن خاف العار فطلب لهذه المسألة الدليل والتعليل ❋

❋(ذكر سبب اخذه لهذا الحصن المنيع وبيان معانى ما جرى فى ذلك من صنع بديع)❋

وكان فى عسكره شابان نديدان * اسدان حديدان * يتشابهان فى الخلق والخلق * لم يكن بينهما فى الرجولية والشجاعة كثير فرق * يتجاريان فى كل وقت فى ميدان المناقب لاحراز قصب السبق * فكان كفتى ميزان * وفى مضمارها فرسى رهان * فاتفق ان احدهما صادف علجا من الكرج * فى الجراءة كالاسد وفى الجثة كالبرج * فنازله ثم قتله * وقطع راسه والى تيمور حمله * ففخم شأنه * واعلى على الاقران مكانه * فأثر ذلك فى نديده * فكانه قطع حبل وريده * ثم افتكر فى شئ يصنعه * يضع من نديده ويرفعه * وكان اسمه بير محمد ولقبه قنبر * فلم ير اكبر من مراقبة ذلك الجسر ولا اشهر * فاعتمد على الله سبحانه وحده * واستكمل ماله من اهبة وعده * ورصد نجمه فى بعض الليالى * واطاف مكان خالى * ولا زال يترقب النجوم * و يترصد عليهم طوالع الانقضاض والهجوم * و يشبر تلك الفتن بيديه و يذرع * ويمشى تارة على بطنه واخرى

[illegible]

وأخرجوا مالهم فيأ وحريمهم سبايا وأولادهم أسارى * وحملوا الى تيمور بير محمد * وأخبروه بما قصده في ذلك وتعمد * وتفقدوا ما به من جراح ادمى * فاذا هي ثمانية عشر جرحا كل منها يصمى * فشكر له فعله * ووعده مواعيد جزله * وأحله المحل العزيز * وجهزه الى تبريز * وأمر بعد الوصية به الامراء من النواب والرؤساء * ان يجمعوا عليه كل نطيس من الاطباء وخريت من الاساء * بحيث ان يبذلوا في معالجته جهدهم * ويستوعبوا في أساه كدهم * ويستوفوا في المعالجة قسمي العلم والعمل * فامتثلوا مراسيمه وعالجوه بما أمكنهم وأزاحوا العلل * فاندملت جروحه * وبرئت أحسن مما كانت قروحه * فلما انصل * والى تيمور وصل * جعله أحد قواده * ورئيس طائفة من أجناده * وقدمه على كثيرين بعد ان كان خلف * وصيره أمير مائة مقدم ألف

(تتمة ماجرى للكرج مع تيمور شيخ العرج)

وهذه القلعة والمغارة كانتا عيني قلاع الكرج * ونارا أعلامهم والبواقي سرج * فحين قلعت من وجوههم عيناهم * تيقنوا أن قد نزل بهم عناهم * وأحاط بهم عزاهم * فانحلت قواهم وانخزمت عراهم * وقعدت بهم الحيلة وقامت عليهم القيامه * وتجهمت بهم الى جهنم الزبانية وأسلمتهم السلامه * وتفاءل تيمور بحصول الفلج * وانثنى عزمه الى استخلاص ممالك الكرج * وانبثت شياطينه فيها فهزتهم هزا * وقدت ثوب حياتهم قدا وجزتهم جزا * وخاطت لهم أكفان المنايا بالسلاح فاوسقتهم شلا وكفا ودرزا * وتلا عليهم لسان الانتقام ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تأزهم أزا

(ذكر طلب الكرج الامان واستشفاعهم الى ذلك الجاني بجارهم)
(الشيخ ابراهيم حاكم شروان)

فاستدركوا تقصيرهم * واستنهضوا تدبيرهم * ورقعوا خرقهم قبل الاتساع * ووصلوا حبل حياتهم قبل الانقطاع * واستغاثوا الامان الامان * واستعانوا في خلاصهم بالشيخ ابراهيم حاكم شروان * وألقوا الى أيادي تدبيره الزمام * ورضوا أن يكون لجماعتهم وان

[illegible]

وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار * والرأى الشريف أعلى وأحرى * أن لا يخيب رجاء المملوك وأولى * فأجابه الى سؤاله * وطلب منه مالا عريضا سواء كان من مالهم أو من ماله * فقال الشيخ ابراهيم * أنا به زعيم * وأبلغ ذلك الى خزانته أتم ابلاغ * ثم رحل وأكمل شتويته فى قراباغ * وذلك فى سنة ست وثمانمائة

* (ذكر ثنى عنانه الى أوطانه وقصده بلاده بعد استكماله فساده) *

ولما زينت ماشطة الكون عروس المكان * وأقام مزين الجمادات قوام الزمان * وتهيجت القوى النامية * وتبرجت مخدرات الذرى السامية * وشبت الجمرات * ودبت الحشرات * تحرك للرحيل ذلك الافعى * ونفث على هوام أموات الزمهرير من أحياء عساكره فاذا هى حية تسعى * فدق الكوس * فجاوب صداه الرعد القاصف ولمعت مرايا اللبوس * فانعكس منها ايماض البرق الخاطف وعرض قبوله فى التروس * فاحاط بالاطواد قوس قزح * وسير خيوله فى اللبوس فتجلت كتائب الكثبان بشفوف الورد والريحان خائلة فى ذلك البر المنترح * ومارت الجمال * فمرت الجبال مر السحاب * وسارت الرعال * فصعد العثان من النقع الضباب * وشرعت الذوابل * فاذا رطب الاغصان متمائل * وهزهزت القواصل * فانساب فى القصيل مرهف الجداول * ونضنضت ألسنة الخناجر والنيازك فبرزت عذبات العذبات * ونشرت أعلام الكتائب فانبثت أشاهير الازاهير على عقبات العقبات * وعلى الجملة فان الربيع حاكى ببروقه بوارقه * وبرعوده صواعقه * وبخمائله ورا بيه زرابيه ونمارقه * وبركامه قتامه * وبشقائقه أعلامه * وبأشجاره المزهرة خيامه * وبأغصانه رماحه * وبعواصف أمره ونهيه رياحه * وبكتائبه السود كتبه الخضر * وبازهاره الزرق مزارقه الزهر * وبسيوله الجحافة مسير جحافله * وباضطراب بحر فيالقه تموج خمائله عند هبوب أصائله * واستمر بين ذلك العرار والرند * قافلا بالبال الفارغ الى سمرقند * فساروا السرور نديمه * والحبور حريمه * والاشر معاقره * والنشاط مسامره * وبين التفريط والافراط موارده ومصادره * حتى قطع ولايات اذربيجان * وحل ركابه بممالك خراسان * وفى خدمته ملوك الاقاليم وأرباب التيجان *

(ذكر نهوض ملوك الاطراف لاستقباله ووفودها عليه مهنية له بحسن مآله)

ولما تسامعت أقطار البلدان * أنه قفل قاصدا الاوطان * أقبلت اليه الملوك من أطرافها * والمرازبة من أكنافها * وسارع الى استقباله المداره والجحاجيح * وتبادر مما وراء النهر وغيرها السراة والمراجيح * وتطاير اليه من الاقاليم أساطينها * ومن الولايات والثغور ملوكها وسلاطينها * ومن كان مرابطا فى ثغر * ومواظبا عن أكيد أمر * أرسل نائبه أو قاصده * أو حاجبه أو رائده * يتباشرون بقدوم اقدامه * ويهنونه بما فتح عليه من هنده وعراقه ورومه وكرجه وشامه * ويقدّمون التقادم والحمولات * ويهيؤن الضيافات والاقامات * ثم أردفهم السادات والعلماء والمشايخ والكبراء * ورؤساء الموابذة وموابذة الرؤساء * فجعل سمت لكل واحد منهم سمتا * ويأمره فيخضع بالسمع والطاعة اجلالا وصمتا * ويمهد له فيما ولاه قواعد ومبانى فلا ترى فيها عرجا ولا أمتا * ثم جهز كلا منهم بما اقتضاه رأيه وأجازه * ووصل الى جيحون وقد أعدت له السفن والمراكب فجازه * فخرج أهل المدينة للاستقبال * وكل منهم منشرح البال ملتئم الحال * فدخل سمرقند أوائل سنة سبع وثمانمائه * ومعه من طوائف الامم الاثنان والسبعون فرقة وأكثرهم قدرية ومرجئه * ثم أذن لمن اختاره من العساكر فتفرقت * ولطوائف جند ما وراء النهر فتمزقت

(ذكر توزيعه التتار رسالا شرقا وغربا ويمينا وشمالا)

فلما استقرت به الدار * أخذ فى توزيع التتار * فكانوا ذوى عدّة وعدّه * ونجدة وشدّه * فخين سلبهم عدّتهم * كسر شوكتهم وشدّتهم * ولكن أبقى الله عدّتهم * فخاف لذلك نجدتهم * فشتت جمعهم * وأقوى من اجتماعهم ربعهم * فبذرهم فى فياف وبطاح * ووزعهم فى قفار وضواح * وبدّدهم فى أشطار عناء وبراح * وندّدهم فى أقطار بكاء ونواح * فسدّ برؤسهم أفواه الثغور * وأوصد بظهورهم أبواب النحور * فجهز طائفة الى كاشغر * وهو بين حدّى الخطا والهند أحد الثغر * ووجه فرقة الى دويرة فى وسط بحيرة تدعى أسى كول * وهو ثغر بين ممالك تيمور والمغول * فصادفهم بعض السعد *

فانقطعوا عمن أضيفوا اليه اكما ينقطع عما يضاف اليه بعد * فانضموا منهزمين ولم يلووا * وأخذوا من صوب الشمال وخرجوا الى الدشت الى ايدكو * ثم أضاف سائرهم * وقبائلهم وعشائرهم * من كل حزين أوّاه * الى أرغون شاه * وجهزه بعزم وحزم * الى ثغور الدشت وحدود خوارزم * وهذا كان هجيره * ومابنى عليه أوامره وأموره * فانه كان من الشياطين النقاله * وفي المكر واللعب بالناس كدلة المحتاله * كلما بنى في قطر قلعه * أو استولى في نحر من نحور المخالفين على بقعه * أنزل بها من العساكر * من هو في أقصى جهات تقابلها من الحصون والدساكر * ونقل اليها من لها من الرجال * ان كان في الشمال الى اليمين وان كان في الجنوب الى الشمال * فانه لما استولى على ملك تبريز وماوالاه * استناب فيه ولده لصلبه أميرانشاه * وأمده من الجغتاى بطائفة غلاظ شداد * منهم خدايداد أخو الله داد * ونقل الى أطراف الخطا وتركستان * طوائف من عسكر العراقين والهند وخراسان * وولى سماقة بن التكريتي الذي أخذه من الشام * نيابة مدينة سيرام * وهي من سمرقند الى جهة الشرق نحو من عشرة أيام * وولى يلبغا المجنون نيابة ينكى بلاس وراء سيرام بنحو أربعة أيام * وهما كورتان مختصرتان * وراء سيحون من معاملات تركستان * وهما كانا أقل من أن يذكرا * أن يصيرا حكاما وأمرا * وانما فعل ذلك * لينتشر في أطراف الممالك * ان عنده من رؤساء الشام * جماعة من أعيان الاعلام * وان في ممالكه من الخدم * رؤساء الامم حكام العرب والعجم * وان ذلك الطرف جال وسطا * وملك ما بين الشام والخطا

* (فصـــــــل) * ثم أخذ يتفقد ما حدث في غيبته * من أمور بلاده ورعيته * ويتفحص عن قضايا الممالك * وسلاك ملوكها المسالك * ويدبر مصالح الاطراف والثغور * والاكناف والبحور * ويراعي أحوال الكبير والصغير * ويتعاطى مصلحة الغني والفقير * ويضع الاشياء في محلها * وزمام الوظائف والمناصب في يد أهلها * ويبادر * بما قال الشاعر *

لله در أنوشروان من رجل * ما كان أعرفه بالوغد والسفل
نهاهم أن يمسوا عنده قلما * وأن يذل بنو الاحرار بالعمل

وأخذ يربي السادات * ويكرم الاولياء ذوي الكرامات * ويبجل العلم وأهله * ويعلي الفضل ويعز محله * ويقلع المفسد ويقمع المارق * ويخنق الزاني ويصلب السارق *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهو أحد الاماكن المذكوره * والمتنزهات التي هي بالنزاهة والرفاهة في الدنيا مشهوره *
ومبدأ السعد الذي جهاته بالنعم موقرة موفوره قلت

شقائقه خدود ناضرات ❁ تحشت من سواد المقلتين

عساكر تيمور مع أنها البحر المتلاطم فيه * تضاهي بني اسرائيل في قطر من أقطار التيه *
ثم أمر الملوك والسلاطين * وأرباب التيجان من الاساطين * أن يخرجوا اليه وينثوا
عليه * وفرز لكل منهم في ذلك المرج مقاما * ورتبه ميمنة وميسرة ووراء وأماما * وأمر ان
يظهر ما أمكنه من تجمل وتحسين * ويضرب ماله من خيام وقباب متكلفة بأنواع النقوش
والتزيين * ثم رتب من دونهم من الكبراء والاعيان * ورؤساء الامراء والاعوان * في
ذلك الروض الاريض * والمرج الطويل العريض * فأخرج كل منهم ماحواه * وكاثر
نظراءه لينظروا ماقدّمت يداه * وفاخر ذوو الفخار منهم وباهى * واستقصى في المباهاة
والمفاخرة وتناهى * فنشر واما طوت صحائف أيامهم * على جمعهم اياه سجلات آثامهم *
من طرف أطراف الاقاليم والامصار * وتحف جواهر المعادن والبحار * ونفائس ذخائر
نهبوا عليها النفوس وألهبوا الانفاس * وعرائس أخائر سقوا عليها الكؤس وحرقوا
الاكياس * ما أزرى على زهر تلك الروضة الخضراء بالانجم الزواهر * وأسرى منظره
البهيج سرايات المسرات الى سر السرائر * فزاد حسن حديث ذلك المكان ونما * وعلا قدره
بهجة على كل أرض وسما * ثم أمر بسرادقاته فجعلت مركز تلك الداره * ونقطة دائرة
تلك الافلاك المداره * وهي سور محيط مضروب * على ماله من خيام وقباب منصوب * له
باب واسع * يدخل فيه من دهليز شاسع * على ما به من مغان ومغان * وله قرنان
شامخان * تنكسر لهما الرؤس * وتذهل عند مشاهدتهما النفوس * ولاجل هذين *
كان يلقب ذا القرنين * ونصبوا له داخل هذا الجناب * عدّة من الخيام والاخبية
والقباب * ومن جملتها قبة أعلاها وأسفلها بالذهب مزركش * وظاهرها وباطنها بلب
الريش مريش * وأخرى كلها بالحرير محبوكه * وبأنواع النقوش وألوان الاصباغ مبنية
مشبوكه * وأخرى من فرقها الى قدمها مكللة باللآلى الكبار * التي لا يعلم قيمة أحدها
الا عالم الاسرار * وأخرى مرصعة بأنواع الجواهر * على صفائح الذهب مدهشة للابصار
والبصائر * وجعلوا ما بين ذلك سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابا
وسررا عليها يتكئون * وبين ذلك الاوراق المنقشه * ورواقات الاخبية المزركشه *

والفساطيط والابنية المدهشه * وفيها مراوح الخيش * الجالبات لبرد العيش *
والمنافع والمرافق * والمفاتح والمغالق * وأظهروا الذخائر الغريبه * وأرخوا على ذلك
الستائر العجيبه * ومن جملتها ستارة جوخ كان أخذها من خزانة السلطان بايزيد * قطعة
واحدة عرضها نحو من عشرة أذرع بالذراع الحديد * منقشة بأنواع النقوش * من صور
النباتات والبنيان والعروش * وأشكال الهوام والطيور والوحوش * وأشخاص
الشيوخ والشبان * والنساء والصبيان * ونقوش الكتابة وعجائب البلدان *
والعروق اللاعبة وغرائب الحيوان * بالوان الاصباغ * المبالغ فى احكامها واجادتها
أحسن بلاغ * كان صورها متحركة تناجيك * وثمارها الدانية لاقتطافها تناديك *
وهذه الستارة أحد عجائب الدنيا * وليس المستمع كالمرآى * ونصبوا أمامه سرادقاته
بمقدار شوط فرس الصيوان * الذى يجتمع المباشرون فيه وأرباب الديوان * وهو جتر
عالى الذرى * شامخ فى الهوى * له نحو من أربعين أسطوانه * وعواميد وأسوار شيدوا
عليها أركانه وسدّدوا بنيانه * يتسلق الفرّاشون الى أعلاه كالقرده * كانهم مسترقو
السمع من الشياطين والمرده * ويتعادون على سطحه * حين يرفعونه بعد بطحه *
(فصـــــل) وأخرج أهل المدينة ماعبوه * من تجمل وزينة ونصبوه * تجاه
تلك السرادقات على مدّ البصر * وتأنق كل واحد من أهل البلد بما وصلت اليه القوى
والقدر * واجتهد كل ذى حرفة بما يتعلق بحرفته * وبالغ كل من أرباب الصنائع فيما
يليق بصنعته * حتى أن ناسج القصب أخرج فارسا مكمل الاهبه * واستقصى فى اكمال
هيئته حتى أظافيره وهدبه * واستوفى دقائق ما يتعلق به من الآلات * كقوسه وسيفه
وسائر الاستعدادات * كل ذلك من القصب * ورفع ذلك فى مكانه من غير تعب ونصب *
وصنع القطانون من القطن ميدنة رفيعه * محكمة بديعه * ذات قد رشيق * وصنع وثيق
ومنظر أنيق * ببياض جسم يسمو على الحور * وكمال قوام يعلو على القصور * ونصبوها
فصارت بحسنها تستوقف النظاره * وبعلو قامتها ترشد فى ذلك المهمه الماره * حتى
غدت علما للسياره * وعلى جوامع تلك الابنية مناره * وكذلك أهل الحرف من
الصواغين * والحدّادين والخفافين والقواسين * وسائر الطوائف * وأرباب الملاعب
واللطائف * ولقد كانت سمرقند مجمع الافاضل * ومحط رحال أهل الفضائل *
فرتبت كل طائفة ما أخرجته على حدة فى مكانه * امام سرادقاته وصيوان ديوانه * ونصبت

وراء ذلك كله الاسواق * وضربت بين الناس بوقات الابواق * وزينت الفيول وجياد الخيول بأفخر لباس * وأطلق عنان الرخص والتمتع بأنواع الملاهي والملاذ للناس * فسارع كل طالب الى مطلوبه * واجتمع كل محب منهم مع محبوبه * من غير أن يتعدى أحد على أحد * أو يستطيل أعلى من يكون على أدنى من يكون من الجند وأهل البلد * أو يجري تعدّ مّا * من شريف مّا على وضيع مّا *

❀(فصـــــل)❀ ولما استتبت الامور على مراد تسويل قرينته * وأخذت الارض زخرفها وازينت من جنده وأهل مدينته * توجه الى ذلك المرج على وقاره وسكينته * وخرج على قومه في زينته * ثم أمر أن تجري يواقيت الصهباء * على زبرجد ذلك المرج الاحوى * وسيلها لكل ناظر وعام * فسبح في تيارها كل خاص وعام * فدارت في سماء تلك الارض للسرور أفلاك * وهبطت في أفقها بوحي اللذات من أفلاك الملاحة أملاك * فأصبحت تلك الاسود الحواذر * وهي ظباء جوازر * وتنزلوا من جحيم المنازله * الى نعيم المغازله * وتبدلت تلك الغلاظة والكثافه * باللطافة والظرافه * وأصبحوا بعد جورهم يتجاورون * وبمعنى ماقلته يتحاورون شعر

محا الظلم من بين الورى سيف عدلنا ❀ فلم يتشبث مستغيث بمعتدى

سوى قلب صب صاده طرف أحور ❀ وخصر نحيل آده ردف أغيد

فما صار يصول سيف الآن كان صارم لحظ وهو مع ذلك مكسور * ولا يجول ذابل الآن كان رمح قد وهو مع ذلك بالعناق مهصور * وصرت لاترى الاعوا يحرك أو يحرق * أوقد حاربوا أو برق * أوشاد يا يغرد * أوثار يا يعربد * أوجارية تسقى * أوساقية تجري * أوخد ورد يعشق * أو ورد خد ينشق * أوكاس ثغر يرشف * أوغصن خصر للعناق يقصف * أوفرص عيش تغتنم * أولسان حال ينشد ويترنم شعر

في ربيع الوصـــــل لما ❀ أن وفى الظبي الشرود

وسرت بشرى الصـــــبا ❀ للروض تنبي بالورود

خـــرّت الأنهار والا ❀ غصان مالت للسجود

واجتمعنـــا في رياض ❀ حسنها يسبي الوجود

فالسحـــاب الصب فيها ❀ بالحشـــا أمسى يجود

نثر الدر علينـــا ❀ منـــه بلور الغمام

فوق صحن سندسى * فيه ملياقوت جام
وثغور من عقيق * زانها حسن ابتسام
وعيون من لجين * ناظرات لا تنام
وغصون الدوح حفتنا * بأنواع النقود
طيرها غنى عليها * اذ علا عود اوطار
وشذاها ضاع فيه المسك لما منه غار
والصبا أمسى عليلا * فى رباها حين سار
جنة الفردوس فيها * وجه بدرى حين نار
أصبحت جنات عدن * تشتهى فيها الخلود
بالها من عشرة * جاءت بأنواع الهنا
ليس فيها غير لثم * وارتشاف واعتنا
وكؤس دائرات * وغناء وغنى
لو رآها زاهد من * ريحها كان انثنى
لم يسعه عندها من * زهده الا الجحود
قم نديمى عاطنى * فالدهر لا يسوى الحزن
كأس عيش ينمحى * فى مزجها صرف الزمن
الطلا والماء والخضرة والوجه الحسن
لا تطع فى ذاعذ ولا * انه خب كمن
فى حشاه غليان * لا تقل خل ودود

فحصل الامن والدعه * والفراغة والسعه * ورخص الاسعار * وقضاء الاوطار * واعتدال الزمان * وعدل السلطان وصحة الابدان * وصفاء الوقت * وذهاب المقت * وحصول المطلوب * ووصال المحبوب * مصراع * وعند التناهى يقصر المتطاول * واتفق له فى ذلك العرس من الابهة والعظموت * والسطوة والجبروت * شئ لم أظنه حصل لاحد من الخلفاء المتقدمين * ولا يقع فيما بعد لاحد من المتأخرين * وان كان المأمون فرش تحته ليلة عرسه حصيرا من الذهب * ونثر على رأسه اللؤلؤ المنتخب * ولم يلتفت اليه * ولم يلتقط من ورائه ولا من بين يديه * حتى قال * قاتل الله أبا نواس كأنه كان حاضرا حيث قال

كائن صغرى وكبرى من فواقعها ❁ حصباء در على أرض من الذهب

لكنّ تيمور كان في عرسه ذلك بنات الملوك وصائف * وبنوها عبيدا كل منهم في مقام العبودية واقف * واجتمع عنده قصاد الملك الناصر فرج من مصر والشام * ومعهم الحمولات والتقادم ومن جملته الزرافة والنعام * ورسل الخطا والهند والعراق والدشت والسند وبريدي الفرنج ومن سواهم * وقصاد كل الاقاليم أقصاهم وأدناهم * ومن كل مخالف وموافق * ومعاد ومصادق * فأخر الجميع حتى شاهدوا عظمته * وعاينوا جبروته في ذلك العرس وأبهته * فباشر ذلك على تلك الحال * لا يخاف النكال ولا يخشى الوبال قلت شعر

قرير العين لا يرجو إلها ❁ خلي البال لا يخشى معادا

يتناول المحرّمات ويبيحها * ويروج عنده مستهجنها وقبيحها * مهما أمر به جماعته في ذلك امتثلوه * يتباهون في كل قبيح عملوه * ولا يتناهون عن منكر فعلوه قلت شعر

تبدّل من سفك وهتك جريمة ❁ أحل بها ما حرّمته الشرائع

وجعل يدعو الملوك والامراء * وسلاطين الآفاق والكبراء * وقواد التوامين * وزعماء الجيوش والمقدّمين * ويسقيهم الكاسات بيده * ويحل كلا منهم محل أخيه وولده * ويخلع عليهم الخلع السنيه * ويجزل لهم المواهب والعطيه * ويجلس كلا منهم بجنبه ذات اليمين * وأما ذات الشمال فانها للنساء والخواتين * فان النساء لا يستترن من الرجال * خصوصا في مجالس الاجتماع والاحتفال * واستمرّ في ذلك بين جنك وقانون * وعود وأرغنون * وناي مرقص مطرب * وشاد معجب مغرب * وساق فاتن ودهر موات وهوى متبع * وأمر مستمع * وشمس تدور * على نجوم وبدور * وكأس تملا وكيس يفرغ * وأمر يمضي وأمل يبلغ * حتى استخفه الطرب والبطر * واستفزه النشاط والاشر * فضبع الى من استعضده * ومدّ للنهوض اليه يده * فتعاضدوا لمعاونته * وتعاونوا على معاضدته * وحين استوى قائما * تهادى بينهم بشيبته وعرجته راقصا * قلت

ومن عجب الدنيا أشل مصفق ❁ وأبكم قوال وأعرج راقص

فنثر عليه الملوك والكبراء * ونساء السلاطين والامراء * الجواهر واللآلي * والفضة والذهب وكل نفيس غالي * ولم يزل على ذلك حتى استوفى من اللهو حصته * ودخل العروس منصته * وانقضت تلك الامنيه * وتفرّقت هاتيك الجمعيه * شعر

ماكان ذاك العيش الا سكرة ❊ لذاتها رحلت وحل خمارها

❊(فصـــــــل)❊ ولما بلغ من دنياه المرام * وانتهى ايله الى الكمال والتمام * وعرج فيما يرومه الى ماعرج * وصعد في سلم ارتقائه الى أعلى الدرج * وقارب بدر عمره الافول * وشمس حياته ان تزول * رشقه الزمان بسهم أصماه فما أمهله ونادى بلسان فصيح * فرغ العروس يابيت الاحماء لوسمع لكان يصيح قلت شعر

وما الدهر الا سلم فبقدر ما ❊ يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات مافيه نزول وانما ❊ شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فمن صار أعلى كان أوفى تهشما ❊ وفاء بما قامت عليه شروطه

فأفاق من سكره * وعاد الى عسكره * وارعوى عما اعتدى * وعلم أنه أضل قومه وما هدى * ورأى أنه قد فرّط في أمر الرياسه * وحط من جانب الايالة والسياسه * وانه سام الملك خسفا * وسائس السلطنة وجد عليه مائة طريق في التقصير وألفا * فأخذ يتدارك ما كان فرط * ويطلب التفصي عما فيه تورط *

❊(ذكر بعض حوادث متقدمة لمتعلقات ذلك العابث)❊

وكان تيمور قد رأى في الهند جامعا * للبصيرة مرتعا وللبصر رائعا * عرشه في حسن بنائه ونقشه * من الرخام الابيض كبساط فرشه * فأعجبه شكله * وأراد أن يبنى له في سمرقند مثله * فقرر لذلك مكانا في فرز * ورسم أن يبنى له جامع على ذلك الطرز * وأن يقطع له أحجار من المرمر الصلد * وفوض أمره الى رجل يقال له محمد جلد * أحد أعوانه ومباشرى ديوانه * فاجتهد في بنيانه * وتشييد أركانه * واستقصى جهده في تحسينه * من تأسيسه وتركيبه وترتيبه وتزيينه * وأعلى له أربع ميادين * وباهى فيه أئمة البنائين والاستاذين * وظن أن لو كان على ذلك أحد غيره * لما قدر أن يصنع صنعه ويسير سيره * وان تيمور سيشكر له صنيعه * وينزله عنده بذلك منزلة رفيعه * فلما آب من سفرته * وتفقد ما حدث في غيبته * توجه الى الجامع لينظر اليه * فبمجرد ما وقع نظره عليه * أمر بمحمد جلد فالقوه على وجهه وربطوا رجليه * ولا زالوا يجرونه * وعلى وجهه يسحبونه * حتى بضعوه على تلك الحال * واستولى على ماله من أهل وولد ومال *

الشرق فى فكره يجول * وقد ذكر أنه أرسل الى الله داد * يستوصفه أوضاع تلك البلاد * فلما انكشفت له أحوالها * وتبينت له قراها ومضافاتها وأعمالها * حتى شاهدتها عين بصيرته * واستقرّت كيفيتها فى سريرته * جهز لتلك النواحى * رؤس هاتيك الضواحى * ومن جملتهم بيردى بيك وتنكرى بيردى وسعادات * والياس خواجه ودولة تيمور مع زيادات * وأضاف اليهم طوائف من الاجناد * ورسم أن يتوجهوا كلهم الى الله داد * وأن يجهز الله داد أمره * ويتوجهوا فيبنوا قلعة تدعى باش خمره * وهى عن أشباره نحو من عشرة أيام * ومن متعلقات المغل الطغام * وكانت أمورها اضطربت ولكونها متنازعة بين مملكتين خربت * فتوجهوا الى تلك الداره * بالعساكر الجرّاره * واشتغلوا على غير عادتهم بالعماره * وكان توجه هذه الفئه * فى أواخر سنة ست وأوائل سبع وثمانمائه * وقصد بذلك أن تكون لهم معقلا * وعند توجههم الى الخطا وايابهم ملجأ وموئلا * فلما أحكموا أساسها * وصنفوا أنواع بيوتها وأجناسها * ووضعوا من احجار الاساسات أقدامها * ورفعوا على أعلام الاسوار أعلامها * أرسل اليهم مرسوما أنهم يرجئون أمرها * ويتناسون ذكرها * ويأمرهم فيه بالرجوع * والاشتغال بتعليق البلاد بالزروع * بحيث أن فقهاء المدارس والديار * من أهل القرى والامصار * والمشتغلين بفقه المزارعة والمساقاة من فلاحى الانجاد والاغوار * وأهل الرزداقات والاكاره * من حدود سمرقند الى أشباره * يتركون مسائل المعاملة والمبايعه * ويكررون البحث قولا وعملا فى درس المساقاة والمزارعه * ويؤذن فى جماعتهم أن يقيم كلا منهم فى الزرع صلاحه * وان اضطرّ أحدهم أن يترك صلاته فالحذر أن يترك فلاحته * ورام بذلك أن يكون لهم فى سفرهم عتادا * وان نقص لهم فى الدرب قضيم وخصيم زادا * فتركوا العماره * وقصد كل من الامراء دياره * واشتغلوا باستخراج البقر والبذار * واجتهدوا فى احياء جميع الموات كما رسم وأشار * فما فرغوا من ذلك الا وقد طوى المصيف بساطه * ونشر رائد الخريف على العالم أعلامه وأنماطه *

* (ذكر عزمه كما كان على الخطا ومجيئه سكرة الموت بالحق وكشف عنه) *
(الغطا ثم انتقاله من سفره الى سقره)

فلما أفاق * أخذ فيما كان عليه من التوجه الى الآفاق * وقصد الحواشي والاطراف * واستخلاص الممالك والاكناف * وصرف عنان الذهاب * نحو الخطا على عادته وكان ذلك عين الصواب * فأرسل الى أمم عساكره أن يستوفزوا * و يأخذوا أهبة أربع سنين أوأكثر ويتجهزوا * فلبت كل أمة دعوة رسولها * وشنفت بأقراط مراسمه آذان قبولها * وحمل كل أسد جوزاء عتاده * وامتطى جدي بغيه * وعقد كل ثور سنبلة زاده * ودلو سقيه * ودب كل عقرب منهم دبيب السرطان * وانسابوا انسياب الحوت في بحار العدوان * مجازفين مظالم العباد بلا كيل ولا ميزان * فأبرد هلال القوس سهم بريده برسومه الى كل صماخ * يخبر أن جند الشتاء على عالم الكون والفساد أناخ * فليستعد له الكفاة * وليحذره العراة والحفاة * ولا يكتفوا في كفه بكفاته فما كل كاف له كفوا * لانه في هذه المرة آية من آيات الله فلا تتخذوا آيات الله هزوا * وان قصده بقدومه تبريد الانفاس * وتشنيط الانوف والآذان واسقاط الاكارع وقلع الراس * وأن فصل الخريف رائد جنوده * وقائد بنوده * ونموذج طلعته * ومرآى عين غلته * وعنوان مكاتبته * ومقدمة كتيبته * ثم زمجر بعواصف رياحه البارده * وخيم على العالم بخيام غيومه الصادرة والوارده * فارتعدت الفرائص من زئيره * ولاذ كل من الحشرات بقعر جحره خوفا من زمهريره * وجمدت النيران وجمدت الغدران * وارتحفت الاوراق ساقطة من الاغصان * وخرت على وجهها الانهار * جارية من الانجاد الى الاغوار * وتخيست الاسود في أخياسها * وتكنست الظباء في كناسها * وتعوذ الكون من آفته * واصفر وجه المكان من مخافته * واغبرت خدود الرياض * وذبلت قدود الغياض * وراح ما كان بها من النضرة والارتياح * وأصبح نبات الارض هشيما تذروه الرياح * فاستمع تيمور لفظات هذه النسمات * واستبرد نفثات هذه النفحات * وأمر باعداد لبوس القباب * واستعداد بركستوانات الجباب * واتخذ لصفاح الجد وسهام البرد * من المبطنات الدرق ومن الفراء الزرد * ثم ضاعف لملاقاة الشتاء مضاعفات اللباس * وأفرغها على قامة عزمه الثاقب وأمدها من كافات كفايته بأتراس * ولم يلتفت الى كلام وملام * واستكفى من الشتاء بأسه وأعده من كل كاف ولام * وقال لعسكره لا تكترثوا بأمر الشتاء فانما هو برد وسلام * وحين اجتمعت عساكره * والتأمت أموره وأوامره * أمر أن يصنع له خمس مائة عجله * وتضبب بالحديد ليحمل عليها ثقله * فبادر الشتاء نحو وجهه بالدخول * وأورد بانقطاع

جراية عمره من ديوان الفناء الوصول * فبرز في شهر رجب * وقد أصبح البرد عجبا وأي عجب
وسار لا يرق لمرق * ولا يرثي لجسد من البرد محترق * فوصل في سياحته الى سيحون وقد
تجمد * و بنى عليه رائق النسيم الصرح الممرد قلت قديما شعر

على البحر قد عاينت جسرا ممددا * بناه اله العرش صرحا ممردا
بكيت فخلت الدمع في جنباته * رقيق رحيق في زجاج تجمدا

فعبره ومر ومضى على ذلك واستمر * وتمادى على لجاجه وأصر * فدمر الشتاء عليه
من الجوانب بكل اعصار فيه نار * وحطم جيشه بكل نكباء صرصر * وضرب ثبنات
عسكره بصرة طول فيها وما قصر * وهو بذلك الجمع الكثير يسير * لا يحن لأسير
ولا يجبر وهن كسير * يسابق البرد ببرده * و يجاري الجرد بجرده ومرده * فجال فيهم
الشتاء بحراجف عواصفه * وبث فيهم حواصب قواصفه * وأقام عليهم نائحات صراصره *
وحكم فيهم زعازع صنابره * وحل بناديه * رطفق يناديه * مهلا يا مشوم * ورويدا
أيها الظلوم الغشوم * فالى متى تحرق القلوب بنارك * وتلهب الاكباد بأوامك وأوارك *
فان كنت أحد نفسي جهنم فاني أنا ثاني النفسين * ونحن شيخان اقترنا في استيصال البلاد
والعباد فانحس بقران النحسين * وان كنت بردت النفوس وبردت الانفاس فنفحات
زمهريري منك أبرد * أوكان في جرائدك من جرد المسلمين بالعذاب فأصماهم وأصمهم ففي
أيامي بعون الله ماهو أصم وأجرد * فوالله لا حابيتك * فخذ ما آتيتك * ووالله لا يحميك
يا شيخ من برد ريب المنون * لواعج جمر مجمرة ولا واهج لهيب في كانون * ثم كال عليه من
حواصل الثلوج ما يقطع الحديد ويفك الزرد * وأنزل عليه وعلى عساكره من سماء
الزمهرير من جبال فيها من برد * وأرسل عقيبها زوابع سوافيه فحشتها في آذانهم وما قيهم *
ودستها في خياشيمهم فاستقبلت بها نزع أرواحهم الى تراقيهم * وجعلت تلك الريح العقيم
ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم * وأصبحت مشارق الارض ومغاربها من الثلوج
المنقضه * كأنها برعرصات القيامة أو بحر صاغه الله من فضه * فكانت اذا بزغت الصفعاء
ولمع الصقيع ترا أي شئ عجب * سماء من فيروزج وأرض من بلور وملأ ما بينهما شذور
الذهب * فاذا هبت فيما بين ذلك والعياذ بالله نسمة ريح * على نسمة ذي روح * أخمدت
نفسه * وجمدته وفرسه * وكذلك الجمل والجمال * حتى أتت على كل مرمق الحال *
وانتهى الشان الى ان طابت النار وردا * وصارت لواردها سلاما وبردا * وأما الشمس

فانها ارتجفت * وجمدت عيناها من البرد ونشفت * وصارت كما قيل

يوم تودّ الشمس من برده * لو جرّت النار الى قرصها

وكان الرجل اذا تنفس جمدت أنفاسه على سباله ولحيته * فيصير كانه فرعون وقد رصع لحيته بحليته * وان لفظ من فيه نخامة عاقده * لا تصل الى الارض مع ما فيها من الحرارة الا وهي بندقة جامده * فانكشف ستر الحياة عنهم * وأنشد لسان حال كل منهم *

شعر

فيارب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالي عالم لا تعلم

فان كنت يوما مدخلي في جهنم * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

فهلك من عسكره الجم الغفير * وأتى الشتاء على كثير من كبير منهم وصغير * وشاط منهم أنوف وآذان وسقط * وانحل عقد نظامهم وانفرط * ولا زال الشتاء يهب ويصب عليهم ريحا وبحارا * حتى أغرقهم فيها وهم عاجزون حيارى * ونودي عليهم مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا * فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا * وهو مع ذلك لا يلتفت الى من مات * ولا يتأسف على ما فات *

(ذكر مرسوم أرسله الى الله داد بث منه الاكباد وفت القلوب والاعضاد)

(وزاد ما خيله فيه من هموم بأنكاد)

وكان تيمور حين مخرجه من سمرقند أرسل الى الله داد باشباره * مرسوما أذهب فيه قراره * ونفر طائر نومه عن وكر أجفانه وأطاره * وفهم من فحواه بالاشاره * أنه طالب دماره * ومؤتم أولاده ومخرب دياره * شدّ عليه فيه المضائق * وسدّ في وجهه الطرق والطرائق * واقترح عليه فيه بأمور * يسهل عندها قطع الجبال ونقل الصخور * ويعذب عند أدناها شرب البحور * من أقلها أن يهيء له بمفرده * اقامة ليوم قدومه دون غده * خضميا أكله ليله * وقضيما يطعمه خيله * ومن عرض ذلك مائة ألف حمل جمل طحينا خاصه * وهو مخصوص به لليلة واحدة ناصه * وانه مع عساكره الجرّاره * لا يبيت سوى ليلة واحدة باشباره * الى غير ذلك * فلما اطلع الله داد على هذا الكتاب * وفهم ما تضمنه فحوى هذا الخطاب * علم أنه قد حل به العذاب فسلت وعيه * وبذل سعيه * وأخذ في اعداد الطحين * واجتهد

فى ادارة الطواحين * وكانت الطواحين أوقف من حال أديب * فى هذا الزمن العجيب * ومجارى مياهها أيبس من كف شحيح * كأنّ زمن القحط بذريه الدقيق فى الريح * ودماء الانهار فى مجارى عروق الجبال ناضبه * ودموع العيون فى آماق الغروب غاربه * فبذل ما كان أعدّه * لكل نائبة وشدّه * وأهان نفائس الاموال * واستعان على اجراء الماء بالمال * واستغاث بأولى النجدة من الرجال * واستمدّ المدد * من كل عدّ وثمد * واستنهض آراء المتفقين من الاصحاب * واستدفع بهم ما نزل به من مخالب للبلاءات وناب * وقرع لفتح ما أرتج عليه مما لا طاقة له به كل باب * فاستجابوا دعاءه * وأجابوا صداه ونداءه * وتأوّهوا لمضضه * واستطبوا لمرضه * وجمعوا من العملة والفعلة الاسود والسراحين * فعملوا فى سوق الانهار من الاعمال ما يدير الطواحين * وجعلوا يعاندون البرد * ويقطعون فى طريق الماء الجمد * فكانوا كالضارب فى حديد بارد * والمكابد بترويق وعظه تليين قلب الجاحد * حتى سهلت حزونه * ورق لمكابدتهم فدمعت عيونه * وصاروا لا يقطعون من الجليد * مقدار ذراع بالحديد * الا وتهب نسمة يابسه * على تلك الوجوه العابسه * فاذا هب بارد النسيم * قابله الماء بوجه بسيم * فيبرد قلبه عن نارهم * ويصرد لهم عن أوارهم * فيجمد ما فوق ذلك * فتضيق عليهم المسالك * فيرجعون القهقرى * ويمشون كالحبالى الى ورا * والله دائم مع ذلك يبذل الاموال * وينادى مستغيثا بالماء يا للرجال * قلت

فكان كل منهم كالحمار * يخرج ما أمكنه بالمدار
يوقفه الماء لاجرائه * وكلما أوقفه البردار

الى ان وقع الاتفاق بين الرفاق * أن هذه مسئلة تكليف ما لا يطاق * وحين تبين له أمرهم * وتعين عنده عذرهم * قارنه الحظ الحالك * وتيقن أنه لا محالة هالك * وأنه قد وقع فى البلاء العريض الطويل * وأن مخدومه ما طلب منه فى ذلك الحز الدقيق الا امر جليل * وكان بلغه ما رشاه به أضداده * ونقل الى تيمور عنه أعداؤه وحساده * وعلم أن خاطره تغير عليه * وفعله مع محمد جلد مشيد جامعه قد نقل اليه * وكيف قتله شرقتله * ونهب أمواله وأسر أولاده وأهله * وكان متوقعا من تيمور * أضعاف هذه الشرور * لا يقر له قرار * ولا يسكن له ليل ولا نهار * وقد غسل من الحياة يده * وودّع حياته وأهله وماله وولده * وقد قرب شهر الصيام * وصار بينه وبين تيمور نحو من عشرة أيام * وقد انقطعت الدروب * وضعف الطالب والمطلوب

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وجنده وقد ضل عنهم ما كانوا يفترون * ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * ثم انهم أحضروا من جهنم المسوح * وسلواسل السفود من الصوف المبلول تلك الروح * فانتقل الى لعنة الله وعقابه * واستقر فى أليم زجره وعذابه * وذلك فى ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان ذى الانوار * سنة سبع وثمانمائة بنواحى انذار * ورفع الله تعالى برحمته عن العباد العذاب المهين * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * قلت شعر

الدهر دولاب يدور * فيه السرور مع الشرور
بينا الفتى فوق السما * واذا به تحت الصخور
كم من شموس فى سما * فلك العلاء لها يدور
لما استوت فى عزها * زالت وا كسفها القتور
وملوك دنيا أضرمت * من نار عدواها الجور
ملكوا البلاد وأهلها * ماضى الاوامر والامور
أغراهم الدهر الخؤ * ن وغرّ بالله الغرور
ضحك الزمان بثغره * لهم وقد ملكوا الثغور
فغدوا ذئابا فى الاذى * وغدوا أسودا فى الشرور
غنى لهم فتراقصوا * مثل الشخوص بلا شعور
وحكوا على باباتهم * طيف الخيال اذا يدور
وتوهموا أن الزمان مطاوع غير النفور
أو ان ما نالوه من * دنيا يفور ولا يغور
فتواثبوا وتضاربوا * وتكالبوا شبه النمور
وتلاكزوا وتلاحزوا * وتناجزوا الضرب الهصور
وتناخزوا وتلابزوا * وتناقروا نقر النسور
هذا وان يتصالحوا * يتصافحوا متناوزور
فتهافتوا فى نارها * متصورين النار نور
بيناهم فى عزهم * والدهر مكار غيور

انقض فيهم صرفه ❀ كالصقر في دقل الطيور
أمسوا وكل منهم ❀ كاللحم يلقى للصقور
لا ملك ردّ يد الردى ❀ عنهم ولا ملك ودور
كلا ولا جيش ولا ❀ ولد ولا مدد نصور
ثم انمحت آثارهم ❀ محو الحيا نقش السطور
لم يبق منهم دهرهم ❀ شيأ سوى ذكر يدور
ناهيك منهم فتنة ❀ كالابحر الطاما تمور
الاعرج الدجال من ❀ قصم الجماجم والظهور
داخ البلاد ودارها ❀ ونوائب الدنيا تدور
أملى له الله الحليم ❀ فزاد عدوا في فجور
وأمده مستدرجا ❀ اياه في شئ يبور
ليراه في امضائه ❀ حكما أيعدل أم يجور
فاجتاح كل الخلق من ❀ عرب ومن عجم القطور
ومحا الهدى وغدى الردى ❀ بحسامه الباغي يمور
أفنى الملوك وكل ذي ❀ شرف وذي علم وقور
وسعى على اطفاء نو ❀ ر الله والدين الطهور
بفروع جنكزخان ذا ❀ لك الظالم النجس الكفور
فأباح اهراق الدما ❀ من كل صبار شكور
وأحل سبي المحصنات المؤمنات من الخدور
ورمى على النار الصغار كأنهم فيها بخور
وأضاف في هذا الى ❀ فعل الزنا شرب الخمور
طورا يرى نكث العهو ❀ د وتارة نقض النذور
وعدا على السادات من ❀ أهل الصيانة والوقور
من كل ذئب صائل ❀ منهم ومن كلب عقور
فتكوا وقد بتكوا القلو ❀ ب وبعد ما هتكوا الستور
وشووا جباها طالما ❀ سجدت لذي الرب الغفور

وكووا جنوبا قد جفت ❋ طيب المضاجع والظهور
واستخلصوا الاموال من ❋ أيدى البرايا بالفجور
وسقوهم كاس السموم وجرعوا كاس الحرور
واستأسروا آل النبى ❋ المصطفى الطهر الطهور
بلعوهم من مشركى الا تراك فى أقصى الكفور
وكذاك واحد أمه ❋ من كل مقلات نذور
وجرواعلى هذى الجرا ❋ ثم واستمر لهم مرور
مابين ايران وتو ❋ ران البلاد لهم عبور
وامتد ذاك من الخطا ❋ أخذا الى أقصى القطور
لما انتهى افساده ❋ وتكاملت تلك الشرور
هجم القضاء لاخذه ❋ ولكل تكميل قصور
حذفته أيدى الموت من ❋ تلك القصور الى القبور
وتبدلت منه الكر ❋ امة بالمذلة والعثور
ومضى الى دار النكا ❋ ل بما تحمل من وقور
وتفرقت تلك الجمو ❋ ع وهد ما شاد الدثور
أبقت عليه فعاله ❋ لعناء على مر العصور
وتخلدت آثارما ❋ آذى على كر الدهور
فانظر أخى ثم افتكر ❋ فى ذا المساء وذا البكور
لافرق عند الموت بين ❋ شكور فضل أو كفور
أين الذين وجوههم ❋ كانت تلألأ كالزبور
أهل السعادة والحجى ❋ وذوو السيادة والوقور
المطفئو بدر السما ❋ والمخجلو فيض البحور
كانوا عظاما فى الصدور ❋ وهم صدور فى البدور
طحن الردى تلك العظام وفت هاتيك الصدور
وسقتهم ريح الفنا ❋ سفى الرمال يد الدبور
أين البنون ومن غدا ❋ للقلب أقراحا ونور

كانوا اذا رفع الحجا ❀ ب وزحزحت عنهم ستور
تلقى الدنا قد أشرقت ❀ كالشمس من سجف الخدور
من كل ظبي أحور ❀ اوظبية تزرى بحور
نشر الجمال عليهم ❀ ثوب الدلال على حبور
وفدتهم مهج الورى ❀ من شر أحداث الدهور
كانوا اذا سكنوا بها كا ❀ نا حركوه من السرور
كانوا على وجه الدنا ❀ حدقا وللاحداق نور
وحدائقا لرياضها ❀ وعلى حدائقها زهور
بيناهم في سكرهم ❀ قد مازج الدل الغرور
والعمر غض والزما ❀ ن مسلم لهم الامور
واذا بساقي الموت فا ❀ جاهم بكاسات الثبور
فسقى رياض حياتهم ❀ قدحا أعاد الكل بور
تركوا فسيح قصورهم ❀ رغما الى ضيق القبور
وسقوا كؤس فراقهم ❀ صبرا لكل شج غيور
من شق حزنا جيبه ❀ ولفقدهم دق الصدور
لو كان ينفعه الرثى ❀ أو كان تجديه النذور
لفداهم ووقاهم ❀ ورعاهم رعي الخدور
سكنوا الثرى فتغيرت ❀ تلك المحاسن والشعور
ورعاهم دود البلى ❀ وفراهم فرى الجزور
أمسوا رميما في الثرى ❀ وثووا الى يوم النشور
يسعى المحب مخاطبا ❀ أجداثهم يوما يزور
ينعى ويندب نائحا ❀ قبرا تناوشه الدثور
ويمرغ الخدين في ❀ ترب يراها كالذرور
يدعو فليس يجيبه ❀ الا الصدى صم الصخور
بينا تراه زائرا ❀ واذا به أمسى يزور
هذا بتقدير الاله ❀ وحكم فعال صبور

دنياك جسر فاعتبر * واحرص على زاد العبور
واطمح الى اللب المنى * فجميع ما فيها قشور
لو لم تك الدنيا وما * فيها هباء خيثعور
ما كان يزوى برها * عن كل صبار شكور
كلا ولا انقادت لمن * قد صار مختالا فخور
هذا وغالب من عتا * فى أرضها اعرج وعور
خلقوا لحق فانثنوا * عنه الى مين وزور
يارب ثبتنا على * ماترتضيه من الامور
واغفر لنا ما قد عملت من الخطايا ياغفور
واختم لنا بسعادة * نكفى بها شر الغرور
وامنن لنا بتجارة * من باب فضلك ان تبور
وأدم سحائب رحمة * تهمى على بدر البدور
خير الانام محمد * الشافع الزاكى الطهور
والآل والصحب الكرام وتابعيهم ياشكور

* (فصل فى ذكر ما وقع بعد وفاة تيمور من حوادث وأمور وما ظهر من سرور وشرور) *

وكان لا لله داد أحد الخلان * يدعى سعادات نائب مدينة اندكان * من ذوى النباهة والشهره وهو أحد الامراء الذين توجهوا العمارة باش خمره * فأرسل قاصدا الى الله داد * انه ارتفعت مادة الفساد * وأن تيمور ترك تبعة الممالك * وتوجه بتبعاته الى درك مالك * فوصل القاصد بهذا السرور * رابع عشر شهر رمضان من العام المذكور * ففرج عن الله داد همه * وأزاح عنه غمه * وكأنه استأنف له الحياه * أورد راحلته التى عليها طعامه وشرابه بعد أن أضلها فى فلاه * وسيأتى حكاية الله داد وأمره * وما جرى له بعد ذلك الى آخر عمره *

❁(ذكر من ساعده البخت واستولى بعد تيمور على التخت)❁

فلما قضى تيمور نحبه * وأزال الله عن العالم كربه * لم يكن معه فى أجناده * من أقاربه وأولاده * سوى خليل سلطان بن أميران شاه حفيده * وسوى سلطان حسين بن أخته الذى هرب الى السلطان فى الشام عند وروده * فأرادوا كتم هذه القضيه * وأن لا يشعر بها أحد من البريه * فشاعت وراعت * وعلى رغمهم ذاعت * فاضطربوا واضطرموا واصطدموا واصطلموا * فاطلع الناس كلهم على ذلك وفهموا وعلموا * أنه قطع دابر القوم الذين ظلموا * ففلت العساكر وأجفلوا * وحملوا عظامه والى سمرقند قفلوا * وساعد خليل سلطان البخت * وخلاله الجو فاستولى على التخت * وكان أبوه أميران شاه * متولى ممالك أذربيجان وماوالاه * وعنده ولداه عمر وأبو بكر * وبينهم وبين ماوراء النهر * من الاطواد والاشجار مائة سياج وألف سكر * وكان أبو بكر هذا فى الجغتاى من الفوارس * والضاربين بالبيض الحسام والقوانس * يذكر أنه كان يوقف بقره * أو ينيخ بكره * ويضربها بالسيف ضربة لاضربتين * فيجعلها قطعتين منفصلتين * وأميران شاه هذا قتله قرايوسف بعد تيمور واستخلص منه ممالك أذربيجان * وولده عمر قتله أخوه أبو بكر وأبو بكر قتله ايدكو متولى كرمان * ومصافاتهم مذكوره * وحكاياتهم مشهوره * وشاهرخ كان فى هراة وممالك خراسان * وبير عمر كان فى ولايات فارس وتلك البلدان * وتيمور كان جعل ولى عهده محمد سلطان * وهو وان كان من أحفاده * لكنه قدمه على أولاده * لما لاح له من فلاحه * وظهور رشده وصلاحه * فعانده القضاء فيما يروم * ومات كما ذكر فى اقشهر من بلاد الروم * وكان له أخ يدعى بير محمد * فجعله تيمور ولى عهده من بعد * فلما هجم عليه رائد الموت * وأهاب روحه الخبيثة بأذعج صوت * كان مستغرقا فى بحار غفلاته * مسترجيا ارجاء مهلاته * فذبحه اعتباطا * وسام عسكره اختباطا * وكان اذذاك من أولاده وأحفاده بعيد الدار * مستقر القرار امنا من البوار فارغا عن الدمار * وهم كتيمور غافلون وبير محمد فى قندهار * وهى بين حدى خراسان والهند وبينه وبين ماوراء النهر سباسب وقفار * فلم يكن أقرب الى دار الملك الذى أنشاه * وهى سمرقند سوى خليل سلطان بن أميران شاه * مع أن قطان الشتاء وندافه * كان قد بسط على فراش الارض لحافه * وندف عليه من أقطان الثلوب ماغط وجه

العالم وأطرافه * وطم ظهره وأكافه * فلم يقدر أحد من أولئك الحشرات أن يخرج رأسه عن اللحاف * أو يضحك ثغر زهرة أغفلة في كم كميم خوفا من جاني النسيم أن يبادرها باختطاف الاقتطاف * فضلا عن أنه يتمطى في فراش أهبة الى حركة سفر فيمد يده نحو بطش أو رجله نحو طواف * فاستولى خليل سلطان على ذلك المغنم البارد من غير منازع وعديل * واستبدل الملك بل العالم من جهنم الكوثر السلسبيل * ونادى لسان السلطنة في رفعته سانعم البديل * بدلت عن بغيض بحبيب وعن عدو بخليل * وتمكن من العساكر والامراء * وخلاصة الجند وأساطير الزعماء * واحتوى على تلك الامم * وطوائف الروس من العرب والعجم * وادخل عنق الجميع في ربقة المتابعه * وفتح لهم في أسواق الصداقة حوانيت الصلات فعاملوه بعقود المبايعه * ولم يمكن أحد منهم الخروج عن الدخول في الطاعه * والتخلف عن المبادرة الى مبايعته في ذلك اليوم ولا ساعه * فاطلق لهم البشره * وأحسن معهم العشره * وكان يوسفي الخلق * محمدي الخلق * خليلي الرفق * اسماعيلي الصدق * جمع حروف الملاحه * وحاز صنوف الصباحه * نقش محاسنه كاتب الصنع بقلم الكاف والنون * على أحسن ما يكون من الحركات والسكون * فأول ما مشق على لوح الجمال ألف قده القويم * فباء له كل من فاء عن لام عذاره متقوسا في خدمته كالدال والجيم * وحسن لكل راء ما فيه من زين * وما شين سين ثغره وميم فمه مذ فاها بخلاف ولا مين فاستقفى بوابله كل قاف * واستكفى بنائله كل كاف * وأمطر من عين كفه العين فصاد من الجند كل ذي لام وباء * ودأل بذلك على كل من باء عن وعده ورجع عن عهده وفاء * ففدت الواقيات مهجته * ورقت من عين الحوادث بهجته * وعوذت منه الارداف * بالطور والاحقاف * وحمت نون حاجبه وفاه وطرفه وطرته وردفه بحم عسق وفتحت له الملوك بالثناء فاها * وخفضت لارتفاعه خدودها معوذة له وقالت يا سين وطاها

❋(ذكر خلاص العساكر من البند وقفولهم مع عظامه الى سمرقند)❋

ولما ذبح قصاب الفناء تيمور ونحره * جزره كالجزور فجعل ينخور كالثور و بقره * ثم أراد أن يصليه من نار الجحيم حفره * فاستغاث بخليله فاجاره وأخره * وقال لا تعجل عليه وحمله

في محفة بعد العجلة وصبره * وألوى راجعا الى سمرقند * وكان قد انحل نهر خجند * وطالب الشتاء قد أدرك ثاره * وبرد قلبه وسكنت الحراره * قلت

ورق للعالم قلب النسيم * وأقبل الدهر بوجه بسيم

ثم هجم جيش الربيع المنصور * فانهزم جند البرد فولى وهو مكسور *

* (ذكر ما أضمره وزراء تيمور وأخفاه كل منهم في التامور) *

وكان في أفلاك ذلك العسكر * سيارات نجوم بهم سمائه تزهر * وبارائهم يقتدى * وبرؤيتهم يستضا * قلت

من كل منتخب للامر منتخب * كالشمس رأيا وكالضرغام اقداما

قد هذبتهم الامور * وشذبتهم بلايا تيمور * واستفتح بهم المغالق * واستوسع بصدماتهم المضائق * وتخلص بحملاتهم من شدة كل مارق * وتوصل بعزمهم الى نيل المآرب * وتوسل بعزيتهم الى كنوز المطالب * وكان هو البدر وهم الهاله * وهو الفاعل وهم الآله * وهو الروح وهم الحواس * وهم الاعضاء وهو الراس * فلما كورت شمس مراكبهم * وانتثرت كنس كواكبهم * ورحل زحلهم * وخاب أملهم * قلت

وعرض الكون الدجا بالضحى * وبدل المريخ بالمشترى

أجال كل منهم قداح فكره * وتدبر في ذلك الحادث وعاقبة أمره * واستصغر خليل سلطان * وعلم أن موج المنازعة سيأتيه من كل مكان * وأنه لا يصفو له ورد الملك من مكدر * ولا هواه من مغير * وأقل الاشياء أن يقول له رسول أكابر أقاربه كبر كبر * فأعد لكل شدة شده * ولكل عدة عده * ولكل خزة فزه * ولكل حزة حزه * ولكل بوس البسا * ولكل سهم ترسا * ولكل نائبة نابا * ولكل بائقة بابا * ولكل خطبة خطابا * ولكل خطاب جوابا * ولكل حرب حرابا * ولكل أمر أمرا * ولكل غدر غدرا * ولكل أزمة حزما * ولكل نصب نصبه * ولكل كسرة جزمه * ولكن شكيمة البرد ردت جماح كل جموح * وصفيحة الجد قدت جناح كل صبوح * فاوسع كلا منهم الا الاطاعه * والانقياد لامر خليل سلطان بالسمع والطاعه * واستمر وامعه على القفول * مضمرين لخليل ما أضمره للحبيب عبد الله بن أبي بن سلول * وكان أحدهم يدعى برندق * فرام الى التحصن بقلعة

المخالفة التساق * فقال لخليل سلطان ان اقتضت الآراء أن تقدّم * وأمهد لك الامور الى حين تقدّم * وأكون رائد دولتك * وقائد سلطنتك * فأشيد القواعد * وأبشر الصادر والوارد * فيكون كل مستعدّ للملاقاة * ومهيأ أسباب الموافاة * فاذن له * وأمامه أرسله * فوصل الى سيحون وقد عقد عليه جسر بالمراكب * وهيأت أسباب عبوره لكل راجل وراكب * فعبره برندق بجماعته * ثم أمر بقطعه من ساعته * وأعلن العصيان * وقصد سمرقند مجاهرا بالطغيان * نظم اتفاقي

فكثرت أسوارها * في وجهه أبوابها
وأسبلت عصمتها * ببابها حجابها
واسدلت على جبين منعة نقابها

فاستدرك فارطه * وسلك في مسألة منطقه المغالطه * ووصل خليل سلطان الى الجسر فوجد عقده قد انحل * ونظامه قد اختل * فلم يكترث ببرندق وما فعل * بل عقده مرة ثانية ودخل * وولى ماوراء سيحون من البلاد * متوليها أوّلا وكان يدعى خدايداد * وهو من أكبر أعدائه * ومن رفقاء تيمور ونظرائه * ومنسوبا الى السلطان حسين * وهو في تلك البلاد بمنزلة الرأس والعين * فلم يسع خليل سلطان الا مسالمته * واقراره في بلاده ومهادنته * اذ أموره كانت في أوائلها * ففوض اليه أمرها والقلوب في غوائلها

(ذكر وصول خليل سلطان بما ناله من سلطان الى الاوطان)

ثم توجه الى سمرقند فاستقبله كبراؤها * وخرج اليه نائبها وزعماؤها * ووفد عليه نوّاب البلاد * منغمسين في السواد * لابسين أثواب الحداد * وجاء الاكابر والعظام * معظمين هاتيك العظام * ومهنئين خليل سلطان بالسلامه * ونيل سرير الزعامه * قلت

ووجه كل قد غدا * مثل الربيع القادم
بعين سحب قد بكت * وثغر زهر باسم

وجعلوا يقدمون التقادم السنيه * والحمولات البهيه * وهو يقابل كلا منهم بما يليق بحشمته * وينزله في منزلته * وقال لبرندق لا تثريب * وقابله مقابلة الخليل الحبيب * ومهد لهم بساط المباسطه * وسلم اليه مسألة المغالطه * وحين ثبتت أوتاده اقتلعه *

[illegible]

[illegible]

([illegible])

[illegible]

وشكر الروض للسحاب ما أسداه اليه من حسن الصنيع * ورفع على الروابى من الشقائق أعلامه * ونصب مما اظهره خيام الصنع من أزهار الاشجار خيامه * ونور الحدق بأنوار الحدائق * واستنطق بتسبيح الخالق * من خطباء الاطيار على منابر الاغصان فى جوامع الرياض ما استنصت بلغاته كل ناطق * من كل مغرب فى ديوان الفصاحة رائق * ومعجب بأسرار البلاغة فائق * فرقصت الاشجار * لغناء الاطيار * وصفقت الانهار * واعتدل الليل والنهار * واكتسى البسيط الاغبر * خلع السندس المزهر * وتبدلت الاغصان من قطنى الثلوج * كل ثواب بأصباغ القدرة مزهر وبدمقس الازهار منسوج * وكل قباء صار مزهرا فى كل دف أغن لكل طائر وفروج * وبسط الكون على المكان * لاقدام خليل سلطان شقق الورد والريحان

(فصـــــــل) ولما فرغ خليل سلطان من ذلك * شرع فى تمهيد الممالك وتسليك المسالك * وعلم أنه لا يتقيد به انسان * الا بقيد الاحسان * ولا يجتمع له البال * الا بتفريق المال * فعقد القلب على فك طلسمات الختوم وحل الرموز * وصرف الموانع والتوابع عن تلك المطالب والكنوز * وقوى العزيمة على فتح الخبايا * وصيد عصافير القلوب ببذر حبات الهبات تحت شباك العطايا * ففرق ما كان شتت جده فى جمعه شمل البرايا * وثقل الكواهل بتخفيف ما أثقل ظهر غيره بالمآثم والخطايا * وأوسق احمال الآمال * وربوع الاطماع بالاموال * وأمطر أيادى يمينه بالنوال * ففاض الخير من صوب الشمال * وملأ الافواه والمسامع والمقل من الناس * بما أفرغ من حواصل الكنوز والصناديق على أغتام الجند والاكياس * فنثر أغصان الدوح عنده ورد ازاهير أصناف أزهاره * فكأنه أنامل كفه المنتظمة فى نثار درهمه وديناره * وجاد السحاب بدرره وأمطاره * فضاهى جود جوده الهامى على العالم وأقطاره * فقيد الناس كلهم بهذا القيد * ونحوا صراف بذله معربين له بالاطاعة فترك عمرو وزيد

(ذكر من أظهر العناد والمراء وتشبث بذيل المخالفة والعصيان من الامراء والوزراء)

غير ان بعض تلك القواد * وزعماء الوزراء والاجناد * أعلن ما كان أسر * ووضع المضمر من العصيان موضع المظهر * فأول من شهر سيف العصيان * وفوق سهام العدوان * وشرع

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ذلك بطلب اعيانهم * وان أسرارهم في ذلك كاعلانهم * فشرع كل في المخالفه * انه ليس في موافقته مخالفه * وانه مهما رأه الله داد امتثله * وما أمر به فعله * وحين أمن مخالفتهم وعصيانهم * وحصل له اليسار بربط أعناقهم بايمانهم * قال أي جماعة الخير * وقيتم الضر وكفيتم الضير * أرى ان أكون في صلاة هذا الامر امامكم * فأتقدم بجماعتي الى سمرقند امامكم * فأمهد الامور لكم * وأرسل الى بلدكم هذا بدلكم * وأيم الله لا يأخذني قرار ولا هدو * ولا أترككم مضغة اضاغم ثغر العدو * فان رأيتم ان تضبطوا بحسن الاتفاق أموركم * وتحموا قريحة وردقلعتكم من سورة شارب العدو وسوركم * فلا أمهلكم الا بقدر ما أقطع نهر خجند * واصل الى سمرقند * فامهلوني ريثما اصل * وبخليل سلطان اتصل * فتبعوا مراده * واقتفوا ما أراده * وعاهدوه أن لا يختلفوا من بعده * ولا يحلوا بعد ارتحاله من رقابهم حبل عهده * فأمر عليهم رأس جنود العراق * وكان هو اكبر الرفاق بالاتفاق * وقرر لكل مسلحة في أسرارها من كل سالح جزأ مقسوما * وصار زعيم اؤلئك السالحين كالنبي في أمته مع أنه كان يدعي معصوما

* (فصـــــل) * ثم أمر الله داد بتجهيز الامور * وخرج سابع عشر شهر رمضان المذكور * ولم يلتفت الى بردوجر * وكان قد استوطن اشبارة واستقر * ونقل اليها حريمه وأولاده * وبذلك أمر حاشيته وأجناده * فاقتلع الكل معه كبيرا أو صغيرا * ولم يدع بها مما يتعلق به فتيلا ولا نقيرا * فساروا تارة دبيبا وحينا زحفا * وطورا تسومهم الارض من ثلجها خسفا * وآونة تسقط السماء عليهم كسفا * فأدركهم العيد الموموق * في مكان يدعي فولانجوق * من أبرد البلاد * كأنه ينبوع ريح عاد قلت شعر

اذا احتاجت جهنم زمهريرا * تنشق منه أنفاس الحبير

* (ذكر ورود مكتوبين الى الله داد من خليل سلطان وخدايداد) *

(تخالفت معانيهما وتصارمت فحاويهما)

فورد عليه مرسوم من خليل سلطان * يذكر فيه ما حصل لجده من حادث الزمان * وانه استولى على سريره * وأطاعه من الملوك كل كبير القدر وصغيره * وان الامور بحمد الله مستقيمه * وقواعد الملك على عاداتها القديمة مقيمه * فلا يحدث أمرا * ولا يخرج من بحر

[illegible]

وتنظر ما يبين فيه من سلوك سنة فيميز بصائب نظرنا الخطا فى ذلك من الصواب * فان وافق ذلك مرادنا امتثلنا ما يقول * واتبعنا فى ذلك الكتاب والرسول * وتوجهنا فى تلك الساعه * سالكين السنة مع الجماعه * وان جا لحنا فى كلامه بخطاب أجلح * عدلنا الى الاعتزال ومال كل منا فى مصلحة نفسه الى القول بوجوب رعاية الاصلح * ومنهم شيعة مالت الى رفض تلك الداره * والمبادرة الى الخروج من أشباره * وانتقلوا من تكرار هذه المجادلة الى القتال * وقطع رأس أحد رؤس الخراسانيين فى مصاف النزال * ومنهم طائفة أهمتهم أنفسهم فلم يلبثوا الاعشية او ضحاها * ثم تحملوا وخرجوا من المدينة وتركوا الدار تبكى على من بناها * فلم يسع الباقين لااتباعهم فى الخروج * لان مقامهم من أول الزمان هنالك كانت كبنيان القصور على الثلوج * فتحملوا بقضهم وقضيضهم * وتجهزوا بصحيحهم ومريضهم * وتركوا البلد بما فيه من غلات * ومستغلات ونعم وخيرات * وأموال وأقمشه * ونفائس مدهشه * ولم يبق فيه من تلك الامم المسجونه * سوى ما عجز واعن حمله من أموال مشحونه * وسوى امرأة واحدة مجنونه * ولحقوا بالله داد * وهو عند خدايداد * فلم يعنف واحدا منهم بما فعل * واعتذر اليهم بأن خدايداد منعه أن يتوجه الى سمرقند ويجهزلهم البدل * وأمرهم بالاقامة معه مستوفزين * وأن يكونوا الفرصة التوجه الى سمرقند اذا لاحت منتهزين

(ذكر ما تم لالله داد مع خدايداد وكيف ختله وخبله واسترق عقله وسلبه)

ثم ان خدايداد تحقق بوقوع هذا الفساد * تأكد العداوة بين خليل سلطان والله داد * فركن اليه بعض الركون * وجعل يستشيره فيما يصير من أمره وما يكون * وكان عند خدايداد * طائفة من مماليك الاجناد * تخلفوا من العساكر فى تلك البلاد * وقد ضيق عليهم المسالك * وأراد أن ينقلهم من مالك الى مالك * فلم ينعم له الله داد بذلك * وقال ان عادة الاكياس * استجلاب خواطر الناس * خصوصا فى مبادى الامور * وحدوث أوائل الشرور * فلا تنفر عنك الخلق * وعاملهم أولا بالاحسان والملق * وأى فائدة فى قتل هؤلاء وتمزيق أديمهم * سوى نفى الصداقة وتأكد العداوة بيننا وبين مخاديمهم * وربما يكون فى خاطر أحد من مخاديمهم نفرة من خليل سلطان * ويروم لذلك

ظهرا وملجأ يلوذ به من رفيق ومكان * فتلجئه الضرورة الى أن يقصد ممالك تركستان * فاذا آذيته فى متعلقيه أنى يبقى له اليك ركون واطمئنان * وأقل ماتفعل مع هؤلاء بانسان * امساك بمعروف أو تسريح باحسان * ومخاديم هؤلاء لنا رفقاء * ولخليل سلطان أصدقاء * فان زرعت معهم الجميل * ملكت كل رقيق وجليل * وألقيت العداوة بين من عاداك من صديق وخليل * فلما سمع كلامه * ألقى الى يده من ذلك الامر زمامه * فأشار عليه بسراحهم * واحسان اليهم فى غدوهم ورواحهم * فزاد فى نجاحهم * وراش مقصوص جناحهم * وصرفهم بالعز فى طريق مراحهم * فدارت بالسعد أفلاكهم * واجتمعت بهم أملاكهم وملاكهم

※(ذكر ورود كتاب من خليل فيه لفظ رقيق لحل أمر جليل)※

ثم ان وافد خليل سلطان وفد على الله داد * يطلب منه السعى فى لم الشعث فيما وقع بينه وبين خدايداد * وأن يستعطف خاطره الى الرضى * ويستقبل المودة فى الحال ويعفو عما مضى * ومهما طلبه يتكفل به * ويعد قربه من أفضل قربه * ويكون هو السفير بينهما * ويقرب بالصلح عنهما * فتوجه الله داد الى خدايداد وأبلغه هذه الرساله * وبين له مافى هذا القول من رقيقة وجزاله * وسبب العداوة التى كانت بين خليل سلطان وخدايداد * على ماذكر أن خليل سلطان كان فى أوائل الزمان مجاورا لخدايداد فى تلك البلاد * وكان جده جعله ناظرا عليه * وفوض أمور تربيته اليه * وكان كراجافيا وجلفا جاسيا * فكان يعامله بالفظاظه * ويقابله بالكثافة والغلاظه * وكان خليل سلطان لطيف الذات * ظريف الصفات * نسيم أخلاقه لايحمل من خدايداد زعازعه * وبرد مزاجه اللطيف لرقة حاشيته لايثبت لمجاذبة المشاقة والمنازعه * فتولد من تلك القساوه * بينهما العداوه * وسعت بينهما الوشاه * الى أن دس له مهلكا فسقاه * فكأنه أحسه * فتدارك نفسه * وتعاطى علاجه * ومايصلح مزاجه * فقضى الزمان أن نصل من تلك الداهيه * فنجا منها وليتها كانت القاضيه * وبقى فيه من ذلك أرج * وأورثه العرج * فصارت العداوة الخاصة عامه * وغدت هذه الفعلة لهذا المعلول علة تامه

※(فصـــل)※ ثم ان الله داد حلف لخدايداد * الايمان الغلاظ الشداد * وأكد

هذه الايمان * بأن استصحب معه القرآن * وأشار اليه * ووضع يده عليه * وزادتأكيدا بأيمان الطلاق * وبالالتزامات والنذور والعتاق * انه لا يقبض عن طاعته يدا * ولا يستحيل عليه أبدا * وانه ان توجه الى سمرقند يجهد فى رأب ما انصدع وردّ ما انفدع ورتق ما بين الجانبين انفتق * ورقع ما فى خواطرهما من الشحناء والعداوة انخرق * وأن يجهز له تومان احدى نساء تيمور * وحاصل الامر انه تكفل بحسم موادّ الشرور واصلاح الامور * وان عجز عن رفع الشنآن * ومحو سطور العدوان * فانه لا يستحيل عن مصادقة خدايداد فى السر والاعلان * وصار يتملق ويترقق * ويتوصل بتمويهات زخارفه الى مجارى فكره ويتسلق * ويشدد ايمانا ترجف القلوب وتصدع * بالله الواحد ويثنى بالطلاق الثلاث من زوجاته الاربع * وكان مخيمهم على ساحل سيحون ممتدا * وهو عن شاهرخية نحو من بريدين بعدا * فعبر سهم ختله الى سويداء قلبه بكر ودخل * وغربه اذ ظعن معه ناعما زرعه بيمينه فى ساحله ونخل * الى أن سمح باطلاقه * بعد تأكيد عهده وميثاقه * فرجع الله داد الى وثاقه * واجتمع بحاشيته ورفاقه * وكانوا فى شاهرخيه * وأخبرهم بهذه القضيه * وكان قد هيأ قبل ذلك أمره * وأخذ من كل جهة أسلحته وحذره * ثم انه شمر الذيل * وقطع سيحون بالمراكب تحت جنح الليل

❀(ذكر لحوق الله داد بخليل سلطان وحلوله مكرما معززا فى الاوطان)❀

وحين حصل على هذا الجانب * ولم يبق له فى ذلك الجانب حاضر ولا غائب * أمر فى الحال * بعكم الاحمال وشد الاثقال * وأخذ الاهبه * قبل النهبه * فأفرغوا عليهم سوابغ السلاح * وأذن بصلاة الرحيل قبل الفلاح * وقدم ضعفة أهله والاثقال أمامه * ونقض بهذا الاذان شروط الاقامه * وطير الى خليل سلطان مخبرا بهذه الاخبار * وما جرى بينه وبين خدايداد وكان وصار * ويستمده باستقبال المدد * وارسال العدد * لاحتمال أن خدايداد الابله * يتفطن لغاية هذه الفعله * فيخطر بباله ردهم * ويرسل وراءهم من يصدهم * ثم ساروا كالسهم الصائب * وصاروا كالنجم الثاقب * فما أصبح لهم الصباح * الا وقد ظهر لهم من السعد فلاح * وجازوا كل قاتم الاعماق خاوى المخترق * وقطعوا على أنوال المسير مما أسدته مطاياهم من مزهر الرياض ألوان الشفق * فواصلوا

بالسير سراهم فساروا نهارهم أجمع حتى غشيهم مساهم * وحين أخذ منهم اللغوب * وكل الراكب والمركوب * وسدلت عليهم عنقاء الظلام الجناح * عدل بهم الى بعض البطاح وحط عنهم واستراح * ورسم أن توقد نار * ولا يطمع أحد في طعم النوم بغرار * ولا يشام في جفن طرف سيف ولا سيف طرف * ثم التهموا ما يسد الرمق فصلوا صلاة الخرف فعبدوا الله على حرف * وأمهلوا ريثما قطعت الدواب العليق * ثم أمر فحملوا وركبوا متن الطريق

(ذكر تنبه خدايداد بأن الله داد خاب عقله بانكال وانكاد)

ثم ان خدايداد * تنبه من رقدته * وارعوى من ليلته * وعلم أن الله داد خلبه نهاره ذلك وسحره * وكشف شمس عقله ولعب به في دست حاقه وقره * فعض كما يعض الظالم على يديه * وعبى في الحال عسكرا جرارا وأنفذه اليه * فأسرعوا وراءه * والتمسوا لقاءه * فلم يروا له عينا ولا أثرا * ولا رووا عنه من أحد حديثا ولا خبرا * فلم يزالوا في طلبه حائرين دائرين * ثم غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين * ووصل الله داد الى مقصده * فوجد وظيفة الوزارة شاغرة فاستولى عليها بمفرده * اذ قبل دخوله كان شيخ نور الدين قد خرج * وشاه ملك وكل من رام العصيان كان قد دب ودرج * فابتهج بقدومه خليل سلطان * وقدمه كما كان على سائر الوزراء والاركان * فتمكن الله داد كيف شاء * وتصرف في معاني الملك ببديع بيانه اخبارا وانشاء * وتعاطى في الحال تمهيد الامور * وتجهيز السرايا وحفظ الثغور * فتراجع أمر الناس وانضبط * وانتظم عقد الملك بعد ما انفرط * واستقر حال الناس * وتمكنت القواعد على الاساس * وكان هو وبرندق وأرغون شاه وآخر يدعى بجول يدبرون مصالح المملكه * ويسلكون بكل أحد مسلكه * ولكن الله داد هو الدستور الاعظم * والمشار اليه المفخم * وعليه مدار القبض والبسط * ونظام عقود الحل والربط * واستمر شيخ نور الدين وخدايداد * يغيران على البلاد ويزيدان في الشرور والفساد * واستوليا على أطراف تركستان * وممالك تلك البلدان * منها سيرام وناشكند * واندكان وخجند * وشاه رخية واندار وسغناق * وغير ذلك مما في تلك الاكناف والآفاق * فكانوا يقطعون سيحون * ويتوجهون الى ممالك ما وراء النهر

ويغيرون * فتارة يتوجه اليهم خليل سلطان * وتارة يجهز لهم طوائف من الجند والاعوان *
وعلى كل تقدير فانهما كانا لا يثبتان وينهزمان * وسيأتى ذكر ذلك كما كان

(ذكر ما وقع فى توران بعد موته من حوادث الزمان)

وأما المغول * فانه لما اتصل بهم خبر وفاة ذلك المخذول * وكان بلغهم أنه قد صوب أحجار كيده
الى هشم تلك الثغور * وفوق نبال قصده الى خرق تلك البطون والنحور * ولم يشكوا فى
أن ذلك شرك مكيده * وأحبولة مصيده * فلم يقر لهم قرار * وتنادوا الفرار الفرار *
وتشتتوا فى البلاد * وتشبثوا بأذيال القلاع ورؤس الاطواد * ولجأوا الى الحصون
والجروف * وتعاووا فى قعر المغارات والكهوف * وكذلك كل ذى عين من أهل الدشت
والشمال * وتوزعوا فى الاحقاف والرمال * وصار أهل المشرق والخطا الى حدود الصين
ومن فى ذلك الوجه يسرحون * لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون *
والحق انه كان فى هيبته وعتوه قد عرج * الى أن أهلك العالم شرقا وغربا بالارج * وصار
كما قيل

تكاد قسيه من غير رام * تمكن فى قلوبهم النبالا
تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم استلالا
تكاد سوابق جملته تغنى * عن الاقدار صونا وابتذالا

فلما ترادف هذا الخبر * وتكرر بسمرقند هذا السكر * واشتهر اسناده حتى ترقى من
الآحاد الى التواتر * وتقرر هذا الحق عند كل أحد فلم يسع فيه جحود ولا تناكر * تراجع
فؤاد كل الى جوفه * وتبدل أمنا من بعد خوفه * وتنادوا بالثارات * وشرعوا فى شن
الغارات * وقصد كل مستحق استرجاع حقه * وكل مسترق لمسترق استفكاك رقه *
فأول من نهض من الشرق المغول * وقصدوا اشبارة وآسى كول * وامتدوا فى تلك
البلاد * حتى جاوروا اخدايداد * فهادنهم وصافاهم * وشرط لهم رد ما أخذه تيمور من مأواهم *
وأن يكونوا يدا واحدة على من ناواهم * وأحسن كل منهم مع الآخر الجوار * واطمأنت
بواسطة هذا الصلح تلك الديار

ماله فيه من ولاية المطالبه * ويقنع بما هو فيه من مملكته ويحفظ جانبه * واما بأن يجعلني خليفته في سلطانه فأصون نصيبه ونائبه * وان كانت الثانية فكلامك لا يستقيم * لانّ الملك كما زعموا عقيم * ومن قبلي وقبلك قيل * في الاقاويل شعر

صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم * وشمّروا انها أيام من غلبا

وان زعمت أن جدّك عهد اليك * أو عوّل في وصيته لك عليك * فهو من أين استولى الا بطريق التغلب * وأنى حصل له ملك وملك الا بالاغتصاب والتألب * وعلى تقدير التسليم * وانّ أمر وصيته مستقيم * فانه كان في حياته قسم بلاده * ووزع عليها أولاده وأحفاده * فولى والدي ممالك أذربيجان وقرّر عمي في ولايات خراسان * وابن عمي بير عمر في عراق العجم وتلك الديار * وولاك أنت من جملة ذلك قندهار * وجعلك وصيه كما رسم واشار * وتحمل هو المظالم والثقل * فأين نصيبي أنا من هذا الثقل * فاجعلوا حصتي من ذلك ما استوليت عليه * وليقنع كل منكم بما تقرّر فيه وفوّض اليه * ومع هذا ان تابعك أبي وعمي تابعتك * أو صادقاك على الوصية وبايعاك بايعتك * وان سلكا في ذلك طريق الحق * فالملك صيد والاولى به من حاز فيه قصب السبق * وانّ الله أزاح علله اذ ثبتني بأسبابه * وأباحه لي مباحا ومن سبقت يده الى مباح فهو أولى به * هذا وانّ كلام مدرسي فقه الملك تابعني * ومن له في عقود السلطنة شركة ترك المضاربة وطاوعني * وعد عقد توليتي مرابحة ولما وقف على سيري ألقى الى السلم وبايعني * وأما الوزراء والاعيان فأجابوه بما لا طائل فيه * سوى ما تمجه أذن مستمعيه * غير أن الخواجا عبد الاوّل وهو صدر صدور العلماء * والمتصرف في رؤساء ماوراء النهر من السادات والكبراء * المنفذ سهام أحكامه في جميع الامراء والزعماء * أجاب فأجاد * وأصاب وأفاد * واختصر واقتصر * وهصر من بير محمد وخليل سلطان انتصر * فقال في جوابه * مجاريه في خطابه * نعم أنت ولي العهد * وخليفة الامير تيمور من بعد * ولكن ما صادف طالعك سعد * ولو ساعدك البخت * كنت قريبا من التخت * والاولى بحالك * أن تقنع بما لك ومالك * وتبقى على خيلك ورجالك * وتضبط ما في يدك من ممالك * وان أبيت الا طلب النما * ولم تقنع بما قسم الله لك وقضى * وخرجت من مملكتك الى هذا الفضاء * فانك تقع في العناء * وتخرج ولا يتك من يدك فتصير مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء *

※(ذكر تجهيز خليل سلطان سلطان حسين لمناصرته وخروجه عن خليل سلطان)※
(وقبضه على أمرائه ومخالفته)

ثم ان خليل سلطان لم يقنع بدقائق هذه الاقوال * واردفها بحقائق الافعال * وامر بتجهيز جند مجند * الى استقبال بير محمد * وأضافهم الى ابن عمه والد السلطان حسين * وعين فيهم من أمراء الجغتاى كل رأس وعين * وضم اليه الظهور والاعضاد * ومنهم بجول وارغون شاه والله داد * فسار واسابغى العده * كاملى العدد * وذلك فى سنة سبع منتصف ذى القعده * فعبروا جيحون الى بلخ وخيموا فى ضواحيها * وانبثوا فى اقطارها ونواحيها * وبيناهم مرفهو الحال * فارغوا البال * قريروا العين * تمارض السلطان حسين * ثم انه دعا الامراء * ليقرر معهم فيما هو بصدده الاراء * وقد كمن لهم كمينا * وارصد لهم الرجال شمالا ويمينا * وحين ولجوا خيسه * ودخلوا كيسه * وثب عليهم وثوب الليث على الفريسه * واغرى بهم أسوده فوقعوا فيهم وقوع الجياع على الهريسه * ثم نادى من معه من الرفاق * ضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق * وكان كماذكر ذا طيش وشجاعه * وتهور ورقاعه * وصولة وجوله * يسبق فعله قوله * فاهريق فى تلك الساعه * دم واحد من تلك الجماعه * يدعى خواجا يوسف وكان فى حياة تيمور * نائب الغيبة بسمرقند وهو أمير مشهور * ففى الحال قتل * والى الدار الآخرة نقل * ثم استقل لنفسه بدعوى السلطنه * ودعا الخلائق من ههنا ومن هنه * فدهشت أولئك الرؤس * وعلموا أنه قد حل بهم النقم والبوس *

※(ذكر خداع الله داد سلطان حسين وتلافيه تلافه بالمكر والمين)

غير أن الله داد ثبت جاشه المزؤد * واستحضر تلك الساعة عقله المفقود * فابتدر سلطان حسين مناديا * واستثبته فى أمرهم مناجيا * وقال له بعبارة فصيحه * ان لى اليك نصيحه * ثم استخلاه وقال * أنا كنت مترقبا منك هذه الفعال * ومترصدا منك اظهار ما أنت بصدده * ومن أين لخليل سلطان أن يحتوى على الملك بمفرده * غير أن هيبة مولانا السلطان باسطه * ولم يكن بينه وبين الملوك واسطة مباسطه * ولو كان عندى من ذلك

أدنى شعور * لرتبت المصالح على ما تقتضيه الاوامر الكريمة والامور * ثم ان الخاطر الكريم * يشهد بصدق هذا الحديث وأنا عبدك من قديم * وسل من كان من المماليك والاجناد * الذين كانوا محصورين فى أسر خدا يداد * من خلصهم من حبائل أسره * وأنقذهم من ضرام ضره * وأطفأ عنهم ما التهب من شرار شره * اذ لولا أنا لكان أبادهم وأيتم أولادهم * وفجع بهم طريفهم وتلادهم * فانك ان تسألهم يخبروك * وعلى حقيقة الامر وجلية الحال يظهروك * وربما أخبروك بذلك لما أتوك * ومع هذا استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك * ولا زال يطفئ بماء خزعبلاته شواظ تفرعنه ولهيبه * ويذكى فى خياشيم رعونته عنبرا حتياله ممسكا بمسكه وطيبه * ويرمى عن قوس ختله الى سويداء اختبالاته نبال مكر أنفذت فيه نصال القضاء والقدر لانها كانت مصيبه * فاشرب مكره * وتبع امره * وجعله ظهره * واستقدح فى أموره فكره * ثم انه بعد أن امتن عليه باستبقائه * استشاره فى قتل رفقائه * فقال له لا شك أن خليل سلطان * ملك الناس بالانعام والاحسان * وهو وان كان فى الشجاعه * قاصر اليد قليل البضاعه * لكن استعبد أبطال الرجال * بحسن الخلق و بذل الاموال * غير أن المال * بعرض الفناء والزوال * وأنت بحمد الله ما ثرك مشهوره * ومنازل منازلاتك الابطال معموره * ورايات كسرك قرون الاقران على جبين الكباش منشوره * ورؤس مناطحاتك ثيران الوغى على قرون الزمان أبدا منصوره * قلت

فكم لزت شجاعا فى البراز فـــذ * رأى محياك ولى ضارطا وجرى
مذ كنت رأسا وعينا فى الحروب أرى * فى رأسك الفتح بل فى عينك الظفرا

وأنا أعلم أن عامة الجند سيبتهج بطلعتك * ويرقص فؤاده لحصول سكونه فرحا بحركتك * فانه لا بد لهم من رأس يسوسهم * وضابط همام يصون بتدبيره نفائسهم ونفوسهم * وقرم كالليث الخادر * والسيل الهامر بل كالبحر الغامر * منصوران دعا وان دعى فناصر * موصوف بما قال الشاعر

أضاف الى التدبير فضل شجاعة * ولا رأى الا الشجاع المدبر

وبما قال شعر

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

وهل ثم فى هذا العصر موصوف بهذه الصفات الا أنت * وما النجدة والكرم والحسب والنسب الا راحل حيثما رحلت وساكن أينما سكنت * ولو حدث شاه ملك وشيخ نور الدين * أن وراءهما

منك

منك الحصن الحصين * لاسند اليك رواية هذا السند السديد * ولا ويا من جنابك العالى الى ركن شديد * وحاصل الامر انك مولى الكل وجميعهم لك عبيد * واذا كان الامر كذلك فقد ملكتهم * فسواء عندك أبقيت عليهم أو أبدتهم * ولكن الابقاء أولى * ولازالت العبيد تترقب مراحم المولى * فان اقتضى الرأى السعيد * أن نكون كلنا موثقين فى الحديد * مع زيادة قيد ايمان أكيد * فرأيه أعلى * واتباع ما يقتضيه أحرى وأولى * فاقتضى رأيه * واتخذه علما لامورة ورايه * فاستتبعه لحينه وقال اسلك ورايه *

* (ذكر أخذ سلطان حسين على الامراء الميثاق ومشيه على خليل سلطان) *
(وهم معه فى الايثاق)

ثم انه أحضر الامراء * وهم فى قبضة سطوته أسراء * وقد ناوح كل من متعلقيهم مهب ناحيه * وتوجه الى دار كل المخبرون فقامت عليهم النائحة والناعيه * وأوثقهم بقيدى الحديد والايمان * بأن يكونوا معه فى السراء والضراء على خليل سلطان * فشدّ كل منهم الى القيد رجله والى اليمين يده * وعاهده على ما يختار وأن يقدّم له نفسه وأهله وماله وولده * فحين استوثق منهم * أزاح بالامانى السوء عنهم * وتركهم موثقين فى البند * ونكص قاصدا سمرقند * وأرسل الى خليل سلطان يخبره بما دب من أمره ودرج * فليستعدّ لمبارزته فها هو قد عبر جيحون وخرج * وأنه هو أيضا طالب من ملك خاله حصته * ومنازع خليل سلطان فى السرير منصته

* (ذكر تبريز خليل سلطان من سمرقند لملاقاة سلطان حسين بطوائف جنده) *
(ورجوع سلطان حسين ممابر ومه بخفى حنين)

فاستعدّ له خليل سلطان * وخرج من سمرقند لاستقباله فى أسرع زمان * ثم ان السلطان حسين أحضر الله داد * ومن معه من الشياطين المقرنين فى الاصفاد * واستأنف عليهم العهود * وأكد عليهم قيود العقود * وأحل كلا منهم محله * وأجاز عقده وحله * وخلع عليه وأجازه * واحترم حرم حقيقته ومجازه * وبش بأنعامه الى متعلقيهم وهش *

وسار بهم حتى وصل الى مدينة الكش * والله داد كان قبل ذلك بزمان * أرسل الى خليل سلطان * يخبره بوقوع هذا الهم * وماجرى عليهم من شرور وماتم * ثم قال له انّ فالك سعيد * وأمرك حميد * فانهض برأى رشيد * وعزم سديد * وجناحى حديد * فان ضدّك مصيد * والله تعالى ناصرك قريبا غير بعيد * فلا تخف من كيد مكيد * وان كنت طفلا فانك فتى شبت أهواء القلوب نسمات محبته فصرت شيخ السلطنة وكل الانام لك مريد * فوصل خليل سلطان * الى ذلك المكان * فعبى السلطان حسين جيشه * واستعمل تهوره وطيشه * وجعل الله داد على الميمنه * ورفيقيه على الميسره * ولما ترا آى الجمعان وتدانى الزحفان * وحقت الحقائق * وسدّت المضائق * وتعادت الاسود والغرانق * وبادر كل منهم من مكانه * وقصد كل من الله داد وأقرانه عساكر خليل سلطانه * فتخبطت عساكر السلطان حسين * وساب ثوب عزه فنبذ بالعراء ملتحفا من ظنونه ثوبى خيبة وحين * ودهمه من البلاء ما أنساه سلبه فرجع يخفى حنين * ومرّ على وجهه قاطع الفلاة * حتى وصل الى ابن خاله شاه رخ صاحب هراة * فلم تطل له عنده مدّه * فما سقاه مهلكا وامامات حتف أنفه عنده * فكان ذلك آخر العهد بسلطان حسين * ورجع خليل سلطان الى دار ملكه قرير العين

(بقية ماجرى لبير محمد مما قصده من فرح وهم وكيف آل ذلك الى)
(وبال وحزن فنقض ماتم)

ثم انّ بير محمد تمادى فى خروجه * واستمرّ يرتع فى روض الطلب ومروجه * وتكررت بينهما دروس المراسله * وتحرّرت مسائلها بعد مطاولة المقاوله * أن ينزلوا منازل المنازله * ويحلوا بروج المقابلة والمقاتله * وكان متولى أمور ديوانه * ومشيد قواعد ملكه وسلطانه * شخصا يدعى بير على تاز * حامى حقيقة باب الملك وحارس المجاز * سرة بطحاء مملكته * وقطب سماء دائرته * وقدوة علماء عوالمه * وقوة خوافى عسكره وقوادمه * فجرّد من عساكر قندهار * كل طود لومال على قندهار هار * وتوجه بعزم أمضى من البتار * وحزم أنفذ من الخطار * قائد ذلك الخضم الهدّار * والسيل الثرثار * والغمام المدرار * حتى وصل الى جيحون فوقف منه التيار * ثم أمر ذلك البحر العجاج * أن يركب من جيحون

الانباج

الاثباج * و يصادمه منه تلاطم الامواج * فرج الله البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج * فمخروا منه بسفينهم النحر * وجاوزوه مجاوزة بني اسرائيل البحر * وسار بذلك الاخشب * حتى ارسى على ضواحي نخشب

❊(ذكر مقابلة العساكر الخليلية جنود قندهار بصدق نية والقائهم)❊
(بهزيمتهم اياهم في أشربلية)

وكان قبل ذلك خليل سلطان * قد نجز أمره كما كان * ونفث أعطار مندل الايثار * وقوى العزائم على الملوك بالاستحضار * ليجنوا من أشجار الجرايات وثمار الادرار * ما يستعدون به لملاقاة شياطين قندهار * فلبى دعوته العام والخاص * وكل بناء من عفاريت الجنود وغواص * واجتمع من أعيان * اولئك الاعوان * كل مطيع مقتطف ثمر احسان * ذلك البستان * من انس وجان * وجاء ذلك البحر افواج امواج العساكر من كل مكان * وهم ما بين رؤس الجغتاي والجتا * وكل فرعون من بلاد تركستان قد علا وعتا * وفوارس فارس والعراق ورستمدار * وجان قربانية خراسان والهنود والتتار * ومن كان تيمور * أعده لمضائق الامور * ولم يفارقه في سفر ولا حضر * وأرصده لكل نائبة من خير وشر

شعر

فوارس لا يملون المنايا ❊ اذا دارت رحى الحرب الزبون

فاستأنف عليهم فواتح الفتوح * واستنجب منهم لما دهاه كل صديق نصوح * وأسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات * وضاعف على قامة أملهم من خلع انعامه المضاعفات * ففتحت عليهم الارض خزائنها * وصبت عليهم من معادنها وفلزاتها ظاهرها وكامنها * فصار كل راجل منهم وفارس * وقد تحلى فيما تحلى به من تلك النفائس * يزري بحسن هيئته على مخدرات العرائس * فساروا ونسمات النصر من انفسهم فائحه * ولمعات الفتح من بوارق بيارقهم لائحه * والسبع المثاني لابواب النجح والفتوح في وجوههم فاتحه * ولا زال ذلك الراس يرسي ويمشي * حتى حط على ضواحي قرشي * وهي المدينة المذكوره * فاستقرت تلك العساكر المنصوره * وذلك يوم الاحد مستهل شهر رمضان * سنة ثمانمائة وثمان * فبات كل من ذينك البحرين وقد ضم ذيله * وكف عن التبذر والتبدد سيله *

وحفظ من الاغيار رجله وخيله * وأحيى في معتكف المراقبة الى الصباح ليله * قلت

الى ان بدا لمع الضيا في ظلامه * يلوح كموج الماء من سجف طحلب

ولما سل الفجر صارمه الفضي وابرز ابريز ترسه * ومسح على لوح الجو ما طرسه مسودّ الليل من دخان نقشه * تهيأ كل من اولئك الاطواد للاصطدام * واشتعلت في قلوب تلك القبائل نار الحمية للاصطلاء والاصطلام * فعبى كل عسكره ما بين ميمنة وميسره * ومقدمة ومؤخره * ثم تدانوا وتكانوا * وتعاونوا وتعانوا * وتراجزوا وتغانوا * وتعانقوا وتهانوا * وتناجزوا وتفانوا * والتقت الرجال بالرجال والخيل بالخيل * وارتفع ظلام القتام الى رؤس الاسنة فرأوا في صلاة الظهر نجوم الليل * وجرى في ذلك القسطل من كل قناة عيون السيل * ثم عند منتصف النهار * انكشف الغبار عن ان طود قندهار هار * وسعد اولئك الكبار بار * وعليهم غبار العثار ثار * وخبرهم بالانكسار سار * وصيت خليل سلطان الى الاقطار طار * والى الآفاق بالانتصار صار * فولى بير محمد وعلى راسه بحر الدمار مار * وفي قلبه زناد البوار وار * حتى كأنّ في قلبه جمر الغضا والغار غار * وفي كبده نار لهب المرخ والعفار فار * وجندلت رجاله * وابطلت ابطاله * ونهبت اثقاله * وتحوّلت احواله * وسبى حريمه وعبيده * وسلب طريفه وتليده * وتشبث هو بأذيال الهزيمه * وعلم ان ايابه سالماً نصف الغنيمه * كما قيل

ايابك سالماً نصف الغنيمه * وكل الغنم في النفس السليمه

ورجع خليل سلطان * وقد استنار به الكون والمكان * واسفرت دولته * واستطارت صولته * وشكر الله المليك * واتم صيام رمضان في مكان يسمى جكدليك

(ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان ومجاهدتهم) (بالخروج وقصدهم الاوطان)

ثم في ليلة الاثنين غرّة شوال * خرج من العراقيين الرؤس والابطال * ومعهم حريمهم واتباعهم * واولادهم واشياعهم * وكبيرهم شخص يدعى حاجي باشا * وهم جارون تحت امره كيف ما شا * وكانوا ذوي صولة وجوله * وصحبتهم السلطان علاء الدوله * ابن السلطان احمد البغدادي لصلبه * وكان قد وقع في اسر تيمور فسجنه في سجن محنته وكربه *

فأفرج عنه خليل سلطان * وجعل عنده ذا مكانة ومكان * فبينما الناس مشغولون بأمور العيد * رفع أيديهم أولئك الصناديد * وكأنه كان تقدم لهم بذلك مواعيد * فخرجوا تحت جنح الليل * وشمروا نحو عرائس العراق الذيل * وطلقوا مخدرات ما وراء النهر ومالوا عنها كل الميل * لأنهم كانوا قد سمعوا أن دار العراق أنزلت بأنيها * ومياه أنهر سلطنتها عادت الى مجاريها * فلم يقف أحد أمامهم ولا مشى خلفهم * ولا قدر على أن يربط عن السير رجلهم وكفهم * فقطعوا جيحون ووصلوا الى خراسان * فتصدى لهم كل من سمع بهم من كل مكان * فانفرط نظامهم لعدم اتفاقهم * فتقطعوا في البلاد قبل وصولهم الى عراقهم * وأين ايران من توران * ودجلة من جيحان * فعيد خليل سلطان في ذلك المكان * ثم أوى راجعا الى الأوطان *

※(ذكر ما فعله بير محمد بعد انكساره وما صنعه بعد وصوله الى قندهار)※

ولما وصل بير محمد الى قندهار * واستقرت به الدار * تلملمت أموره * وحامت حول قصوره صقوره * ودارت من سيارات عسكره بدوره وبدوره * وتسعرت سمومه وحروره * وتطاير شراره وشروره * فتأرق وتمزق * وتحرق أسفا قلبه وتخرق * وتمزق غيظا أديمه وتفرق * وكان ذا حماقه * وقلة لياقه * فطير أجنحة مراسيمه * الى سكان أقاليمه * واستنهض على خليل سلطان كل حبيب صحيح الود وكليمه * واستطب لجريح قلبه كل قريح الطعن والضرب وكل لديغ القلب وسليمه * فلبوا دعواته بالاطاعه * وأجابوا نداءه بالسمع والطاعه * ثم سالت الأودية والجبال * بالخيل والرجال * وأرسل الى خليل يقول * ضمن كتاب مع رسول * ان أول مصافنا كان فلتة فمت * وشرارة تسوهل في اطفائها فالتهبت وطمت * ولو اني استقبلت من أمري ما استدبرت * وتحذرت ما استحقرت * واستكبرت ما استصغرت * لا انتصرت وما انكسرت * واغترت على مرادي وما عثرت * ولكن أضعت الحزامه * فحرمت السلامه * وتناولت أمرك برؤس الأنامل فأكلت يدي ندامه * مع أن صلابة جندك * وقوة ظهرك وعضدك * ونبال نبالتك وساعد سعدك * وعضب عضبك ورمح رشدك * وحد صارمك وصرامة حدك * انما كان رؤس العراق * وما حصل لك منهم من الاتفاق * وأما الآن فقد وقع منهم نفاق *

واتفق لك منهم عدم اتفاق * وظهر تباعد وشقاق * ففت لذلك كبدك * واختل فكرك وجندك * وها أنا قد جئتك بجدّ جديد * وبالجدّ والحديد * فاستعدّ للقاء * وتيقن عدم البقاء * فانّ الحرب كما علمت سجال * وكما أديل لك علينا بالامس فانّ غدا لنا عليك يدال *

(ذكر توجه بير محمد لمقابلة خليل سلطان ثانى كرّه وما حصل عليه فى ذلك)
(من كرّة وفرّه وتوليته الدبر كما بدا أول مرّه)

ثم توجه بتلك الجنود والاعوان * وقطع جيحون ووصل الى مكان يسمى حصار شادمان * فتوجه اليه خليل سلطان * ومعه من عساكر الرجال والفرسان * وجراد الجيش وقمله وضفادعه ما يجرى من الدم الطوفان * فربتلك الاطواد والبحار * وسرى وهو ما بين راس وسار * حتى وافى جنود قندهار * وكان كما ذكر من قبل * قد قدح فى حراق أحشاء العساكر القندهاريه من خوف نار الخليل زناد النبل * فكانوا ملسوعين والملسوع يخاف من جرّ الحبل * فقبل أن يزعق النفير ويضرب الطبل * نفر من كل فرقة منهم طائفه * وتنادوا أزفت الآزفه * ليس لها من دون الله كاشفه * فألبس بير محمد خلعة الخلع * ولم يكن له بها طوق فاقلع الى القلعة القلع * وأرصد الابواب وأحكم الاسوار * واستعدّ فى حصار شادمان للحصار * فأحاط به من العساكر * كل جارح وكاسر * ودار عليه من بنى يافث كل سام وحام * وجدّ فى المحاضرة منهم كل طاعن وضارب ورام * فتندّم بير محمد * على ما قصد فى ذلك وتعمد * وتذكر ما قال له أوّل * الخواجا عبد الاوّل * لكنه اعتذر * بالقضاء والقدر * فرماه القضاء بسهم جواب * أجاد فيه وأصاب * وقال

وعاجز الرأى مضياع لفرصته * حتى اذا فات أمرعاتب القدرا

فانعكس منه كل رأى وقال * وتغير عليه كل أمر وحال * وذهب عنه منعطفا ما بيده من ملك ومال * ونفر عنه كل أسد أصلى للحرب نارا حامية لما سطا على حام وصال * ورجع عنه لسوء تدبيره كل ذى قرابة حين لمع له بالامانى الكاذبة كل سراب وآل * وتمزقت شقق تدبيره * على منوال تفكيره * سدى ولحمة فلم يبق له من دون الله من وال *

(ذكر ما صنعه بير محمد من حيلة عادت عليه بأفكاره الوبيله لان جدواها كانت قليله)

ولما عدم حوله * أخذ في اعمال الحيله * فاستدعى عدة مضبوطه * من الجلود المخطوطه * الجيدة الدباغ * المصبوغة بألوان الاصباغ * ثم فصلها لبوسا * لكل بوسا * وسمر عليها المرايا المصقوله * وبعض صفاح معموله * وموهها واحكمها بالمسامير * وأحضر من سوقة بلده رؤس الجماهير * واستكثر من الرعاع والهمج الجموع * ثم أحضر تلك الدلاص والدروع * ووزع على تلك الرؤس والفهو رهاتيك النطوع * فصار كلما صارت الشمس بازغه * أصعد الى الاسوار وخارج البلد تلك الاسود وعليهم تلك الدروع السابغه * فاذا رآهم الناظر من بعيد * توهم رجالا ولم يعلم أنهم بندق العبيد * واذا ترآى ذلك الهباء * والخيشعور الذى ملأ الفضاء كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء * واستمر على ذلك مده * يقاسي المعاناة ويعاني الشده * وكان الذى تعاطى هذا المكر الجلي * دستور مملكته أعنى بير على * ومع ذلك كله لم تنفعه هذه الحيله * وعادت عليه أفكاره الوخيمة ووساوسه الوبيله * وانكشف سره * وانهتك ستره * فضاق ذرعا وقصر منه باع الجدال * ومد بنقص عدده وعدده وزاده الدهر النكال *

(ذكر اعتراف بير محمد انه ظلم وطلبه الصلح والقائه السلم)

فبسط بساط التضرع * وطلب وسائط التشفع * وعلم أنه لا عاصم من أمر الله الا من رحم * فناشد خليل سلطان الله والرحم * وقال معنى ما قلت

يعطى الكريم ولا يمل من العطا * والعفو شيمته اذا وقع الخطا

فأجاب خليل سلطان مقاصده * وتأكدت من الطرفين معاقدة المعاهده * بأن لا يقصد أحد منهم بلاد صاحبه * واذا كان الله تعالى رفعه لا يضع من جانبه * ويسلم اليه ما في يده * ويبقى على الود والصداقة في يومه وغده * ثم تحالفا * أن لا يتخالفا * وتواثقا أن يتوافقا * وتصادقا أن يتصادقا * وتفارقا على أن يترافقا * وتوافقا أن لا يتنافقا * وراقبا الال والذمه * وراعيا القرابة والحرمه * وانشمر كل عن صاحبه بما معه من فئه * وذلك في سنة تسع وثمانمائه *

﴿ذكر مخالفة ونكد وقعت بين بير علي و بير محمد أزاحت ثوب الحياة عنهما﴾ (وأزاحت مخالفيهما منهما)

ولما وصل بير محمد الى وطنه * واستقر بين خدمه وسكنه * خرج عليه بير علي تاز * واستقل بدعوى الملك وامتاز * ثم قبض عليه وكبله * ثم انه خذله وجدله * وشرع يقول * وهو يصول ويجول * أمور الدنيا اضطربت * وأشراط الساعة اقتربت * وهذه دولة الدجالين * وأوان تغلب الكذابين والمحتالين * مضى تيمور وهو الدجال الاعرج وهذا زمان الدجال الاقرع * وسيأتي بعد هذا الدجال الاعور وان كان أحد يجزع من قرع باب السلطنة فأنا أقرع * فلم يجب أحد من الرؤس والاذناب سؤاله * ولا أنعم له بما أقر عينه وأنعم باله * اذلم يوجد في تناول هذا الامر المحظور من مبيح * ولم يكن لذلك الوعد في سهام الملك غير المنيح والسفيح * فدعا أرباب ممالكها تضرعا وخيفه * فكثر كل في وجهه أنيابه وجاذبه هذه الجيفه * فلم يبق له قرار ولا ثبات * فسل يده ومد رجله صوب صاحب هراة * فبمجرد وقوعه عنده في شرك الاقتناص * قبض عليه وأجرى عليه أحكام القصاص * وصفت له ممالك قندهار * من غير مضارب ولا مضار * واستراح خليل سلطان أيضا من الانكاد والمضار

﴿ذكر ما وقع من حوادث الزمان في غيبة خليل سلطان﴾

وفي هذه السنة بادرت بالهجوم * تتار الروم * ووصلوا بالعزم * وقطعوا جيحون بالرجل وهو جد من خوارزم * وقصدوا بلادهم * فتصدى لهم من كل جانب من شتتهم وأبادهم * وحصل لهم من عدم الاتفاق * ما حصل لعساكر العراق * وأيضا في غيبة السلطان خليل * واشتغاله بهذا السفر الطويل * اغتنم الفرصة خدايداد وشيخ نور الدين * فتوجهوا الى سمرقند مطمئنين * وأخنوا عليها * ونهبوا ما حواليها * فتحصنت منهم * وترفعت عنهم * فنهبوا خارجها ورجعوا * ونحو بلادهم انقلعوا

❋(ذكر تجريد خليل سلطان الاجناد وتوجهه الى شيخ نور الدين وخدايداد)❋

ولما رجع خليل الى سمرقنده * أراح طوائف عسكره وجنده * ثم دعا أصحابه * ووجه نحوهم اركابه * وهيأ أنصاره وأطلابه * وسار بتلك القبائل المضطرمه * والاسود الحوادر والفحول المغتلمه * واستمر ذلك الطود الركون * بين حركة وسكون * حتى وصل الى سيحون * وحين شرع في ذلك الطور * والنار ذات النور * على نهر سيحون في العبور * رأيت البحر المسجور * فأذعن له شاهرخية وخجند * وتحصنت منه تاش كند * فتوجه لحصارها * وعزم على هدم أحجارها * فبعد أن حاصرها مدّه * وأذاقها الباس الجوع والشدّه * لجأت الى طلب الامان * وسلمت اليه قياد الاذعان * فأجاب سؤالها * ورفح بالصلح حالها * ثم قفا آثارهما طالبا دمارهما

❋(ذكر ايقاد شيخ نور الدين وخدايداد نارا للخليل ليحرقاه فأطفأها الله تعالى ووقاه)❋

وكان خدايداد وشيخ نور الدين يحومان حول الحمى * ويترقبان من فرص النهب والسلب معاني عسى ولعلما * فتوجه وراءهما * ورام لقاءهما * فجعلا يرحلان برآى منه ومسمع * ويتزلان بأمل فيه ومطمع * وجعل يقتفيهما في كل منزل * فاذا رحلا يتبع قفاهما وينزل * وكان خليل سلطان معتمدا على عسكره * مستيقنا بحلول نصره وظفره * فكانه في بعض الليالي غفل عن التحرّس * وكان لهم في جيشه من دأبه التجسس والتحسس * فخيبه الظن وخانه * وحط على مكان يسمى شرابخانه * وكان قد تقدّم على الثقل * فطار جاسوسهما اليهما بما فعل * فأقبلا كالسيل * وبيتاه بالليل * فخرج من عسكره جماعه * وكانما قامت القيامة في تلك الساعه * ثم تركا دوردا * وفرّاعنه وندّا * وتشتتا في المهامه والموامي * ومن أين للسلطان اقتناص الحرامي * فكف عنهما عنان الطلب * وقصد بالسلامة دياره وانقلب

(ذكر مفارقة شيخ نور الدين خدايداد وتقاسمهما تلك البلاد)

ولما كانت مودة خدايداد وشيخ نور الدين كالفخار * وأساس ما بينهما من الصداقة كمن أسس بنيانه على شفا جرف هار * اختلفا * وما ائتلفا * وتحاذبا شقة الشقاق * ونفق فى تبايعهما بضائع النفاق * ولم يعلم أحد من راق * وظن أنه الفراق * فقهقر شيخ نور الدين نحو سغناق * واستولى على تلك الاطراف والآفاق *

(ذكر رجوع شيخ نور الدين الى الاعتذار والتنصل عند خليله مما كان منه وصار)

ثم أرسل شيخ نور الدين خليل سلطان * واعتذر عما صدر منه من العصيان * وطلب منه أن يقابل إساءته بالاحسان * ويرجع اليه عوائد صدقاته كما كان * فأجابه الى سؤاله وأسبل على سوءة جرمه ذيل النسيان * وأرسل اليه امرأة جده تومان *

(فصـــل) ولم يزل على الوفاق * وشق شقة الشقاق * مرتبقا ربقة الرفاق * حتى وقع خليل سلطان فى الرباق * وصفا الشاه رخ ملك سمرقند وراق * توجه اليه شاه ملك مظهر الصلح ومضمر النفاق * واستنزله بالمكر من قلعة سغناق * بعد أن أحكما العهد والميثاق * ووقع بينهما الاتفاق * وأن يتلاقيا ركبانا ويتباثا الاشواق * بعد السلام والاستسلام والعناق * وكان فى جماعة شاه ملك شخص يدعى أرغوداق * ثم أقبل شاه ملك بجماعته * ونزل شيخ نور الدين من قلعته * وسار شاه ملك وحده * من غير عدة وعده * وتعانق هو وذلك المغرور * وبثه ما نابه فى غيبته من أمور وسرور وشرور * فأكد عليه الميثاق والعهد * ووصى كل منهما ما يفعله الآخر من بعد * ثم ودعه وانصرف * واتصل بجماعته ووقف * وسارع كل من جماعته بمفرده * الى مصافحة شيخ نور الدين وتقبيل يده * حتى أفضت النوبة الى أرغوداق * فتوجه بما أضمره من الخداع والنفاق * وكان فى الشجاعة أسدا * وكالفيل قوة وجسدا * فوصل اليه * وقبل يديه * ثم التزمه عناقا * وأحكمه اعتناقا * فاقتلعه من سرجه * وأهبط نجمه من برجه * وقطع رأسه * وفجع به ناسه * ولما سمع بذلك شاه رخ * طفق يندب ويصرخ * ولعن شاه ملك ونهره * وضرب أرغوداق وشهره * لكن ما أمكنه وصل ما قطعاه * ولا غرس ما قلعاه * كما قيل

وليس لما تطوى المنية ناشر

واستمر مدة لا ينظر اليهما * ثم بعد ذلك رضي عليهما * واستمر خدايداد * متشبثا بأذيال العناد * مشتركا بين العتو والفساد * غير مسلم الى الصلح القياد * الى أن أباره الدهر وأباد * وسنذكر كيف جاد باعدامه وأجاد

(ذكر أمر خليل سلطان ببناء ترمد التي خربها جنكيز خان وتجهيزه العساكر لهذا الشان)

ثم في شهر صفر سنة عشر وثمانمائه * أرسل خليل سلطان من الجنود فئه * وأضافهم الى الله داد * وضم اليهم من رؤس الاجناد * الياس خواجا وابن قاري منصور * وتوكل قرقرا ودولة تيمور * الى ترمد مع آخرين * ليعمروها فاستمروا سائرين * حتى وصلوا الى ترمد * فجمعوا في الحال احتياجاتهم من الاحجار والاخشاب والقرمد * ثم تقاسمت تلك الرؤس أبدانها * وعلوا عن أن يتسوروا قلة أسوارها وحيطانها * وجعلوا يعملون ولا يلبثون * ويبنون بكل ريع منها آية يعبثون * وتركوا بالنهار أكلا وبالليل نوما * فأتموا بنيانها في نحو من خمسة عشر يوما * وحينئذ ميزوا محلاتها * وفرزوا دروبها وطرقاتها * ورفعوا أعلام مساجدها ومناراتها * وبنوا مواضع أسواقها وأبياتها * أمروا الباقين * من ذرية النازحين عنها من أهلها * وكل من رحل من خراب وعرها الى عمران سهلها * أن يرجعوا اليها * ويخيموا عليها * وكان أولئك المساكين * قد استوطنوا منها البساتين * وبنوا فيها أسواقهم وبيوتهم * وجمعوا فيها أسباب معائشهم وقوتهم * واستمروا على ذلك من وقت جنكيز خان * الى وقت تيمور كوركان * فكانوا في وطنهم آمنين * وعن حركات الانزعاج والتقلقل ساكنين * فلما مات تيمور * وحدث شرور وأمور * أراد خليل سلطان أن يصونهم * فأرسل من شيد حصونهم * وكانت الجديدة عن العتيقة نحوا من فرسخ * فصارت العتيقة أحصن من الجديدة وأرسخ * لا سيما وقد علا البانون منارها * ونهر جيحون يصافح أقدام طود جبل أسوارها * بخلاف الجديده * فان قصور مساكنها غير مشيده * وهي عن النهر بعيده * فلما نادوا الناس أن ادخلوا الى دار قراركم * فكأنهم كتبوا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم * فلم يشقل الله داد عليهم * ولا اكترث في ذلك ولا التفت اليهم * ولم يظهر في ذلك عنادا * ولكنه حشر فنادى * أن كل من سبقت يده من أهل البلد * الى شيء من هذه الاماكن

والعمائر الجدد * فهوله من غير منازع * ولا ممانع ولا مدافع * ثم أمر بانتقال الخبازين * والقصابين * والطباخين والسمانين * وميز لهم منزلهم ومأواهم * ولم يتعرض لمن سواهم * فجعلوا يبيعون على العساكر ويشترون * ويربحون فى ذلك ولا يخسرون فاختل نظام سائر الجمع * اذ الانسان مدنى بالطبع * فألجأهم الاضطرار * أن يتبعوهم بالاختيار * فتفقد ما يليق به أحوال كل من كبيرهم وصغيرهم * وقرر على ما اقتضته أوامره قواعد أمورهم * ثم جمع رؤس جنده * وقفل الى سمرقنده

(ذكر مافعله شاه رخ من جهة خراسان فى مقابلة مافعله خليل سلطان)

ولما سمع شاه رخ بما فعله خليل سلطان * جهز طائفة من عساكر خراسان * وجعل عمدة ذلك السحاب المنجاب * من بحر أمر أمير يدعى مرزاب * وهو أخو جهان شاه * الذى كان تيمور على محاصرة قلعة دمشق ولاه * وأمر رؤس تلك الجنود * أن يبنوا قلعة تسمى حصن الهنود * وهى من أقصى بلاد خراسان * يفصل بينها وبين ترمذ نهر جيحان * ففعلت من البناء العساكر الخراسانيه * نحو ما أعربت عنه العساكر الخليلية السلطانيه * وفى أثناء مدة البناء تراسل الله داد ومرزاب وتصافيا * وتواصلا بالاحتشام والاحترام وتهاديا *

(اشارة الى ماحدث فى أقاليم ايران وماجرى من سيول الدماء)
(عند تصوب ذلك الطوفان)

ثم ان السلطان أحمد وقرا يوسف رجعا الى العراق * ووقع بينهما على سياسة الملك الاتفاق * واستقر السلطان أحمد فى بغداد * ووثب قرا يوسف على الجغتاى بالعناد ليستخلص منهم ما استولوا عليه من بلاد * وكتب الفتح على راياته آيات نصر من الله * فاستخلص ممالك أذربيجان بعد أن أباد طوائفهم وقتل أمير أنشاه * ومد عنان الكلام * فى استيفاء هذا المقام * يخرجنا عما نحن بصدده من المرام * الى أن وقع بينهما الشقاق * وتخبطت أذربيجان والعراق * ثم قتل قرا يوسف السلطان أحمد باشارة بسطام * وذلك فى شهور سنة ثلاثة عشر وثمانمائة من هجرة النبى عليه السلام * وأما غراق العجم * فانها كانت

أحصن أجم * فاستقل بدعوى الملك متواهبا بير عمر * فنهض عليه ذو قرابة له يدعى اسكندر * فقاتله وكسره * ثم قبض عليه وهصره * واستقل بدعواه * فتوجه اليه شاه رخ صاحب هراه * فقبض عليه وأباده * وجمع به أهله وأولاده واستصفى بلاده * فخلصت لشاه رخ ممالك العجم كلها * وانثال الى خزائنه من أموالها وابلها وطلها * من غير أن يعانى فى ذلك نصبا * أو يقاسى فى تحصيله تعبا ووصبا * مع أن مملكته كانت أوسط الممالك * فلم يتطرق اليه أحد بسوء لذلك * وأنه كان حسن الجوار قليل الحركه * وأبوه قد حسم عنه بقتله ملوك العجم مادّة شر وهلكه * فثبت فى مكانه بين أسود شمخت وثبت * وكبت ماله من الاعداء بماله من أصدقاء وثبت * فاهتزت * أراضى دولته بنبات الثبات وربت * وكانّ عيون السعد كانت تراقبه * وعرائس الملك تناجيه وتخاطبه * بقوله

شعر

نزه فؤادك عن سوانا والقنا * فجنابنا حل لكل منزه
والصبر طلسم لكنز وصالنا * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه

(ذكر خروج الناس من الحصر وطلبهم أوطانهم من ماوراء النهر)

وفى أثناء هذه الحالات * قصد الناس من سمرقند التبدّد والشتات * وطلب كل غريب وطنه * وتحرك يبغى سكنه وقطنه * اما باجازة واحتما * واما بهزيمة واختفا * فأوّل من استجاز من أهل الشام ورام المسير * شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير * ثم تفرّقت الطوائف عجما وعربا * وتبدّدوا فى الآفاق شرقا وغربا * ووقع فى سمرقند القحط وغلاء الاسعار * ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار * ثم حصل بعد ذلك الرفاهيه * واجتمع للناس الرجاء والامنيه * وطاب الزمان * وحصل الامان * وذهب المقت * وصفا الوقت * وعند صفو الليالى يحدث الكدر *

(ذكر ما أثار الزمان الغدّار من دمار وبوار ألقى به الخليل فى النار)

وكان خليل سلطان تزوّج بشاد ملك زوج سيف الدين الامير * وملكه سلطان هواها

فكان فيه كالاسير * فمال بكل جوانحه اليها * بحيث انه قصر نظره عليها * وصارت محبته كل يوم تزداد * وأنست قصته قضية قيس وليلى وشيرين وفرهاد *
فكان كما قيل شعر

أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدان
وألثم فاها كى تزول صبابتى * فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يهدا الذى به * الى أن يرى الروحين يجتمعان

واستمر ذلك الى أن ران هواها على قلبه * وأخذ بمجامع لبه * وربط جوارحه * وحل جوانحه * وفصل قيصا واسعا فكانا بلبسانه * واتحدا فصار ينطق بلسانها وتنطق بلسانه * وصارا ينشدان والى حالهما يرشدان *

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا

بل كانت القضية بالعكس قلت

انما كانت بروح نفخت * مذبراها ربها فى بدنين

وكان لا يصدر أمرا الا عن رأيها * ولا يستقضى فى سياسة الملك الا بنور ذكائها * فسلمها قياده * واتبع مرادها مراده * وهذا من غاية البله والعته * وكيف يفلح من ملك قياده امرأته * وكان لها خادم قديم * ليس من بنى الاحرار ولا بكريم * بل كان من أطراف الناس * يبيع فى أول أمره البز والكرباس * يدعى باباترمش * بطرف معمش ووجه منمش * وصورة قبيحه * وسيرة غير مليحه * وكان يتقاضى حوائجها ويدخل عليها * قبل وصول خليل سلطان اليها * فلما وصلت مخدومته الى ما وصلت * وحصلت لها المرتبة التى لغيرها ما حصلت * ارتفعت درجة خدمها * وزادت حشمة حشمها * واستفاد باباترمش من اضافته اليها التعظيم * وبحسب كرامة المخدوم يحصل للخادم التكريم * فصار يرأس جماعتها ويسوسهم * وبجمالستها تحلى بخلعة هم القوم لا يشقى جليسهم * ثم ترقى حتى صار عليه مدار أمرها * ثم تخطت قدمه الى التكلم فى أسباب الملك وغيرها * ثم تدرج الى فصل المحاكمات الديوانيه * واجراء القضايا السلطانيه * ثم ترفع الى التولية والعزل * وتعاطى ذلك على سبيل الجد والهزل * وانتهى فى ذلك * فصار دستور الممالك * ولم يقدر أحد على رد كلمته * لحدة شوكته بقوة مخدومته * فبسط يده ولسانه كما اختار * وامتثل كل أحد ما أمر به وأشار * واستطال على الله داد وأرغون شاه * فصار يبرم

ما ينقضانه

ما ينقضانه و ينقض ما أبرماه * و بلغ فى قلة الادب الى أن كان يتدرجه بحضرتهما * ولا يقوم بذرة من واجب حرمتهما * ثم حجر أن لا تفصل قضية الا بمشورته * وان كان غائبا فينتظر حضوره أو يتوجه الى حضرته * ومن حين نبغ الى ان بلغ ما بلغ كان نحوا من ثلاث سنين * وعفاريت الجغتاى وجنهم لا يثون معه فى العذاب المهين * فحصل لالله داد وأرغون شاه من هذا التدرج * غاية الضرر ونهاية التحرج * و بلغا الغايه * فى الاهانة والنكايه * وأعضل داؤهما * وأعجز دواؤهما * واستلذا ذهاب العيش وزواله * على البقاء فى هذا الحاله *

(ذكر ما افتكره الله داد ودبره فى مراسلة خدايداد)

ثم ان الله داد استعمل فكره * ولكن أخطت استه الحفره * فطبخ قدرا فانقلبت عليه * ونسج كدود القز شبكة حتفه بيديه * قلت

اذا انعكس الزمان على اديب * يحسن رأيه ما كان قبحا
يعانى كل أمر ليس يعنى * و يفسد ما رآه الناس صلحا

فلم يجد لتبريد الاكباد * الا مراسلة خدايداد * فجليا عليه صورة هذه القضيه * وأخبراه بها عن وضوح وجليه * وأشارا عليه أن يتوجه بأمل فسيح * و يقصد بعساكره سمرقند وخاطره مستريح * فنهض من ساعته * وتوجه بجيشه وجماعته * ودب دبيب الدبا * فوصل الى مكان يدعى أوراتبا * فلما سمع بذلك خليل سلطان * أرسل الى الجنود والاعوان * وتعجب من وقاحته * وتعوذ من كلاحته * وجهز الله داد وأرغون شاه * مع العساكر الجرارة للاقاه * فسارا حتى داناه * فقابلاه وما قاتلاه * ثم أرسلا الى خليل سلطان * يستدعيان المدد و يقولان * ان هذا الرجل بالغ من ملاحاته * وشدة دعارته وقلة مبالاته * انه لم يتزعزع من مناخه * ولا دخل ريح هيبتنا فى صماخه * فأمدهما بباقى العسكر * وجعل يتشوف لما يكون من الخبر * فأرسلا أيضا ان هذا قد آذى وزاد فسادا * وجارى فى عداوته ثمود اوعادا * فأمدنا بنفسك * وأدركنا بحدسك وحسك * فان هيبتك أقوى * وطلعتك أضوى * وما ارتكب هذه الجراءه * ولا أقدم على هذه الجيئه * الا وقد أضمر شرا كبيرا * وطوى فى باطنه قارا وقيرا * فأدركنا بباقى

المقاتله * فانّ هذه المرّة تكون الفاصله * فخرج خليل سلطان بقلب مطمئن * وخاطر على حلول الحوادث مستكن * وأمل فسيح * وصدر منشرح * معجبا بشبابه * مغرما بأصحابه * متمايلا بين أحبابه * متهاديا بين أترابه * فى شرذمة قليله * وطائفة نبيله * أبعدما عنده نزول هم * وأشرد ما لديه حلول نكد وغم * يفدّيه الكمال * ويناديه لسان الجمال * بقوله

ته دلالا فأنت أهل لذا كا * وتحكم فالحسن قد أعطاكا

فوصل بتلك العصابة السلطانيه * الى قصبة تسمى سلطانيه * فأرسل الله دادا الى خدايداد أن الركاب السلطانى * خرج من سمرقند فى اليوم الفلانى * وفى الساعة الفلانيه * يحل كورة سلطانيه *

* (ذكر ما قصده خدايداد من الكيد ووقوع خليل سلطان فى قنص الصيد) *

فقصد خدايداد المخاتله * وترك ثقله مقابل المقاتله * ونبذ العساكر وراء ظهره * وتأبط شرشراره وهراوة هرّه * واستصحب من أبطال القتال ورجال النضال والنزال طائفه * جاسرة غير خائفه * بمعنى ما قيل شعر

رزانا اذا لاقوا خفافا اذا دعوا * كثيرا اذا شدّوا قليل اذا عدّوا

والتحف ذيل الليل * وامتطى ظهر الخيل * واستطرق الى مطلوبه طريقا عوجا * واستقود الى مقصوده قوّاد الدجى * كما قيل شعر

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قوّاد

حتى وصل الى سلطانية وهى قصبة أنشاها تيمور * ولم يكن لاحد به شعور * فلم يفجأ خليل سلطان * الا وقد جاءه موج البلاء من كل مكان * فنهض كل من معه من الاصحاب * وأخذوا فى الحرب والطعن والضراب * وقاتلوا قتال الموت * وأيقنوا حلول الفوت * فعضت عليهم الحرب العضوض * وطرحتهم ما بين مهشوم وموقوذ ومرضوض * فقتل حقيرهم وجليلهم * ووقع فى نار عدوّهم حبيبهم وخليلهم * ثم رجع خدايداد الى معسكره * فائزا بنجحه مستبشرا بظفره *

(فصـــــل) ثم ان خدايداد حلف لخليل سلطان * بأشد ما يكون وأبلغ من أنواع الايمان * انه لا يقصده بأذى * ولا يرمى فى عين معيشته بخيال قذى * ولا يؤذيه بقول ولا عمل * ولا يسلط عليه من يؤذيه بمكر ودخل * وسيرى نتيجة ما حلف * وان الله تعالى عفا عما سلف *

(فصـــــل) ثم التمس منه أن يرسل الى الله داد * فمن دونه من الاجناد * ان يستسلموا لخدايداد * وأرسل خدايداد أيضا الى الناس * بأنى قد استوليت منكم على الراس * فان أطعتمونى أطعته * وان لم تصلونى قطعته * ولما وقع خليل سلطان فى هذا الكرب * تصور ان هذا سهم غرب * ثم ظهر له مكان ذلك المكمن * وتحقق كيف أخذ فى المأمن * وعلم من أين صب ذلك البلاء عليه * وأنى أخذ من ذلك الجانب الذى يأمن اليه * فقال * بلسان الحال *

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينـــه ودّ ولا نتعارف
فما سامنا خسفا ولا شفنا أذى * من الناس الا من نودّ ونعرف

ثم أرسل الى سائر الامراء * ورؤساء الجيش والوزراء * أن يستسلموا لخدايداد ولا ينازعوه * ولا يدافعوه فيما يريد ولا يمانعوه * فاستسلم الكل اليه * واستقبل ذراه وسلم عليه * فاستولى على تلك الجنود المجنده * وتحصن من غوائل المخاتلة بالرماح المسدده * والسيوف المهنده * وقدم جنود جند وخجند * وأغتام تركستان وطغام أوزجند * وأخر من سوى أولئك وتقدم الى سمرقند * ولم يلتفت الى الله داد فمن دونه * وتحقق الله داد أن صفقته فى ذلك مغبونه * فسلخ الزمان عنه ما كان ألبسه من ثوب عز وسلب * وفر من بين يديه ما كان فيه من جاه ومال وذهب * وكان قيام ذلك الحشر * فى سنة ثمانمائة واثنى عشر *

(ذكر ما جرى من الفساد بسمرقند عند قدوم خدايداد)

فوصل خدايداد الى سمرقند ودخل * فتغيرت تلك الرسوم والدول * وكأنه ظهر اختلاف الملل والنحل * وكان له ابن يدعى الله داد * فدعا بالسلطان على رؤس الاشهاد * وتفحص عن مكامن الخزائن * ونقب فى أطوادها عن الفلزات والمعادن * ونقر عن مضمرات الضمار وبحث عن الخبايا والدفائن * وتغيرت الاوضاع * وتبدلت بالفظاظة رقاق الطباع *

وصاروا كما قيل — شعر

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نسائها

وتنكرت الصفات * حتى كأنما تحولت الذوات * أو بدلت الارض غير الارض والسموات *

شعر

وتنكرت أرض الغوير فلم يكن * ذاك الغوير ولا النقا ذاك النقا

* (ذكر بلوغ هذه الامور شاه رخ بن تيمور وتلافيه تلك الحوادث) *
(وحسمه مادة هذه العوابث)

ولما اتصل بشاه رخ هذا الخبر * عبس وبسر * وتضجر وزمجر * وازبر وازبار * وكشر واكفهر * وتغير وجهه وتمغر * واستغاث وتقلق * وولول واسترجع وحوقل * وتحرق وتنكد * وتأوه وأنشد

شعر

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

ثم طير بطائق مراسيمه كل مطير * الى أطراف ممالكه بجمع العسكر * وأمر شاه ملك * أن يسير غير مرتبك * ويستديم السير * ويسابق بعتاقه عتاق الطير * فيتدارك ما انفرط من النظام * ويطارد عن ورد المملكة الاغتنام الطغام * فلا يدع رائدهم أن يحل * ويعاجل مستعجل قدرهم أن يعل * فصار شاه ملك فى الحال * بعساكر فى المدد كالجبال * وفى العدد كالرمال * ثم أتبعه شاه رخ بسائر الاساوره * وكواسر الاكاسره * وسار لا يلوى على أحد * ولا يسكن فى حركته الى طالع ولا رصد * فحين وصلوا جيحون وعبروه * غطوا وجهه وستروه * فانبسط ذلك السيد على وجه الماء * فكان البحر غطى بالغمام المتراكب وغرق فى بحر الحياء *

* (فصل) ولما قطع البحر تلك الاطواد * واتصل الخبر بخدايداد * تيقن أنه لا طاقة لذبابه وقروده * بذئاب جنود شاه رخ وأسوده * وأن جل عساكره يفرعنه ويسلمه ويقبض عليه ولشاه رخ يسلمه * فأسرع فى تجهيز مآربه * وبادر الى تجهيز مطالبه * وأخذ ما وصلت يده اليه من أموال * وأوسق ما بلغت طاقته من نفائس وأحمال * واستصحب خليل سلطان * وتوجه الى ايدكان * وأودع الله داد وأرغون شاه وبابا ترمش فى القلعه *

وأنف أن يستصحب أحداثهم معه * وترك شاه ملك أيضا في المدينه * بفراق خليلها رهينه * وسلب ما كانت فيه من العز مهينه *

* (ذكر ما جرى بسمرقند بعد خروج الجنود الجندية وقبل وصول) *
(الشواهين الشاهرخيه)

ثم لما رحل خدايداد وانفصل * ولم يكن أحد من جهة شاه رخ وصل * وما كان للناس * ظهر ولا راس * أراد الله داد وأرغون شاه * أن يتوجها الى شاه رخ ويستقبلاه * فرفع خواجا عبد الاول عليهما يده * وأقام لمنعهما عن الخروج من القلعة رصده * واستعان بشطار المدينه * وكان الله داد قبل ذلك أنكاه نكاية أورثته ضغينه * كما قيل مصراع

* من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا *

فلم يختلف في رياسته اثنان * ولا انتطح فيما يأمرهم به عنزان * وصارت اشارته الآمرة الناهيه * وجداول مراسيمه فيما بين الناس جاريه * وأوامره المطاعة في تلك الايام الخاليه * والعلم يرفع بيتا لا عماد له * ولم يزل خواجا عبد الاول يسوس الرعيه * ويوصى على الله داد ورفيقيه ومن معهم ويشدّد مضائق القضيه * الى ان طلعت طلائع شاه ملك وأعقبتها العساكر الشاهرخيه *

* (ذكر بدور بدور الدولة الشاهرخية في سماء ممالك ماوراء النهر) *
(بعد غروب شمس النوبة الخليلية)

فخرج أهل المدينة لاستقباله * مستبشرين برؤية جبين هلاله * فنزل كل أحد في منزلته * ووضع كلا من الناس في مرتبته * ثم قبض على الله داد ورفيقيه وعاقبهم بأنواع العقاب * وصنف في تعذيبهم واستخلاص الاموال منهم أنواع العذاب * ثم قتلهم صبرا * ونقلهم من الدنيا الى الاخرى * الا بابا ترمش فانهم عاقبوه * وبأنواع العذاب أهبوه * في بعض الايام * وقد انكت فيه من العذاب الآلام * أخذ الموكلين عليه ليطلعهم على قضيه * أو يذهب بهم الى خبيه * فتروا به وهو في قيد وثيق * على حوض ماء عريض

عميق * فاستل من قراب أيديه عضب يده الدلق * ورمى بنفسه وزخ في ذلك الماء على
غفلة فغرق *

(فصـــل) ثم انّ هرخ زار اباه * وأقام شرائط عزاه * وجدّد ترتيب القرّاء
على تربته والقومه * واستأنه معالم المرتبين في ذلك والخدمه * ونقل الى خزائنه جل
ما كان على حفرته * من أقمشه وأمتعته وأسلحته * وعفر ببادر الخزائن * وحفر تخوم
تلك الكمائن * وشرع في تمهيد قواعد * وترتيب مراتب الاقارب والاباعد *

(فصـــل) وقبضوا على شادملك وأهانوها * وشانوها بابتذالها من صانوها *
وعصبوها بالعذاب عصب السلمه * وهزوها لاستخراج الاموال منها هزات أعوان الظلمه *
ثم بعد ذلك الابتذال * واستخلاصهم منها أنواع الاموال * حزموها وشدّوا منها الوثاق *
وشهروها منادين عليها في الاسواق * واستقرّت على شاهرخ الامور * وارتفعت صدور
وانقمعت ظهور * وعلا انسان * وانحط انسان * فسبحان من هو كل يوم في شان * عز
شانه * وتعالى سلطانه * يغير الدول ويقلب الاحوال * ولا يعترى سلطانه تغير ولا انتقال *

(ذكر ماقصده خدايداد من اتمام النكد والفساد وكيف)
(آل ذلك النكال الى ان جرى عليه الوبال)

وأما خدايداد فحين حل في مكانه * وخلا بتخليل سلطانه في اندكانه * جدد معه عهوده
ومواثقه * أنه أمنه مكره وبوائقه * وذكر أن ذلك النكال والنكاد * انما فعله معه
أرغون شاه والله داد * مع احسانه اليهم * واسبال ذيل انعامه عليهم * وأنهم كافأوه
مكافأة التمساح * وقابلوا بافسادهم منه الاصلاح * ثم قال له اذكر صنيعك معي أولا
وظاهرا * وانظر ما أفعله معك باطنا وآخرا * وسأفعل معك ما يتحقق به خلوص الطويه *
وصدق النيه * بحيث يذهب الكدر ويبقى الصفا * وينمحي الجفا ويثبت الوفا *
ونعيش باقي عمرنا متصافيين * وفي رياض الهنا متوافقين متكافيين * فنمحو ما نكتب في ألواح
صدورنا من المحبة والشفقه * مساطير الاساطير المكتبة في باب الحمامة المطوقه * وسأردك
ان شاء الله تعالى الى دار عزتك * وأجتهد في تحصيل ما يعيدك الى نشاطك وهزتك *
ثم خطب باسمه في اندكان * وأمر بذلك في أطراف تركستان *

※(تتمة ماجرى من خليل وخدايداد من المعاقدات وتأكيد)※
(العهود والمودات الى أن أدركهما هادم اللذات)

ثم تأكدت بينهما وثائق الايمان * وذهب خدايداد يستمدّ المغول لخليل سلطان * وترك خليل سلطان باندكان * وكان المغول * لما بلغهم موت تيمور المخذول * سلبوا قرارهم * وأخلوا ديارهم * ولجأوا الى الحصون * وتشبثوا بأذيال كل كهف مصون * كما ذكر أوّلا فلما تحققوا موته * واستثبتوا فوته * تنادوا بالامن والامان * وجاوروا خدايداد فى ذلك المكان * وأرسلوا يهنئون خليل سلطان * وبعثوا اليه هدايا سنيه * وتحفا فاخرة ملوكيه * من جملتها كرسى من ذهب * أفرغه صائغه فى قالب العجب * فأكرم خليل سلطان رسلهم * وأعظم نزلهم * وأجل معهم جوارا وأجرا * وجازاهم بكل حسنة عشرا * قلت

الخير أبقى وان طال الزمان به ※ والشر أخبث ما أوعيت من زاد

ولازالت خلع المودّة بينهم تنتسج * ووجوه المكارمة والمحاشمة يوما فيوما تبتهج * حتى عرى له ما عرى * وجرى عليه من بحر القضاء والقدر ما جرى * فساعة وصول خدايداد اليهم قبضوا عليه * وأرسلوا الى خليل سلطان ينهون صورة الحال اليه * وقالوا تعلم ما بيننا وبينك من خالص الوداد * وانا عالمون بما وقع بينك وبين خدايداد * وانه كان السبب فى تبدّدك وخروج ملكك من يدك * وقد جاء يستمدّ نالك * فارسم لنا ما بدا لك * فان رسمت قتلناه * وان أشرت أمددناه * وفى الجملة مهما أمرتنا به امتثلناه * فأرسل يقول قد علمتم كيف آذانى * ومزق عرضى وأخزانى * وأخرجنى من ملكى وسلطانى * وغرّبنى عن أهلى واخوانى * وأذلنى اذ رأسنى بمفارقة حبى وأوطانى * والآن فقد جعلنى ترسا * يتقى بى الحوادث والباسا * وقد عرفتم كيف يريد أن يتصرف * وعلى كل حال فالعارف لا يعترف * ومع هذا مهما رأيتم فى ذلك من المصلحة فافعلوه * ففى الحال قطعوا رأسه واليه أرسلوه *

(ذكر عود خليل سلطان من ممالك أندكان وقصده عمه شاه رخ)
(ولعبه بالنفس مع ذلك بالرخ)

واستمر خليل سلطان * في ذلك المكان وأطراف تركستان * يرسل بالفارسي الاشعار العراقيه * وينشئ في حبيبته ماينسي القصائد الزيدونيه * ويذكر ماهو فيه من الغربه * وماجرى عليه من الفراق والكربه * فيصدع بذلك القلوب ويفتت الاكباد * الى أن مل المقام في تلك البلاد * فنفض منها ذيله * وضم رجله وخيله * وقصد عمه * وركب الطريق وأمه * فاكرم عمه مثواه * ولم يذكر له أخبار ما أنشاه * وضم اليه حبيبته * ولم الى خليل جليلته * وقرر قاعدة ذلك الاقليم وشيده * وولى فيه أولوغ بيك ولده * وقفل الى خراسان * مستصحبا معه خليل سلطان * ثم ولاه ممالك الري * فلم يقم بها الا أدنى شي * وانتقل الى رحمة الله * وكان عمه دس له شيأ فسقاه * فدفن بمدينة الري * وطوى نشر ذلك الحاتم أي طي * وحين وقعت شاد ملك في هذا الخطب الجليل * واشتعلت أحشاؤها بنار الخليل * قالت لاذقت فقدك * ولاعشت بعدك * وأنت ورنت * وأنشدت وغنت *

شعر

كنت السواد لمقلتي * فبكى عليك الناظر
من عاش بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

ثم أخذت خنجرا فوضعته في لبتها * واتكأت عليه بقوتها * فنفذ من قفاها * وأحرقت بنارها كل من رآها * فدفنا في قبر واحد * وأمسى لسان حالهما ينشد * شعر

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

وصفا للشاه رخ ممالك ماوراء النهر وخراسان * وخوارزم وجرجان * وعراق العجم ومازندران * وقندهار والهند وكرمان * وجميع بلاد العجم الى حدود أذربيجان * الى يومنا هذا أعني سنة ثمانمائة وأربعين * ونسأل الله تعالى حسن العاقبة بمنه ولطفه والحمد لله رب العالمين *

(فصل في صفات تيمور البديعه وماجبل عليه من سجية وطبيعه)

وكان تيمور طويل النجاد * رفيع العماد * ذا قامة شاهقه * كأنه من بقايا العمالقه * عظيم الجبهة والراس * شديد القوة والباس * عجيب الكون * أبيض اللون * مشربا

[illegible]

انشبته فى مخاليب تيمور الاقدار * قال له فى بعض مجالسه * وقد أنس بتوانسه * بالله يامولانا الامير ناولنى يدك التى هى مفتاح فتوح الدنيا حتى أتشرف بتقبيلها * وقال له أيضا لما أراد أن يستصحبه معه وقد سرد عليه شيأ من تواريخ ملوك الغرب وكان تيمور مغرما باقراء التواريخ واستماعها فاعجبه ذلك غاية الاعجاب * ورغب منه فى الاستصحاب * يامولانا الامير مصر حرجت عن ان يتولى فيها نائب غيرك * أوان يجرى فيها غير أمرك * ولى فيك عوض من طريفى وتلادى * وأهلى وأولادى * ووطنى وبلادى * وأصحابى وأخدانى * وأقاربى وخلانى * وملوك الناس * وعن كل ظهر وراس * بل وعن كل الورى * اذ كل الصيد فى جوف الفرا * وماأتأسف * ولاأتلهف * الاعلى مامضى من عمرى * وانقضى من عصرى * كيف تقضى ذلك فى غير خدمتك * ولم تكتحل عينى بنور طلعتك * ولكن القضاء جاز * وسأستبدل الحقيقة بالمجاز * وماأولانى * ان أكرر على لسانى * قوله

جزاك الله عن ذا السعى خيرا ❁ ولكن جئت فى الزمن الاخير

فلا ستأنفنّ فى ذراك عمرا ثانيا * ولاعدن الزمان بابعادى عن عدوتك عاديا * ولاتداركن مامضى من عمرى بصرف مابقى فى خدمتك والتشبث بغرزك * ولاحسبن ذلك أعز أوقاتى * واعلى مقاماتى * وأشرف حالاتى * ولكن مايقصم ظهرى * الاكتبى التى أفنيت فيها عمرى * وصرفت جواهر علومى فى تصنيفها * وظمئت نهارى وسهرت ليلى فى ترصيفها * وذكرت فيها تاريخ الدنيا من بدئها * وسير ملوك شرقها وغربها * ولئن ظفرت بها لاجعلنك واسطة عقدهم * وخلاصة نقدهم ولاطرزن بسيرك خلع دهرهم * ولاصيرنّ دولتك هلال جبين عصرهم * اذ أنت أبو المقاحم * والبازغ بدر نصره فى شرق الغرب من دياجير الملاحم * والمكاشف به على لسان كل ولى * والمشار اليه فى الزوايج والجفر المنسوب الى أمير المؤمنين على * وصاحب القران * المنتظر فى آخر الزمان * وهى فى القاهرة فلو حصلت عليها مافارقت ركابك * ولاهجرت أعتابك * والحمد لله الذى رزقنى من يعرف قيمتى * ويحرز خدمتى ولايضيع حرمتى * مع كلام فصيح صادع * بديع بليغ خالب خادع * فاهتزت فرحا أعطافه * وتراقصت مرحا أطرافه * وأعجبه ذلك واغراه ميله الى كتب التواريخ والسير * واستهواه حبه معرفة أحوال الملوك الذى ذكر * حتى شده عما خلبه * بسحر هذا البيان البديع وسلبه * ثم انه استوصفه بلاد الغرب وممالكها *

واستوضحه أوضاعها ومسالكها * وقراها ودروبها * وقبائلها وشعوبها * كما هو دأبه وشانه * والقصد فى ذلك امتحانه * لانه لم يكن محتاجا لذلك * اذ فى خزائن تصوره صور جميع الممالك * وانما أراد بذلك معرفة مقدار علمه وكيفية ابداء نصحه له وكتمه * فاملى كل ذلك من طرف لسانه كأنه يشاهده وهو جالس فى مكانه * وشرح تلك الامور * كما فى خاطر تيمور * ثم قال له كيف تذكرني وبخت نصر مع الملوك الاكابر * ولم نتل فى النسب تلك المفاخر * ومانحن من يعاسيب النحل * فأنى تعيننا مع الفحل * فقال افعالكما البديعه * أوصلتكما الى تلك المنزلة الرفيعه * فأعجبه هذا الكلام * وقال لجماعته اقتدوا به فانه امام * ثم أخذ تيمور يخبر القاضى بما وقع فى بلاده * وماجرى بين ملوك الغرب وأجناده * ولازال يذكر له أخبار الناس حتى سرد عليه أخبار متعلقيه وأولاده * فتحير القاضى من املائه * وقال ان الشيطان ليوحى الى أوليائه * ثم ان تيمور عاهد القاضى ان يتوجه الى القاهره * ويأخذ أهله وأولاده وكتبه الزاهره * ولا يلبث أكثر من مسافة الطريق * ويرجع اليه بأمل فسيح وعهد بنيل الامانى وثيق * فتجهز الى صفد * واستراح من ذلك النكد

(فصــــــل) وكان تيمور محبا للعلماء * مقربا للسادات والشرفاء * يعز العلماء والفضلاء اعزازا تاما * ويقدمهم على كل أحد تقديما عاما * وينزل كلا منهم منزلته * ويعرف لهم اكرامه وحرمته * وينبسط اليهم انبساط رحمة ممزوجا بهيبه * ويبحث معهم بحثا مندرجا فيه الانصاف والحشمه * لطفه مندمج فى قهره * وعنفه مندرج فى بره * شعر

متفرّق الطعمين مجتمع القوى * فكأنه السراء والضراء

وقيــــل

مر المزاق على أعدائه بشع * حلو الفكاهة للاصحاب كالعسل

وكان مغرما بارباب الصناعات والحرف * أى صناعة كانت اذا كان لها خطر وشرف * يبغض بطبعه المضحكين والشعراء * ويقرب المنجمين والاطباء * ويأخذ بقولهم * ويصغى الى كلامهم * ملازما اللعب بالشطرنج لكونه منقحا للفكر * وكانت علت همته عن الشطرنج الصغير * فكان يلاعب بالشطرنج الكبير * ورقعته عشرة فى احدى عشر * وفيه من الزوائد جملان وزرافتان وطليعتان ودبابتان ووزير * وأشياء غير هذه وسيأتى وضعه والشطرنج الصغير بالنسبة الى الكبير كلاشئ * مواظبا لاقراء التواريخ وقصص الانبياء

عليهم الصلاة والسلام * وسير الملوك وأخبار من مضى من الانام * سفرا وحضرا كل ذلك بالفارسى * ومما تكررت قراءتها عليه * وطنت نغماتها على أذنيه * قبض ذمام ذلك وملكه * حتى صارت له ملكه * بحيث ان قارئ ذلك اذا خبط * ردّه الى الصواب من الغلط * وذلك لان التكرار * يفقه الحمار * وكان أميا لا يقرأ شيئا ولا يكتب ولا يعرف شيئا من العربيه * ويعرف من اللغات الفارسية والتركيه والمغوليه * حسب لا غير * وكان معتقدا للقواعد الجنكيزخانيه * وهى كفروع الفقه من الملة الاسلاميه * وممشيا لها على الطريقة المحمديه * وكذلك كل الجغتاى وأهل الدشت والخطا وتركستان وأولئك الطغام * كلهم يمشون قواعد الملعون جنكيزخان على قواعد الاسلام * ومن هذه الجهة افتى كل من مولانا وشيخنا حافظ الدين محمد البزازى رحمه الله * ومولانا وسيدنا وشيخنا علاء الدين محمد البخارى أبقاه الله وغيرهما من العلماء الاعلام وائمة الاسلام * بكفر تيمور و بكفر من يقدم القواعد الجنكيزخانيه * على الشريعة الاسلاميه * ومن جهات أخر أيضا * وقيل ان شاهرخ أبطل التورة والقواعد الجنكيزخانيه * وأمر أن تجرى سياستهم على جداول الشريعة الاسلاميه * وما أظن لذلك صحة فان ذلك عندهم قد صار كالملة الصريحه * والاعتقادات الصحيحه * ولو اتفق انه بجميع مرازبه وموابذه فى دسكره * و يغلق أبوابها و يطلع عليهم من منظره * و يفتح عليهم شيئا من هذا الباب * لحاصوا حيصة الحمر الى الابواب

(فصل) وكان فريد الطور بعيد الغور لا يدرك لبحر تفكيره قعر * ولا يسلك فى طود تدبيره سهل ولا وعر * قد أقعد فى ممالكه نواميسه * وأقام فى سائر الممالك جواسيسه * وهم ما بين أمير كاطلاميش أحد أعوانه * وفقيه فقير كمسعود الكجحانى عين أصحاب ديوانه * وكان ذلك فى القاهرة المعزيه * وهذا بدمشق أحد الصوفية بالشميصاتيه * وما بين متسبب وتاجر * ومصارع شرير و بهلوان فاجر * ومكدو وصنايعى * ومنجم وطبايعى * وقلندرى قوال * وحيدرى جوال * وبحرى سباح * وبرى سياح * وسقاء ظريف * وحذاء لطيف * وسعلاة دلاله * وشيخة محتالة كدلة المحتاله * ومن مرت به التجارب * وضرب أكباد الابل مشارق ومغارب * و بلغ فيما هو بصدده من المكر والاحتيال منزلة الكمال * وألف بلطيف ختله ودهاه بين الماء والنار والهدى والضلال * وجاوز فى الحيل والكيد ساسان وأبازيد * وألزم فى حكمته وجدله ابن سينا * وأسكت فى منطقه اليونانيين اذ

عكس عليهم القضايا * فجمع بين المتنافيين * وألف بين المتعاديين قلت

فاق من قاد للعدى كل جيش ❁ بكلام ثنى البعيد قريبا

مزج النقل فى القياد بعقل ❁ فهدى عاشقا وأهدى حبيبا

فكانوا ينهون اليه حوادث الاطراف وأخبارهم * ويكتبون اليه ما قدموا وآثارهم * ويذكرون لديه أوزانهم وأسعارهم * ويصفون منازلهم وأمصارهم * ويصورون سهولهم وأوعارهم * ويخطون بيوتهم وديارهم * ويبينون مدى ذلك بعدا وقربا * وما فى ذلك ضيقا ورحبا * وجهات وأقطارا شرقا وغربا * وأسامى الامصار والقرى * وألقاب المنازل والذرى * وأهل كل مكان ورؤساءه * وأمراءه وكبراءه * وفضلاءه وشرفاءه * وأغنياءه وفقراءه * واسم كل ولقبه * وشهرته ونسبه * وحرفته وسببه * فكان يطالع بفكره ذلك و يتصرف بتفكيره فى سائر الممالك * وكان اذا حل ببلد * واجتمع به من أعيانها أحد * شرع يسأله عن فلان وفلان * وماجرى لفلان فى الوقت الفلانى مما زانه من أمر وشان * والى م آلت تلك الواقعه * وكيف فعل فلان وفلان فيما كان بينهما من المنازعه * فيبهت ذلك الرجل ناظرا * و يظن أن تيمور كان فى تلك الحالة حاضرا * وكان كثيرا ما يطرح عليهم من أغاليط المسائل * و يحكى صور مباحثات جرت لهم ورسائل * فيتصورون أن له فى ذلك العلم قدمه * أو كان منه للعلماء خدمه * ولذلك تصور بعض الناس * أن ذلك الوسواس الخناس * كان مقيما بالسلاريه * و بعض بالغ حتى قال انه رآه فى فقراء الشيمصائيه

❁(فصـــــل)❁ ومما يحكى عن فراسته انه لما نزل عن سيواس * وقد حصنها منه أولوا النجدة والباس * قال لعسكره اعملوا الحيله * انا فاتحوه هذه فى ثمانى عشرة ليله * فكان كذلك فلاشك ان ذلك الاعرج * كان ملهما او مستدرج * وكان ذا مغالطات * وحركات لها مغاورات * اذا دهمه أمر يتعاطى دفعه وهو مظهر انه راغب فيه * وربما يظهر الرغبة عن شئ وهو مريد حصوله ومشتهيه * وقدمر نظائر هذا كله * فمن مغالطاته انه اذا كان له فى مكان روم * أو أراد أن ينزل بساحة قوم * قصد الاخفاء والتعميه * وطلب الايهام والتوريه * وبحر عسكره لا يخلو من تمساح متجسس أو سرطان متحسس * ولو لم يكن لاحد فى عسكره عين * فان بزوغ العين لا يخفى على ذى عين * فانه يجمع أركان دولته * وأعيان مملكته * وذوى آرائه ومشورته * بحيث انه لا يتخلف منهم أحد * ولا

يجزى مولود عن والده ولا والد عن ولده * ثم يظهر لهم خفية أموره * و يطلب منهم المشورة
فى جهة مسيره * و يطلق لهم عنان الكلام * و يقول لا تثريب على من خاض فى ذلك من
خاص الانام * ناظر فى أعقاب الامور ما بين يوم وعام * فليتكلم كل ولا حرج * فسواء
هوى الى حضيض الخطأ أو الى أوج الصواب عرج * فان أخطأ فلا انقصان * وان
أصاب فله أجران * فيبذل كل جهده * ويعانى فى ذلك وكده وكده * و يبدى فى ذلك
ما أدى اليه اجتهاده * و يتصور ان ذلك يوافقه مراده * فتتفق الاراء * على ناحية من
الانحاء * ثم ينفض ذلك المجلس * و يجتمع بأخصائه ويجلس * كسليمان شاه وقارى وسيف
الدين * والله داد وشاه ملك وشيخ نور الدين * و يمحضون القضية محضا غير ذلك و يبحثون فيها
بحثا دقيق المسالك * فيقع آخر الامر الاتفاق * على التوجه الى بعض الآفاق * ثم يدعو
رائدهم وسائقهم فى ذلك وقائدهم * و يأمرهم بالتوجه اليه فيتصدعون على ما عول فى ذلك
عليه * وحين يقوض الظلام خيامه * و ينشر رائد الصبح أعلامه * و يضرب الكوس
للرحيل * و يأخذ الناس فى التحميل * و يتوجه الناس الى الجهة التى أمرهم بالمسير اليها *
ووقع الاتفاق عليها * دعا حاشيته بعد ما حلوا واخذوا فى المسرى * وأمرهم أن يمتازوا
ويرحلوا الى جهة أخرى * لم يكن أبداها الا حد من الجماعه * الا فى تلك الساعه * ولولا الضرورة
لما أفشاها * ولا أبدى سريرتها الاحد ولا أبداها * فيضرب الناس ضربا ويضرب ضربا *
و يأخذ العساكر شرقا و يأخذ غربا * فتضطرب تلك الاطواد وتختبط * وتنفرط عقود
نظامهم فلا تكاد تنضبط * وتنحل قوائم مواشيها عن المسير وترتبط * ويموج بعض الناس
فى بعض * وينعكسون سماء فى أرض وطولا فى عرض * و يتوله كل أحد ويتدله * ولا يدرى
الى أين يتوجه * فان كان فى عسكره ربيئه * أو من يراقب ذهابه ومجيئه * فبمجرد
ما رأى تحميلهم * وشاهد تحويلهم ورحيلهم * طار الى مخدومه * وأظهر له ما فى معلومه *
من توجه العساكر الى الجهة التى اتفقوا عليها * وانه شاهدهم بعينه وقد توجهوا اليها *
فيأخذ حذره أهل ذلك الجانب * وتطمئن سائر الجوانب من النوائب * فلم يشعر الا
وقد دمر على الجانب الذى قصده وحطمه * ونبذه من نار العذاب الموقدة فى السعير
والحطمه * وكم كان له من دهاء * ومكر خفى وذكاء * ومن جملة ذلك انه لما كان بالشام *
وقد قابلته عساكر الاسلام * أشاع أن سوار أساورته تخلخل * وتأخر قليلا الى وراء وتحلحل *
وأذاع انه أعوز خيله ورجله الزاد * وانه صائب صوب بغداد * ثم أصفرت القضيه * عن ان

انهزمت العساكر المصريه * وكان قصده بذلك تثبيت جأشهم * واستقرار رؤسائهم
وأوباشهم * وان يكر كل منهم على ما أزم * فيربض فى مكانه ولا ينهزم * فيحيط بالكل
كيده * ويصير الجموع صيده * ومما يحكى من شدة عزمه * وثباته على ما يقصده
وحزمه * وحلول نقمته ممن يعارضه * ويعاكسه فيما يرسم ويناقضه * أنه لما توجه
بالجنود * الى بلاد الهنود * بلغ الى قلعة شاهقه * أقراط الدرارى بآذان مراميها عالقه *
ورجوم النجوم الخارقة تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقه * كان بهرام فى مهواه أحد
سواطيرها * وكيوان فى مسراه خادم نواطيرها * والشمس فى استوائها غرة جبينها *
وقطرات السحاب فى الانسكاب تترشح من قعر معينها * وشقة الشفق الحمراء على آذان
مراميها وأنوف أبدانها سرادق * وكريات نجوم القبة الخضراء لعيون مكاحلها وأفواه
مدافعها طابات وبنادق * فيها من الهنود طائفه * ثابتة الجنان غير خائفه * جهزت
أهلها وما تخاف عليه الى الاماكن المحرزه * وتثبتت هى فى تلك القلعة حافظة لما تحرزه
مع أنها شرذمة قليله * وطائفة ذليله * لا خير عندهم ولا مير * ولا فائدة سوى الضرر
والضير * ولا للقتال عليها سبيل * ولا حوالها الا دميث ولا مقيل * بل هى مطلة على
المقاتله * مستمسكة من المقاتله * فأبى أن يجاوزها * دون أن يناجزها بالحصار
ويناجزها * واللبيب العاقل * ما يترك خصمه وراءه معاقل * فجعلت المقاتلة تناوشها
من بعيد * ونصب كل من أهلها عليهم من أسباب المنايا ما يريد كما يريد * فكان كل يوم
يقتل من عسكره ما لا يحصى * والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا * وهو يأبى الرحيل عنها *
الا أن يصل الى غرضه منها * ففى بعض أيام المحاصرة مطروا * وبواسطة المطر انحسروا *
وصار يحثهم على القتال * وركب لينظر ماذا يصنعون فى تلك الحال * فلم يرتض أفعالهم
لما عكست أوجالهم أحوالهم * فدعا منهم رؤس الامراء * وزعماء العسكر والكبراء
وأخذ يزرق أديم عمهم بشفار شتمه * ويشقق ستر حرمتهم بمخاليب لعنه وذمه * ونفخ
الشيطان فى خيشومه * فألهب فيهم نيران غضبه وشومه * وقال يا لئام * وأكلة الحرام *
تتقلبون فى نعماى * وتتوانون عن أعداى * جعل الله نعمتى عليكم وبالا * وألبسكم
بكفرانها خيبة ونكالا * يا فاجرى الذمم * وكافرى النعم * وساقطى الهمم * ومستوجبى النقم
ألم تطؤا أعناق الملوك بأقدام أقدامى * وتطيروا الى آفاق الدنيا بأجنحة احسانى واكرامى
وتفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتى * وتسرحوا فى متنزهات الاقاليم سوائم تحكمكم

بترعية دواتى * بى ملكتم مشارق الارض ومغاربها * وأذبتم جامدها وأجمدتم ذائبها *

شعر

ألم الك نارا يصطليها عدوكم * وحرزا لما ألجأتم من روابيا
وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشماليا

ولازال يهمهم ويغمغم * ويهذرم ويبرطم * وهم مطرقون لا يحيرون جوابا * ولا يملكون منه خطابا * ثم ازداد حنقا * وكاد أن يموت خنقا * فاخترط السيف بيده اليسرى * وهم به على قمم أولئك الاسرى * وهم أن يجعل رقابهم قرابه * ويسقى دماءهم فرنده وذبابه * وهم على تلك الحال * فى الخزى والاذلال * باذلو نفوسهم * ناكسو رؤسهم * ثم تراجع وتماسك * وملك نفسه قليلا وتمالك * فأغمد عن تشريقهم حسامه * ولم يلق لامره قبلة ولا دبرة فغلف غربه وشامه * ثم نزل عن مركبه * واستدعى الشطرنج الكبير ليلعب به * وكان عنده شخص يدعى محمد قاوجين * وهو لديه ذو مكان مكين ومقام أمين * مقدم على كل الوزراء * ومبجل دون سائر الامراء * مسموع القول * مقبول الرأى ميمون النقيبة محبوب الشكل * فتشفعوا اليه * وعولوا فى حل هذا الاشكال عليه * وقالوا ساعدنا ولو بلفظه * وراقبنا ولو بلحظه * واعمل معنا بهذا المعنى * قلت

شعر

ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

وبما قيل

وأهون ما يعطى الصديق صديقه * من الهين الميسور أن يتكلما

وبما قيل

وان امرأ قد ضن عنى بمنطق * يسد به من خلتى لضنين

فأجابهم والتزم * ان يرده عما نزم به وأزم * وراقب مجال المقال * وراعى فرص المجال * وأخذت أفكار تيمور * تفور فى أمور القلعة وتغور * وجعل يستضوى أضواءهم * ويستورى آراءهم * ولا يسع كلا منهم الا القبول * لما يستصوبه رأيه ويقول * ففى بعض الاحايين اتفق أن قال محمد قاوجين * وقد نزل به القضاء وأحاطت به نوازل البلاء * أطال الله بقاء مولانا الامير * وفتح بمفاتيح آرائه وراياته حصن كل أمر عسير * هب انا فتحنا هذه القلعه بعد ان أصيب منا جانب من أهل النجدة والمنعه * هل يفي هذا بذا * ويوازن هذا النفع

بهذا

بهذا الاذى * فما احتفل بخطابه * ولا اشتغل بجوابه * بل استدعى شخصا من المرقداريه * فظا قبيح المنظر ذا حالة زريه * يدعى هرامالك * ذا عرق سهك * ووجه بالسواد سدك * أوسخ من في المطبخ * وأسنخ من في المسلخ * لعاب الكلب طهور عند عرقه * وعصارة القير حليب بالنسبة الى مرقه * فحين ماحضر لديه * ووقع نظره عليه * أمر بثياب محمد قاوجين فنزعت * وبخلقان هرامالك خلعت * ثم ألبس كلا ثياب صاحبه * وشدّ وسطه بحياصته * ودعا داوين محمد ومباشريه * وضابطي ناطقه وصامته وكاتبيه * ثم نظر ماله من ناطق وصامت * وذائب وجامد * وملك وعقار * وأهل وديار * وحشم وخدم * من عرب وعجم * وأوقاف وأقطاع * وبساتين وضياع * ومماليك وأتباع * وخيل وجمال * وأحمال وأثقال * حتى زوجاته وسراريه * وعبيده وجواريه * فأنعم بذلك على ذلك الوسخ * وأمسى نهار وجود محمد قاوجين وهو من ليل تلك النعمة منسلخ * ثم قال تيمور أقسم بالله وآياته * وكلماته وصفاته * وأرضه وسمواته * وكل نبي ومعجزاته * وولي وكراماته * وبراس نفسه وذاته * لئن آكل محمد قاوجين أحد أو شاربه أو ماشاه * أو صادقه أو صافاه * أو آوى اليه أو آواه * أو راجعني في أمره * أو شفع عندي فيه أو اشتغل بعذره * لاجعلنه مثله * ولاصيرنه مثله * ثم طرده وأخرجه * وقد سلبه نعمته وأحرجه * فصار مسلوب النعم * قد حلت به نوائب النقم * وسحبوه بالحلق * ورأى نعمته على أقل الخلق * واتصل غيره بالحلق وقطع منه الحلق * ففلقت حبة قلبه أي فلق * واستمر على ذلك في عيش مرّ وعمر حالك * وحاشا أن تشبه قصته قضية كعب بن مالك * فكان يستحلي مرارة الموت * ويستبطئ اشارة الفوت * وكل لحظة من هذا الحيف * أشدّ عليه من ألف ضربة بالسيف فلما مات تيمور أحياه * وردّ عليه خليل سلطان ما سلبه جدّه اياه *

❋ (فصـــل) ❋ وكان من أبهته وعظمته * وشدّة شكيمته وعتوه وحرمته * أنّ ملوك الاطراف * وسلاطين الاكاف * مع استقلالهم بالخطبه * واستبدادهم بالسكه * وانفرادهم بالزعامة والرياسه * وقيامهم بأمور الايالة والسياسه * كالشيخ ابراهيم ملك ممالك شروان * وخواجا علي بن المؤيد الطوسي سلطان ولايات خراسان * واسفنديار الرومي وابن قرمان * ويعقوب بن علي شاه حاكم كرمان * وحاكم منشا وطهرتن امير أرزنجان * وسلاطين فارس وأذربيجان * وملوك الدشت والخطا وتركستان * ومرازبة بلخشان * ومراجيح مازندران * وعلى الجملة فالمطيعون من ملوك ايران وتوران كانوا اذا

قدموا عليه * وتقدّموا بالهدايا والتقادم اليه * يجلسون على أعتاب العبودية والخدمه * نحوا من مدّ البصر من سرادقاته قائمين بشرائط الادب والحرمه * فاذا أراد منهم واحدا * أرسل اليه من الفرّاشين أو نحوهم قاصدا * فيهيب ذلك القاصد وهو يعدو كالبريد * وينادى ذلك الواحد باسمه يا فلان من مكان بعيد * فينهض فى الحال من مجثاه * مجيبا بلبيك لبيك دعواه * ويعدو نحوه متعثرا فى أذياله * متلقيا ما برزت به مراسمه بقبوله واقباله * مطرقا رأس التذلل والخضوع * مصغيا باذان الخنوع والخشوع * مفتخرا على أضرابه * لكونه أهله ودعاه واعتنى به * وقيل كان أناس من جماعته يلعبون بالنرد فافترقوا فرقتين * واختلفوا فى نقش الكعبتين * فقال أحد اللاعبين ورأس الامير تيمور كذا وكذا كان نقش الكعبتين * فرفع يده خصمه ولطمه * وسبه ولعنه وشتمه * كانه ذبح يحيى أو زكريا نشر * أو كفر بمحمد أو قدم موسى على أبى البشر * وقال يا ابن الفاعله * والغاسل ابن الغاسله * بلغ من انتهاكك الحرم * أن تذكر الامير تيمور بفم * وأنى لك أن تجعل خدك موطئ مداسه * فضلا أن تحلف براسه * انه لاجل من أن يتفوه مثلى ومثلك باسمه * أو يتلفظ بشئ من حدوده ورسمه * وانه لاعظم من كيخسرو وكيكاؤس وكيقباد * الذين ملكوا المشارق والمغارب وأفخم من بخت نصر وشدّاد * وقيل انه قصد فى بعض الاوقات الاصطياد * وأرسل ميمنة وميسرة على العادة طوائف الجيش والاجناد * ورسم أن يخرج مشاة تلك الرقاع * ورجالة هاتيك القرى والبقاع * فيتبدّدوا فى الوهد واليفاع * وحين تلتئم على الوحوش حلقة الكيد * ويصح أن يتنازع فعلا رمى وأصمى كلا من عمرو وزيد * لا يشير أحد بضربة ولا طعنة ولا رمية الى صيد * بيد أنهم يردّون أوابد تلك البيداء الى بهرة ذلك البيد * فامتثل كل ما به أمر * وحين صار كالبنيان المرصوص صف تلك الاحزاب والزمر * وأحاطت صافات تلك الكواسر بالوحوش احاطة النجوم بالقمر * ماجت بحار الوحوش فى ذلك البر * ولم تجد لها من درور تلك السيول الغامرة من مخرج ولا معبر * فدارت ومارت * وخارت وحارت * وثارت وبارت * واستجارت بعد ما جارت * واستكانت بعد ما زأرت * وانطوت أرضها التى طالما عليها انتشرت * وطرزت خلع أعلامها بأعلام واذا الوحوش حشرت * فبينما هى على تلك الحال * فى أشدّ ما يكون من الاهوال * أمر بأن تضرب الطبول من كل الجهات * وينفخ فى صور المزامير والبوقات * فدق الكوس وزعق النفير * وامتلات الدنيا من الشهيق والزفير * ورجت الارض رجا * ومارت

الاقطار هرجا ومرجا * وحين سمعت السباع صوت الطبول * ورأت الوحوش هذا الامر المهول * سقطت قواها * وتقطعت كلاها * وجثت وما انبعثت ثم تقاربت وتلاءمت * وتقارنت وتضامت * وتصورت أن القيامة قد قامت * فأخذ بعضها بعنق بعض ونامت * فعانق الثور منها اللبوه * وضاجع الاسد فيها الظبيه * واختفى السرحان * بين الغزلان * واستجار الثعلب * ببنات الارنب * ولاذ بالاروى النعام والارنب بالعقاب * وعاذ الضب بالنون واليربوع بالغراب * فعند ذلك أمر الاطفال من أولاده * وأولاد الامراء وأحفاده * أن يرموا ويصموا ويفنوا * مهما أرادوا ولا يطنوا * وجعل ينظر اليهم * ويتفرج عليهم * ويزهزه لافعالهم * ويقهقه على أحوالهم * ويجرأهم على الاقدام والنضال * ويشجعهم بذلك على صيد الابطال * وجعلت حواشي الجيش تجزع على ما أصموا * وتجهز على ما أغنوا * وصار ذلك المفسد * يترنم وينشد شعر

صيد الملوك أرانب وثعالب * فاذا ركبت فصيدي الابطال

* (فصل) * وكان يحمل اليه البلخش من بلخشان * والفيروزج من نيسابور وكازرون ومعادن خراسان * والياقوت من الهند * والماس منها ومن السند * واللؤلؤ من هرمز والقطيف والحسا * واليشم والمسك وغيره من الخطا * ومن سائر الاقطار * خالص الفضة ومصفى النضار *

* (فصل) * وأنشأ في سمرقند بساتين عديده * وقصورا شوامخ مشيده * كل له ترتيب غريب * ووضع أنيق عجيب * أحكم أساسها * وطعم بأفخر الفواكه غراسها * سمى أحدها بستان ارم والاخر زينة الدنيا * والآخر جنة الفردوس والآخر بستان الشمال والآخر الجنة العليا * ثم انه هدم مصرا * وبنى في كل بستان منها قصرا * وصور في بعض هذه القصور مجالسه * وأشكال صورته تارة ضاحكة وأخرى عابسه * وهيآت مواقعاته وصور محاضراته * ومجالس صحبته مع الملوك والامراء * والسادات والعلماء والكبراء ومثول السلاطين بين يديه * ووفودها بالخدمات من سائر الاقطار اليه * وحلق مصائده * وكمائن مكائده * ووقايع الهند والدشت والعجم * وصورة انتصاره وكيف انكسر عدوه وانهزم * وصورة أولاده وأحفاده * وأمرائه وأجناده * ومجالس عشرته * وكاسات خمرته * وسقاة كاسه * ومطربي ايناسه * وتغزلات مقاماته * ومقامات تغزلاته * وحظايا حضرته وخواتين عصمته * الى غير ذلك مما وقع له من صورة حادثة في الممالك * مدى عمره المتقارب

[illegible]

البخاري رحمه الله تعالى (دواوينه) الخواجا محمود بن الشهاب الشهروي ومسعود السمناني ومحمد الشاغرجي وتاج الدين السلماني وعلاء الدولة وأحمد الطوسي وغيرهم (منشئ ديوانه) وهو عبارة عن كاتب السر مولانا شمس الدين قاضي زمانه وفاضل ابانه فارسيا وعربيا يصرف أخبار الانشاء كيف شاء كان قلمه في فتح أقاليمه * أنفذ من سنان مخدومه * ولما مات تيمور احتجب * وطوى بساط الادب * فقيل له ضحكت البشرة ألا تباشر * وصفت العشرة فهلا تعاشر * فقال ذهب الذي كان يعرف قيمتي * فأنا لا أذهب في خدمة الاحداث حرمتي * (امامه) عبد الجبار بن النعمان المعتزلي * (صدور مملكته) مولانا قطب الدين والخواجا عبد الملك وابن عمه الخواجا عبد الاول وغيرهم * (قاري قصصه وتواريخه) مولانا عبيد * (أطباؤه) فضل الله وجمال الدين رئيس الطب بالشام كان وغيرهما وكان دائما يستعمل معاجين الاحجار * وفي سنه ذلك يجتني باكورة الابكار * (منجموه) لا يحضرني أسماؤهم *

(فصـــــــل) حصل في أيام استيلائه بسمرقند من الفقهاء مولانا عبد الملك وهو من أولاد صاحب الهداية كان يلقي الدرس ويعلم الشطرنج والنرد وينظم الشعر في حالة واحدة ونعمان الدين الخوارزمي أبو عبد الجبار المذكور كان يقال له النعمان الثاني وكان أعمى والخواجا عبد الاوّل ابن عم مولانا عبد الملك انتهت اليه الرياسة في ماوراء النهر بعد ابن عمه ومولانا عصام الدين بن عبد الملك انتهت اليه الرياسة في يومنا هذا بعد ابن عمه عبد الاوّل ومن المحققين مولانا سعد الدين التفتازاني توفي في محرّم الحرام سنة احدا وتسعين وسبعمائة بسمرقند والسيد الشريف محمد الجرجاني توفي بشيراز * ومن المحدّثين الشيخ شمس الدين محمد ابن الجوزي كان أخذه من الروم وكان قد هرب اليها من مصر بعد توجهه من بلاد الشام قبل الفتنة توفي بشيراز والخوجا الكبير المفسر الحافظ المحدّث محمد الزاهد البخاري فسر القرآن الكريم في مائة مجلد توفي بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم سنة اثنين وعشرين وثمانمائه * ومن القرّاء هما ومولانا فخر الدين ومن حفاظ القرآن المجودين قراءة وصوتا عبد اللطيف الدامغاني ومولانا أسد الدين الشريف الحافظ الحسيني ومحمود المحرق الخوارزمي وجمال الدين أحمد الخوارزمي وعبد القادر المراغي الاستاذ في علم الادوار * ومن الوعاظ والمتكلمين مولانا أحمد بن شمس الائمة السراي كان يقال له ملك الكلام عربيا وفارسيا وتركيا وكان أعجوبة الزمان ومولانا أحمد الترمذي ومولانا منصور القاغاني * ومن الكتاب المجودين

السيد الخطاط ابن بندكير وعبد القادر المذكور وتاج الدين السلمانى وغيرهم * ومن المنجمين أناس برعوا الأعرف من أسمائهم غير مولانا أحمد الطبيب النحاس المستخرج قال لى استخرجت من زايجة الطالع الى مأتى سنه وكان هذا الكلام فى سنة ثمان وثمانمائه * ومن الصواغين الحاج على الشيرازى والحاج محمد الحافظ الشيرازى وغيرهما * ومن الحكاكين طايفة جمة وأمثلهم التون وكان آية فى فنه ينقش الفصوص ويحفر اليشم والعقيق بخط أحسن من ياقوت * ومن الشطرنجيين محمد بن عقيل الخيمى وزين اليزدى وغيرهما وعلامة ذلك علاء الدين التبريزى الفقيه المحدث كان يحط لزين اليزدى بيذقا ويغلبه ولابن عقيل فرسا ويركبه ولقد دوخ تيمور الاقاليم شرقا وغربا * وقرفى دست مصافاته كل سلطان وكل شاه مات عنده جدا أو لعبا * وكان يقول له أنت فى ملك الشطرنج فريد * كما أنى فى سياسة الملك وحيد * وكل منى ومن مولانا على شيخ فى فنه ذو كرامات لم يوجد له نديد وله فى لعب الشطرنج وعلم مناصيبه شرح * وما كان أحد يقول انه ينتج ولاد فكره فى لعبه معه من غير طرح * وكان فقيها شافعيا * محدثا أريحيا * حسن البهجه * صادق اللهجه * حكى لى أنه رأى أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه فى المنام * وأنه ناوله الشطرنج فى كيس فلم يغلبه أحد بعد ذلك من الانام * ومن أوصافه فى لعبه أنه كان لا يتفكر * ويجرد ما يلعب خصمه بعد التفكر والتأمل الطويل ينقل من غير أن يتدبر * وكان يلعب على الغائب مع خصمين * ويعلم مع الطرح لمن هو فى جهته على الجهتين * وكان يلعب هو والامير * بالشطرنج الكبير * ورأيت عنده شطرنجا مدورا وشطرنجا طويلا والشطرنج الكبير فيه من الزوائد ما مر ذكره * وهذه صورته التى فى الصفحة اليسرى فافهم

وطريقة تعلمه بالفعل أقوى * وليس فى شرحه بالقول كثير جدوى * ومن المطربين عبد القادر المراغى المذكور وولده صفى الدين وختنه نصرين وقطب الموصلى وارد شير الجنكى وغيرهم * ومن النقاشين كثير وأعلاهم عبد الحى البغدادى وكان ماهرا فى فنه * ومن التجريه شهاب الدين أحمد الزردكاشى * ومن نقاشى الزجاج والنحاس وغيرهم ما لا يحصى وهؤلاء كل منهم كان علامة دهره وأعجوبة عصره * ولو رصعت حلى الالفاظ بجواهر أوصاف هؤلاء الاعيان * لملأت الاكوان من فرائد الجمان وقلائد العقيان * وهؤلاء من حضرنى ذكره ممن أعرفه وأما من لا أعرفه أو أعرفه ولا يحضرنى ذكره فأكثر من أن يحصى

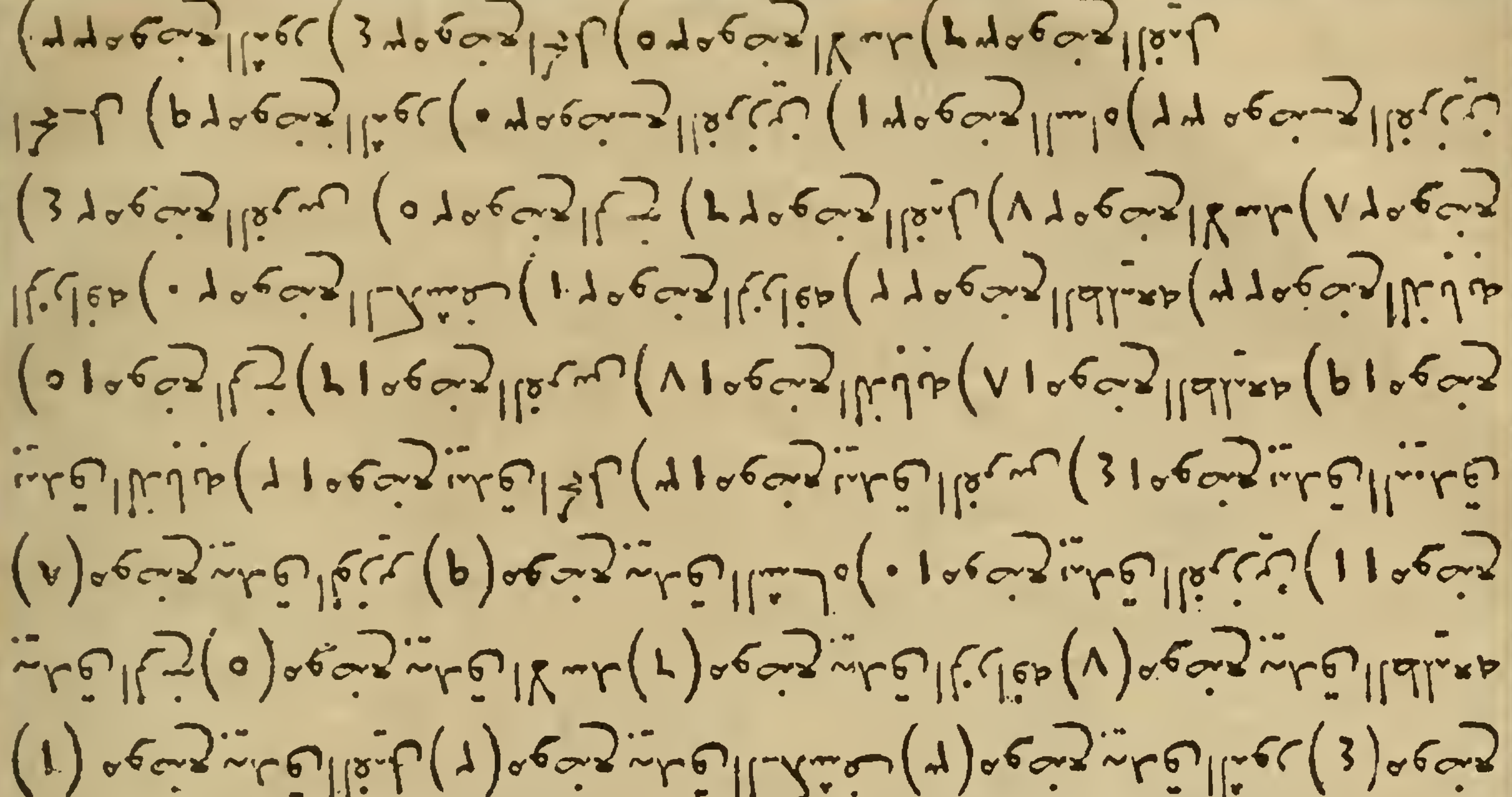

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
		[illegible]			[illegible]			[illegible]		
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢
٢٣		٢٤		٢٥	٢٦	٢٧		٢٨		٢٩

(١) موضع بيدق الرخ (٢) موضع بيدق الفرس (٣) موضع بيدق الذبابه (٤) موضع
بيدق الطليعه (٥) موضع بيدق الزرافه (٦) موضع بيدق الشاه (٧) موضع بيدق الفيل
(٨) موضع بيدق الجمل (٩) موضع بيدق الوزير (١٠ موضع بيدق الفرزين (١١ موضع
بيدق البيدق (١٢ موضع الرخ (١٣ موضع الفرس (١٤ موضع الزبابه (١٥ موضع الطليعه
(١٦ موضع الزرافه (١٧ موضع بيدق الشاه (١٨ موضع الزرافه (١٩ موضع الطليعه (٢٠
موضع الذبابه (٢١ موضع الفرس (٢٢ موضع الرخ (٢٣ موضع الفيل (٢٤ موضع الجمل
(٢٥ موضع الوزير (٢٦ موضع الشاه (٢٧ موضع الفرزين ٢٨ موضع الجمل ٢٩ موضع الفيل

وأغزر من أن يستقصى * وحاصل الامر أن تيمور كان جنى كل جى * وجبى الى سمرقند
ثمرات كل شى * فكان بها من أهل كل فن عجيب * وأسلوب من الصنائع غريب *
من هو على جبين الفضل شامه * وبرّز على أقرانه فصار فى فنه علامه *
❋(فصـــل)❋ وكان فى سمرقند انسان * يسمى بالشيخ العريان * فقير أدهمى * بشكل
بهى وعزم سمى * قيل ان عمره على ما هو فيهم شائع * وبين أكابرهم وأصاغرهم ذائع *
ثلاث مائة وخمسين سنه مع أن قامته مستويه وهيئته حسنه * كان المشايخ الهرمون *
والاكابر المعمرون * يقولون لقد كنا ونحن أطفال * نرى هذا الرجل على هذا الحال * وكذلك
نروى عن آبائنا الاكرمين * ومشايخنا الاقدمين * ناقلين ذلك كذلك عن آبائهم * والمعمرين
من كبرائهم * وكان أطلس وله قوّة ناهضة وحدّه * من رآه يتصور أنه لم يبلغ أشدّه *
لم يكن للكبر * بوجهه تجعيد ولا أثر * وكان الامراء والكبراء * والاعيان والصلحاء *
والفضلاء والرؤساء * يترددون الى زاويته * ويتبركون بطلعته ويلتمسون بركة دعوته *
وفى سمرقند مسجد يسمى مسجد الرباط * يهب لمن يدخله الانشراح والانبساط * والروح
والنشاط * وقيل ان أحد فعلته كان وليا * يسمى الشيخ زكريا * هو معتقد تلك البلاد *
ومزاره فى مكان مشهور على طود من الاطواد * وقبره يستجاب عنده الدعا * وهو عن
سمرقند نحو يوم فى المدى * وهو بالكرامات موصوف * وفى كرخ هذه المقامات معروف *
وهو فى ربوة ذات قرار * فيها جنات تجرى من تحتها الانهار * محفوف باليمن والانس *
كأنه اقتطع من حظيرة القدس * يحكى انه لما كان * فاعلا فى ذلك البنيان *
وقع فى جبهته نقطة من الطين * فرأى ذلك أحد المباشرين * واستمر ذلك الطين
على هذه الحال * نحوا من ثلاث ليال * فلما أرادوا وضع المحراب * وقع الاختلاف
فى الخطأ والصواب * وكثر فى ذلك الصخب والاضطراب * فقال الشيخ زكرياء ضعوا
المحراب على هذه الفقره * ولا تعدلوا عنها يمنة ولا يسره * فقال ذلك المباشر * لمن فى ذلك
المكان حاضر * يا للعجيبه * والقضية الغريبه * رجل لم يغسل وجهه ثلاثة أيام * يرشد
الناس الى معالم الاسلام * فقال ذلك العابد الزاهد * أو رجل هو من لم يتم ثلاثة أيام بوضوء
واحد * ولكن تعال أيها الجاحد قف مكانك * وثبت جنانك * ولا تكن ممن أنكر
وتولى * وانظر الى عروس الكعبه كيف تجلى فنظر ذلك الذى أنكر * فاذا الكعبة
أمامه تتبختر * ثم التفتوا الى الشيخ ففقدوه * وطلبوه أرضا وسماء فلم يجدوه * وهذا

المسجد

المسجد فيه شئ عجب * عدة أسطوانات من خشب * من جملتها سارية شمخت ارتفاعا * نحوا من خمسة عشر ذراعا * وغلظ جسمها وبدنها * فلا يقدر الرجل على ان يحتضنها * وباقى السوارى بها قد حطن * قيل انها شجرة قطن * ولها خاصية عجيبه * طريقة غريبه * من كان به وجع الضرس * يضع عليه مقدار حبة من خشب ذلك البرس * فانه ينفعه * ويسكن فى الحال وجعه * جربته فصح ويسأل من يدعى رؤية سمرقند عما رأى فيها من العجائب * وشاهده من علامات الطرف والغرائب * فان أخبر برؤية هذه السارية الفائقه * كانت رؤياه صادقه * واعتدّ له بصدق الكلام والا كانت رؤيته أضغاث أحلام *

(فصـــل) سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع يصان * ولا يجرى على جنس المكيلات فيها بالكيل حسبان * وانما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان * ورطل سمرقند أربعون أوقيه * كل أوقية بالمثاقيل مائة * فيكون رطلهم أربعة آلاف مثقال * كل مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا اخلال * فعلى هذا رطلهم بالدمشقى عشرة أرطال * حكى لى مولانا محمود الحافظ المحرّق الخوارزمى ولقب بالمحرّق لان سهام ترجيعاته كانت تصيب حبات حشاشات اذ ترمى * وتفوق رنات أوتارها نحو آذان القلوب فتصمى طائرها ولا تنمى * فان صدعت من القلوب حجرا * تطاير من اقتداحها فى الارواح شرار * فيحرق برناته الارواح * ويشعل بنغماته الاشباح * قال استصحبنى تيمور فى بعض أسفاره * فكنت ملازم خدمته فى ليله ونهاره * فنزلت عساكره على حصن لحصاره * وضرب خيمته على مكان عال ليشرف منه على القتال * ويتفرج فى صنع الرجال * ففى بعض الزمان * حضرت عنده أنا ورجلان * وكان قد حصل له حمى * أورثته كربا وغما * وكانت سماء النزال ذات حبك واحتباك * ورماح القتال فى التواء واشتباك * فاراد ان يطالع أحوالهم * ويشاهد أفعالهم * وأفرطت شهوته الى العمه * فقال أحملونى الى باب الخيمه * فدخل ذلك الرجلان تحت ابطيه * وأوقفاه بباب الخيمة وأنا بين يديه * فجعل يشاهد حربهم * ويميز طعنهم وضربهم * ثم أراد أن يأمرهم بشئ فقال لى يا محمود الى فأسرعت الى يده * ودخلت تحت عضده * فأرسل أحد الرجلين الى عسكره * يأمرهم بما عنّ من بجره وبجره * فكانه لم يبر عليلا * ولم يروغليلا فقال لنا دعانى * وعلى الارض ضعانى * فوضعناه فسقط كانه رمّة باليه * أو جثة على باريه * ثم أرسل ذلك الرجل الآخر اليهم * وأمرهم بما

اقتضته آراؤه وأكد عليهم * فبقيت أنا وهو وحدنا * لم يبق أحد عندنا * فقال لي يا مولانا محمود انظر الى ضعف بنيتي * وقلة حيلتي * لا يد لي تقبض * ولا رجل تركض * ولو رماني الناس هلكت * ولو تركوني وحالي ارتبكت * لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا * ولا أجلب خيرا ولا أدفع شرا * ثم تأمل كيف سخر الله تعالى لي العباد * ويسر لي فتح مغلقات البلاد وملأ برعبي الخافقين * وأطار هيبتي في المغربين والمشرقين * وأذل لي الملوك والجبابره * وأهان بين يدي الاكاسرة والقياصره * وهل هذه الافعال الا أفعاله * وهذه الاعمال الا أعماله * ومن هو أنا غير سطيح ذي فاقه * لا باب لي في الدخول الى هذه الافعال ولا طاقه * ثم بكى وأبكاني * حتى ملأت بالدموع أرداني * فانظر الى هذا الوبر * كيف ملك بهذا القول مسالك القائلين بالجبر * وأنشدوا فيه بالفارسي بيتين وهما

شعر

نيم تني ملك جهانرا كرفت * چشم كشا قدرت يزدان ببين
پاى نه وتخت بزير قدم * دست نه وملك بزير نكين

(ترجمته فقلت دوبيت)

قد أظهر قدرة بخافي حكمه * من ملك شقا الدنا جافي قدمه
لا كف له والملك في خاتمه * لا رجل له والتخت موطي قدمه

(فصل) وأما عساكره وطرائق سلوكهم * فانهم على دين ملوكهم * كانوا استدرجوا من حيث لا يعلمون * ورزقوا من حيث لا يحتسبون * مسخرا لهم خفيات الدفائن مفتوحا عليهم خبيات الخزائن * ميسرا لهم مكامن المطالب والمعادن * كل طرف منهم قد جال وسطا * وصار بطرق اللوم أهدى من القطا * قد دبروا الامور * وجربوا أحوال الدهور * وقاسوا معاصر العصور * وكابدوا المكائد * وعالجوا الشدائد * ومارسوا الاشيا * وذاقوا الناس والدنيا * وعرفوا مداخل كل مارق ومخارجه * وأدركوا مداركه ومعارجه * لا يدهيهم داهيه * ولا يطغيهم طاغيه * ربما يعبرون بقفراء * ويجيزون بهمه صحراء *

شعر

لا يفزع الارنب أهوالها * ولا ترى الضب بها ينجحر

فيقف بعضهم ثم تراه * ينظر الى أرض ذلك المكان وثراه * ثم يقول ليس هذا الثرى * من هذا الثرى * ثم ينزل عن دابته ويأخذ من ذلك التراب ويشمه * ثم يلتفت الى جهاته الاربع

فيقصدمنها جانبا ويؤمّه * ثم لا يزال يسير بمن معه من الاعوان * حتى يصلوا الى مكان *
فيحفرون ويخرجون كمين الدفائن * وما فى ذلك المكان من المغلات والخزائن * وكذلك
اذا وصلوا الى عمائر * أو مر وا على مقابر * يتوجهون الى الخبء كأنهم وضعوه بأيديهم *
وأوحت شياطينهم ذلك اليهم * ور بما يجيئون الى مقام * مرّ على ساكنه فيه أيام * ومضى
عليه فيه شهور وأعوام * وفيه شئ مطمور * لم يكن لصاحبه وساكنه به شعور * فبمجرد
دخولهم اليه * يفتح ذلك عليهم ويطلعون عليه * وحين يطلع ساكنه على ذلك يأكل ندامة
وحسرة يديه * وكان لهم داريات فى دهرهم عجيبه * وسهام آراء فى عمرهم مصيبه * وكانوا
يحملون البقر ويركبونها ويسرجون الحمر ويلجمونها * ويسابقون على ذلك أصحاب الخيل
العراب الى قصبات المغانم فيسبقونها * ويطعمون الجمل * لحم الكلب والحمل * ويعتاضون
عن شعير الفرس * بالقمح والارز والدخن والزبيب والعدس * وربما أعوزهم ذلك فى السفر *
فاطعموا دوابهم لحاء الشجر * حكى القاضى برهان الدين ابراهيم بن القوشة الحنفى
المذكور رحمه الله تعالى أنّ قازان والتتار * لما قدموا هذه الديار * خرج من له قوة
الفرار فارا من الشرور * كما فعلوا فى قضية تيمور * ومن جملتها تاجر بالصالحيه * كان فى عيشة
رخيه * وله أموال وافرة وفيه * جمع ماله من صامت المال * ووضعه فى قدرة فوال *
ثم عمد الى بركة ماء فحفرها * ووضع تلك القدرة تحتها وطمرها * ثم ردّها الى مبانيها * وأعاد
مياهها الى مجاريها * وحين استتب الوثوب * وقدّمت الدواب للركوب * قالت له امرأته
قد نسينا قرطين * وأخاف أن يحدث عليهما فى الطريق شين * فانظر لهما مكانا *
وحصل لنا بذلك أمانا * فقال أما الآن * فلا مكان * ثم أخذهما ووضعهما فى سقف سقيفه *
على خشبة لطيفه * ثم ركبا * وترك الديار وذهبا * فلما حل بدمشق التتار * نزل
منهم فرقة فى تلك الدار * فجعلوا يأكلون ويشربون * وهم فى خوضهم يلعبون * فبيناهم
بعض الايام فى النشاط * قرض الفار احد تلك الاقراط * فتدحرجت لؤلؤة وسقطت على
البلاط * فتبادرت الجماعة اليها جاريه * كأنهم يتسابقون الى قرطى ماريه * فسبقت
الجماعه * ودخلت البلاعه * فكشفوا عن وجه الارض سطرخدرها * فوجدوا
الاموال كما هى فى قدرها * فأخذوها واللؤلؤة وأخرجوها * وقصدوا باقى القرطين
واقتسموها * وجماعة تيمور أيضا كذا كانت * وكل معضلة من القضايا اذا وصلت اليهم
هانت * وكل منهم كان على دين ملكه وفى فنه الى غايته عرج * فان كنت محدثا عن

أحوالهم وأخبارهم فحدّث عن البحر ولا حرج *
(فصـــــل) يحكى أنّ واحدا منهم من أهل الذكاء والكيد * أراد فى فصل الشتاء التنزه فقصد الصيد * فأخرج مركوبه وهو بقره * فشدّ عليها سرجه وهو خشبة مكسره * غرزه قضيب مدوّر * وحزامه حبل مبتر * وتجمل بلباسه وهو جلد فروة منهوش * وبتاجه وهو طرطور من لبد منفوش * وشدّ كانته وهى جلود ممزقه * مشدودة بحبل وعليها خروق ملزقه * سهامها اقداالتوت * وحنيتها قداستوت * ومعه بازى قد نتف القرناص ريشه * وقلع من حقل بدنه زرع خوافيه وحشيشه * ثم ركب جواده * وحمل بازيه وقصد اصطياده * فرأى جماعة من البط * على ساحل غدير حط * فرفع يده بالبازى ساعه * حتى عاين تلك الجماعه * ثم وضع يده بخفض * وأرسل البازى على الارض * فصار يحجل رويدا * قد أضمر للبط كيدا * اذ لم يكن له قوة الطيران * ولا جناح عليه به يستعان * فوصل الى الطير بسلون * وهى آمن ما يكون * لانها لا تتوقع البلاء * الا من جهة السماء * فدخل بينها فما نفرت منه * ولا هربت عنه * فلم تشعر الا وقد وثب على واحدة وفلذها * فأدركه صاحبه وأخذها * ولما رحلوا عن دمشق * وقد مشقوا أوراق نعمها من أغصان وجودها اى مشق * وكان مع بعضهم بقرة نهبها * وحملها ما أخذه من الاموال التى سلبها * وأركبها أسيره * وسار بها مدّة يسيره * فبعد سيرها يومين أو ثلاثة قلقت * ونادت بلسان حالها أنا ما لهذا خلقت * فلما لم تجد ملجأ مما شكت * توكلت على الله وبركت * فأنزلوا الراكبة عنها وصاحوا عليها فلم تقم فحلوا أحمالها وضربوها فلم تتحرك فأوجعوها ضربا * وأشبعوها العنا وسبا * وتلك المباركة باركة فأدموها وهم يضربونها * الى أن كادوا يهلكونها * فمن شاحط بمقدمها * ومن جاذب بمؤخرها * ومن متعلق بقرنها * ومن متشبث باذنها * وهى جاثمة مشبهه * فيل أبرهه * فعجزوا عنها وأيسوا منها * فبينما هم على ذلك * وقد ضاقت عليهم المسالك * واذا هم بشيخ كوسج كانه شجرة عوسج * قد سلك المشارق والمغارب ومرّت به أنواع التجارب * وقاسى برد الامور وحرّها * وذاق حلوها ومرّها * وعرف خيرها وشرها * مرّ بهم * وهم فى كربهم * فلما رآهم أسارى عاجزين حيارى * سكارى وما هم بسكارى * قال تنحوا عنها أى جنه * ثم دنا منها دنو الراقى من ذى جنه * وأخذ كفا من تراب * أنعم من عيش الشباب * ثم قبض على قرنها * وصبه فى أذنها * ثم هز رأسها فى مناخها * حتى

وصل التراب الى صماخها * فوثبت قائمه * وهي من ذلك الرغام راغمه * وجعلت تنفض رأسها * وزادت اضطرابها وشماسها * وطلبت المسير * وكادت تطير * فاعادوا عليها أحمالها * وزادوا أثقالها * فصارت تلك البلها * تعدو ولا يقدر عليها

(فصــــــل) وكان في عسكره من الترك عبدة الاصنام * وعباد النار من المجوس الاعجام * وكهنة وسحره * وظلمة وكفره * فالمشركون يحملون أصنامهم * والكهان يسجعون كلامهم * ويأكلون الميتة والدم المسفوح * ولا يفرقون بين مخنوق ومذبوح * وناس حزاؤن * وزواجر خرّاصون * يتطرون في ألواح الضان * ويحكون بما يرون فيها على أحوال كل مكان * وما حدث في كل بقعه * من الاقاليم السبعه * من الامان والخوف * والعدل والحيف * والرخص والغلاء * والسقم والشفاء * وسائر ما يكون * فلا يكادون يخطئون * ولهم أيام * وشهور وأعوام * كل عام منسوب الى حيوان * يحسبون بها ما مضى من السنين فلا يتأتى فيها زيادة ولا نقصان * وفي الخطا لهم خط يسمى دلبرجين * رأيت حروفه احدا وأربعين * وسبب زيادته أنهم يعدون التفاخيم والامالات * حروفا وكذلك البين بينات * فتتولد الزوائد * وكل حرف زائد * وأما الجفتاي فلهم قلم يسمى أويغور * وهو بالقلم المغولي مشهور * وعدته أربعة عشر حرفا وسبب نقصانه وانحصاره في هذا العدد أن حروف الحلق يكتبونها على هيئة واحدة وكذلك تلفظهم بها ومثل هذا الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء والفاء ومثل الزاء والسين والصاد ومثل التاء والدال والطاء وبهذا الخط يكتبون تواقيعهم ومراسيمهم * ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومخاتيمهم * وتواريخهم وأشعارهم * وقصصهم وأخبارهم * وسجلاتهم وأسفارهم * وجميع ما يتعلق بالامور الدنيويه * والتورة الجنكيزخانيه * والماهر في هذا الخط لا يبور بينهم * لانه مفتاح الرزق عندهم

(فصــــــل) وكما كان فيهم من جبل على الفظاظه * والقسوة والغلاظه * ومن هو قليل الرحمة بل وعديم الاسلام * كفرة فجرة أوغاد أنذال طغام أغتام * قد اتخذوه من دون الله هاديا ونصيرا * واستكبروا به في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا * استحرّهم كفرهم وحبهم اياه * الى انه لو ادّعى النبوة والالهية لصدّقوه في دعواه * كل منهم يتقرب الى الله تعالى ببره * ينذر له اذا وقع في شدة ويفي بنذره * واستمرّ على اعتقاده الباطل وكفره * مدة حياته وبعد موته ينقل النذور ويقرب القربان الى قبره * وكان ترقي معه في

المصاحبه * حتى وصل الى مقام المراقبه * قيل انه كان فى السفر * فرأى واحدا من العسكر * كأن الكرى عطف رقبته * أو السرى أمال شقته * أو على حال لا يتوجه عليه فيها لوم ولا عتب * فضلا عن ان يترتب عليه ضرب أو سب * فقال تيمور تري ما ثم أحد قاطع يقطع رأس هذا الفاعل الصانع * ولم يزد على هذا الكلام * فسمعه واحد من أولئك الكفرة اللئام * اسمه دولة تيمور * وهو أمير كبير مشهور * قد ألبسه الله ثوب النقمه * ولم يشمه شيأ من روائح الرحمة * ففى الحال سل رأسه من بين كتفيه * وحمله الى تيمور ووضعه بين يديه * فقال تيمور ويلك ما هذا الامر الافظع * فقال هذا الرأس الذى أشرت أن يقطع * فأعجبته هذه العبارة * وابتهج بان أمره يمتثل بأدنى اشاره * وكان فيهم الظرفاء والادباء * والازكياء والشعراء * ومنهم فى الفضل أعلام وعلماء * وفيهم المحقق * والباحث فى العلوم والمدقق * ومن شارك فى كل العلوم * وبحث فيها بحثا شافيا من طريقى المنطوق والمفهوم * ويقرر مذهب الصوفية واحياء العلوم * ومع هذا فبعضهم يمشى على مقتضى ما علمه * وكان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمه * وبعضهم كان مع رقة الحاشيه * واللطافة الفاشيه * والعلم الوافى * والظرف الشافى * والجمال الفائق * والكمال الشائق والكلام الرائق * قلبه أقسى من الحجر * وفعله أنكى من ضرب الصارم الذكر * يقولون من قول خير البريه * ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه * واذا وقع مسلم فى مخاليبهم * أو ابتلى غريب بتعذيبهم * صنف ذلك العالم المحقق * والحبر المدقق * فى استخراج المال أنواع العذاب * وأصناف العقاب * واستحضر فى فنون تعذيبه كتبا ومسائل * وسرد فى علوم تتريبه خطبا ورسائل * فيصير ذلك المسكين يتشكوى * ويستغيث ويتلوى * ويستجير بالله وآياته * ويستشفع بكل ما فى أرضه وسمواته * من ملك ونبى * وصديق وولى * وذلك المليح يضحك ويتظارف * ويتمايل ويتلاطف * وينشد لطائف الاشعار * ويتمثل بطرائف النوادر والاخبار * وربما تحرق وبكى * وتأوه لما يفعل بذلك من التعذيب وانتكى * وصار كبعض قضاة الاسلام * المستولى على مال الايتام * يخطب ويبكى * وفعله فى قلوب المسلمين ينكى * ولما كانوا فى دمشق دخلوا الى بيت واحد من الاعيان بزقاق البجم * واذا هو مملوء من النفائس والخيرات والنعم شعر

قصر عليه تحية وسلام ❀ خلعت عليه جمالها الايام

فقبضوا

فقبضوا على صاحب ذلك المنزل وربطوه * وبانواع العذاب والعقاب عذبوه * ثم أحكموا رجليه شدّا وعلقوه * واستخرجوا النفائس * واستجلوا من حسانها العرائس * وأحضروا لذيذات المطاعم والمشارب * وقضوا من التفكه والتنعم مالهم من مآرب * وجعلوا يأكلون ويشربون * ويلهون ويطربون * واذا تحرك في واحد منهم الخبث * أوثمل وأخذه في سكره العبث * عمد الى ذلك المسكين وهو في شدّة النكاد * فسقاه الماء والملح وسففه الكاس والرماد * وكان فيهم عالم متقشف عن تناول المسكرات متعفف كما قيل

عجبت من شيخي ومن زهده ❋ وذكره النار وأهوالها
يكره أن يشرب في فضة ❋ ويسرق الفضة ان نالها

وكانوا اذا رأوا القدح المزعفر * أحضروا له السكر المكرر * ووضعوه له في صيني الخوافق * وصبوا عليه الماء الرائق * فيسكرون هم بالاقداح القوادح * ويسكر ذلك الفاسق المحروم من الروائح * ثم يتوجه الى صاحب المنزل * ويضحك عليه وهو في أشد ما يكون من العذاب ويسخر منه ويهزل * ثم يتمايل على صوت المثاني والمثالث * ويتناول من تلك المآكل والمشارب ويقول بشر مال البخيل بحارث أووارث * وكان في عسكره كثير من النساء * يلجن معامع الهيجاء ووقائع الباساء * ويقابلن الرجال * ويقاتلن أشدّ القتال * ويصنعن أبلغ ما يصنع الفحول من الرجال في النزال * من طعن بالرمح وضرب بالسيف ورشق بالنبال * واذا كانت احداهن حاملا وأخذها وهم سائرون الطلق * تنحت عن الطريق واعتزلت الخلائق * ونزلت عن دابتها ووضعت حملها * ولفته وركبت دابتها وأخذته ولحقت أهلها * وكان في عسكره ناس ولدوا في السفر * وبلغوا وتزوّجوا وجاءهم أولاد ولم يسكنوا الحضر * وكان في عسكره ناس صلحاء عباد * وورعون زهاد أجواد أمجاد * لهم في الخيرات أوراد * وفي وردها أصدار وايراد * دأبهم خلاص مأسور * أوجبر مكسور * أواطفاء حريق * أوانقاذ غريق * أواصطناع معروف * أواغاثة ملهوف * مهما أمكنهم * ووصلت اليه يدهم * اما بقوة وأيد * واما بنوع خديعة وكيد * واما باستيهاب واستشفاع * أوتعويض وابتياع * وكانوا سائرين معه بالاضطرار * ودائرين معه لهذه المعاني بالاختيار * حكى لي مولانا جمال الدين * أحمد الخوارزمي أحد القرّاء المشهورين المجودين * وكان امام محمد سلطان في حياته * وامام مدرسته بعد وفاته * ثم خطيب بروسه وبها أدركته المنيه * سنة احدى وثلاثين وثمانمائه * رحمه الله تعالى قال كنت في سمرقند في

مدرسة محمد سلطان * أعلم ممـاليكه وأولاد الامراء القرآن * فارسل اليه جـدّه الظلوم *
وهو متوجه الى بلاد الروم * ان يتوجـه اليـه * ويفد هو والامير سـيف الدين عليه *
فامتثـل مابه أمر * وأخـذ فى اعداد أهبـة السـفر * وقال لى هيئ مرافقك * واقطـع
علائقك * وخذ أهبة سفرك * واعمل مصلحـة رهطك ونفرك * ووافقنا فى المرافقه *
فان من حسن المرافقة الموافقه * فاستعفيته من الذهاب * وفتحت له فى سد خوخة السفر
كل باب * فقلت له يامولاى أنا رجل من أهل القرآن والفاقه * مالى بفتح باب السفر من
طاقه * لانى ضعيف البنيان * رخو الاركان * لاجلد لى على الحركة * وان كان فى
صحبة مولانا الامير كل خير وبركه * خصوصا على هذا السفر البعيد الشقه * الكثير المشقه *
ومع كونى ليس لى على ذلك من طاقه * لا جمل لى فى مناخ السفر ولا ناقه * وأما أنتم فالسفر
عليكم حتم لازم * وحق ملازم * لا يسعكم فيه التخلف * ولا يفسح لكم فيه المطل والتسوف *
فلم يعفنى * وتعلل لى بعلل عللنى فيها ولم يشفنى * فلم أر بدّا من الاستعداد * وتحصيل
الرفيق والزاد * ثم سرنا حتى وافينا جـدّه * وقد ركب فى الجادة جدّه وجدّه * ورأينا من تلك
العساكر * بحار الأول لها ولا آخر * ان انفرط أحد من سلك جماعته * وضل معتزلا عن
سنن سنته * لا يصـل اليهم بالسرج والشمع * و يهتدى الى سـنة جماعته الا ان كان يوم
الجمع * فبينا أنا معهم أسير * وقد وهن منى العظم الكسير * وأثر فى التعب * وأخـذ
منى النصب والوصب * ومللت السرى * وعدمت الكرى * نفضت يدى من الرفيق *
وأخـذت على فجوة من الطريق * فلما أن خلوت * هيمت بالقرآن العظيم وتلوت * ثم
استهوانى الذوق والشوق * فخلقت بعراشـيق حلقى الى فوق * وكان صوته أطيب من
رقيق المقطوع على رخيم الموصول * والذمن جمع شمول على كاس شمول * بنسيم الشمال
معلول * وبرضاب الحبيب مشمول * قال واذا برجلين ضعيفين * كالعود البالى نحيفين *
أشـعثين أصفرين * ذوى طـمرين أغبرين * بصرانى عن جنب * وعلقا بى علوق الوتد
بالطنب * فجعلا يراقبان أحوالى * و يستمعان أقوالى * فلما زمزمت زمزمتى * وكففت
هينمتى * وكتمت فى خزانة صـدرى جواهر كلماتى * وختمت بطابع دعائى زواهـر
آياتى * بكيا لمناجاتى * وأمنا على دعواتى * ثم أقبلا نحوى وسلما * واهتزا لما سمعاه
من تلاوتى وترنما * وقالا أحى الله قلبك كما أحييت قلوبنا * ومحوت بما سطرت فى
ألواح صدورنا بحسن تلاوتك ذنوبنا * ثم انهما آنسانى بالخطاب * وجارياني بالسؤال

والجواب * واذا هما من صميم الجغتاى وخالص عسكر تيمور * ومن ضيضى التتار وسنخ الفتن والشرور * ثم سألانى عن نجارى ووجارى * وعن رفيقى فى هذا السفر وجارى * فاخبرتهما عن مولدى ومحتدى * ومسقط رأسى من بلدى * وانى من أهل القرآن * وأنى مع محمد سلطان * فقالا لى يا سيدنا الشيخ انما جئنا اليك لتحسن الينا * وانا سائلوك عن شئ فلا تحد فيه علينا * فقلت قولا وطولا * فلن تجدانى ملولا * فقالا يا مولانا * هذا شئ يعنينا وان كان قد عنانا * وكل من اشتغل بما لا يعنيه * فقد ترك ما يعنيه ووقع فيما يعنيه *

شعر

ومن لم يعرف الخير ❊ من الشر يقع فيه

فبالله يا سيدنا قل * من أين تأكل * فقلت على خوان * محمد سلطان * فقالا أكول هذا العسكر حلال ❊ أم حرام ووبال * فقلت الغالب عليه الحرام * بل كله والله مظالم وآثام * لانه من الثارات والنهب * والغارات والغصب * والاختلاسات والسلب * فقالا والله يا امام * لقد أسأنا الادب اذ واجهناك بهذا الكلام * ولكن أنتم أهل العلم * شيمتكم العفو عن الجانى والحلم * وأنتم أولى بجبر الكسير وفك الاسير * وتيسير الامر العسير * فقابل منا هذا الفحص بالصفح * ولا تعامل هذا الالحاف باللفح * فقلت سلا * ولا تسلسلا * فقالا نسألك بالله الذى اصطفاك لخزن كلامه * الذى تعبد به عباده وبين لهم فيه معالم حلاله وحرامه * لا تؤاخذنا بما تجمعنا عليك به * فان الشيخ المرشد كالوالد الشفوق لا يؤاخذ ولده بقلة أدبه * فقلت كلا سلاما شئتما * وسلاما مهما أردتما * فقالا يا سيدنا أما كان لك مندوحة عن مرافقة هؤلاء اللئام * والتعفف بالحلال استغناء عن الحرام * فقلت انى دخلت فيهم وأنا مضطر * وخرجت معهم وأنا كاره مجبر * وأكرهنى محمد سلطان * وحابانى بما حبانى من الاحسان * فصحبتهم وعينى ذاتى من كحل الراحة مرها * وحملتنى فرسى فى سفرى كرها ووضعتنى كرها * فقالا أرأيتك لو امتنعت عن الخروج أكانوا يقون دمك * ويأسرون أولادك ويسبون حرمك * فقلت لا والله * وحاشا لله * فقالا أكانوا يحبسونك ويضربونك * وفى مقام المصادرة يجلسونك * فقلت أنا أمنع جنابا * من أن يسوموني خسفا وعذابا * لانى حافظ القرآن * والقرآن حافظى من هذا الخسران * قالا فغاية فعلهم معك * اذا رأوا تعززك وتمنعك * أنهم كانوا يشتمونك * ويعدون الى معلومك

فيقطعونك * ويسخطون عليك * ويمنعون برهم الواصل اليك * قلت ولا كانوا أيضا يفعلون كذا * وتعززي وتمنى مامحط من مكانتي عندهم الى هذا الاذى * ولكنهم حابوني فاستحيت * وخادعوني فانخدعت وليتني أبيت * فقالا لا يصلح هذا لك عذرا وحجه * ولا يسلك بك الى صحة الاعتذار بين يدى الله تعالى سواء المحجه * فهلا جلست في مكانك * واشتغلت بتلاوة قرآنك * ومطالعة علمك ومباحثة اخوانك * وفرغت بدنك عن الكلال * وملأت بطنك من الحلال * واحتميت في حمى دينك عن هؤلاء اللئام * واسترحت من الاضطرار الى تناول الحرام * مع انا سمعنا من أمثالكم * ماقد ضرب في أمثالكم * أهل القرآن وقاصته * أهل الله وخاصته * وأنهم عتقاؤه بين خلقه * وبركاتهم أدر سحاب رزقه * وان السلاطين * ملوك الناس أجمعين * وأنكم أنتم ملوك الملوك والسلاطين * واذا أعتقكم الله وأعفاكم الناس * وصرتم لانسان العالم بمنزلة القلب والكبد والرأس * ولم يبق لاحد عليكم سلطه * ثم ألقيتم أنتم أنفسكم بأيديكم الى هذه الورطه * وتهافتم على التهالك تهافت الفراش على النار * وتشبثتم مع كونكم قادرين على الخلاص بأذيال الفرار والاضطرار * فكيف يصح هذا الاعتذار وأنى ينجيكم هذا العذر من عذاب الملك الجبار * وهل صرتم الا كما قيل

معاشر القراء ياملح البلد ❀ مايصلح الملح اذا الملح فسد

فقلت أما اذا حررتما القضيه * فكلنا في هذه المصيبة سويه * مصراع

(بي مثل مابك ياحمامة فاندبي)

وقيـــــل

بي مثل مابك ياحمام البان ❀ أنا بالقدود وأنت بالاغصان

فبكيا وانتحبا * وتأوها والتهبا * وتنفسا تنفس الصعدا * وقالا أين ما بين قصتنا وقصتك في المدى * فورب الخافقين ان بين القصتين لبعد المشرقين * ولكن ما كل ما يقال يحال * وما كل ما يعلم يقال * وأين السر من الاعلان * وان الحيطان لها آذان * فقلت هذا ليس بحجه * فلا تعدلا عن سواء المحجه * فقالا نحن المضطرون جبرا * المأخوذون قهرا وقسرا * وانا مكتتبون في الديوان * مضافون الى واحد من أعيان الاعوان * اذا ورد علينا مرسوم بالبروز * في يوم عيد مثلا أو نوروز * ويكون الخروج وقت الظهر * وتأخرنا واحدا الى وقت العصر * لم يكن له جزاء فيما ارتكبه * الا الصلب أو ضرب الرقبه * فضلا عن ضرب

وشتم وشناعه * أو رفع عدل أو تقديم شفاعه * وأين أنت عن قعودهما أو تخلف
أو استتار بذيل توار أو توقف * فنحن مدى الدهر لمثل هذا مستوفزون * وعن مثل
ما جرى على أضرابنا من هذا البلاء متحرزون * مصيخون أبدا لما أشار وما أمر * عاملون
بمقتضى رحم الله من رأى العبرة في غيره فاعتبر * ويا ليتنا أمكننا التحويل عن مملكته *
والرحيل عن اقليم ولايته وسلطنته * وكيف لنا بذلك وهي مسقط رأسنا * ومحل أناسنا
ومحط ايناسنا * وايلاف رحالنا * ومزدرعات معيشتنا * ومدرج آبائنا ومخرج أبنائنا *
ومقام قبائلنا وعشائرنا * ومثابة قاطننا وغابرنا * ولو غاب من هوام قبائلنا جدجد * فضلا
عن بلبل أو هدهد * لجحف الباقين سيل الظلم والحيف * ولتحكم في رقاب سائرنا صائل
الموت بالسيف * وأما اذا برزنا وعزمنا * على المسير معه وتجهزنا * فنسأل كم سنة نغيب *
وأي جهة يريد ذلك المريد المريب * فنأخذ أهبتنا لذلك المقدار * وكل منا ابن عم الآخر
وجار * وله جراب فيه سويقه * ومعه كافة نفسه وفرسه وعليقه * يصوم مدى الدهر
ويفطر على ما يسد الرمق * ويلبس ما يستر العورة من رث الثياب والخلق * كل ذلك من
زرع أيدينا وكدنا * وما بذلنا فيه من عرق جبيننا والحلال غاية جهدنا * لا نتعرض لمال
أحد ولا لعرضه * ولا نقف في طريق ابرامه ولا نقضه * ولا لاحد عندنا نشب * ولا
بيننا وبين أحد علاقة ولا سبب * والآن بامولانا البلاء الطام * والمصاب العام * ثم
رقصا رؤسهما يمينا وشمالا * وارتعدت فرائصهما هيبة وجلالا * وابيضت شفاههما *
واسودت جباههما * وأخذا في البكاء والعويل * وانتحبا الانتحاب العريض الطويل *
فوالله لقد ذابت نفسي لديهما * واستصغرت كبار المشايخ بالنسبة اليهما * وتفكرت فيما
دهاهما من شدة الامر * وعلمت أنهما القابضان بكفيهما على الجمر * ثم تأوهت آها
بعد آه * وقلت بالله يا أخوتاه * وما هذا البلاء الطام * والمصاب العام * الذي ذكرتماه *
قالا خيولنا ومواشينا * وحوامل مهادنا وغواشينا * نرفق بها في التحميل * وما نركبها
الا وقت الاعياء في الرحيل * وأرقصها اقيم ظهورنا * وأنجز أمورنا * واضطررنا الى
الخوض في دماء المسلمين وأموالهم * وألجأنا الى رعي زرعهم وتحمل وبالهم * وما ندري
كيف الخلاص * وأنى نجو من ذا المقنص * فبالله يا سيدنا الشيخ هل تجد لنا في هذا
الامر الغالي رخصه * أو هل من قطرة برود تطفئ هذه الحرارة وتسكن شوق هذه
الغصه * فقلت لا والله * الا عناية الله * وأيم الله لقد أشبعتماني شرا * وجرعتماني صبرا

ومقرا * وأوسعتمانى نكداوضرا * وكان هموم مابى * من نصبى وعذابى * يكفينى * الى يوم تكفينى * فقد زدتمانى بلاء على بلائى * وعناء على عنائى * فبالله من أنتما وما أسماؤكما * وفى أى قطر أرضكما وسماؤكما * ومع من أنتما فحييتما ما حييتما * فخبرانى ولا تحيرانى لاجىء فى كل وقت اليكما * وأفوز بالسلام عليكما * فقالا يا مولانا * الحمد لله الذى برؤيتك حيانا * أن معرفتنا لا تجديك شيئا ولا تبرك * وعدم المعرفة بنا لا يؤذيك ولا يضرك * والغالب على ظننا يا مولانا * أنك بعد اليوم لن ترانا * وان قدر اجتماع فنحن نسعى على رؤسنا اليك * وخليفتنا الله والسلام عليك * ثم ودعانى وما وقفا * وأودعانى أليم الفراق وانصرفا * هذا من البحر قطره * ومن الطود ذره * ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يصون عن الزلل أقوالنا * وعن الخطل والخلل أفعالنا وأحوالنا * وحسبنا الله ونعم الوكيل *

(خاتمة الكتاب)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أدّب عبده أحمد فأحسن تأديبه * وخصه اذ رباه يتيما وأنشاه غريبا بكل يتيمة وغريبه * وأظهر له فى بيان بديع المعانى منهج كل فن وأسلوبه * فأعجب أهل زمانه اذ أعجزهم بما أتاهم به من كل أعجوبه * أحمده حمدا تفتقت فى رياض آلائه أنوار فصاحته * وأشكره شكرا تعبقت فى رياض نعمائه أزهار بلاغته * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة طابق خبرها الواقع والاعتقاد * وأسندت الى حقيقة الصدق فصارت حقيقة الاسناد فتمنطق الايمان بأقوالها * وتعلق الاسلام بأفعالها * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أنشأ أخبار بعثته على التوحيد * وقصر فصل رسالته على وصل الاخلاص بالتعبيد * صلى الله عليه صلاة باقية ببقاء إعجازه موصولة بطنب الاطناب وصل فصيح الكلام بايجازه * وعلى آله وأصحابه شموس سماء الفصاحه * وبدور أفلاك البلاغه * وسلم تسليما كثيرا * أما بعد فيقول العبد المفتقر الى مولاه المعترف بتقصيره وخطاياه * المغترف من بحار كرمه وعطاياه * الراجى فى حدائق المغفرة ثمرة العفو مما جناه * أحمد بن محمد بن عبد الله الحنفى مذهبا * التميمى لقبا * الانصارى نسبا * الدمشقى مولدا * السنى معتقدا * عامله الله بما كان أهله * وحفظ عليه دينه وعقله * لما كانت الدنيا دار انقلاب * ومحل تغير واضطراب * قدمت على الاخرى للاكتساب * اما لجزيل

الثواب * واما وبيل العقاب * وكان سيرها سريع الاحتثاث * واذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث * أردت أن يخلد لى ذكر * ويجول لى فى خواطر الآخرين فكر * لعل رحمة تتبعنى * أو دعاء صالح ينفعنى * فنادانى لسان الحال * لا تخل عندك تهديها ولا مال * وأما الاولاد فليت صالحهم كفانى شره * ووازن فى حياتى نفعه وضره * فلم يبق الا علم ينفع * أو افادة ترفع * وقد صنف العلماء فى كل فن من العلوم ما بلغوا فيه الغايه * وتدرجوا فى تقريره وتحريره من البداية الى النهايه * وعنوا بمعانيه متونا وشروحا * وبينوا خفاويه خفاء ووضوحا * مع أن دروس العلوم قد درست * وحدائق رياضها ذبلت ويبست * وصار الكلام فيها عيا * والمستوى فى تحقيقها وتدقيقها بيا * ولم يبق لطالب العلم به انتفاع * الا انه اذا احتاج الى القوت عرض كتبه لتباع * غير أن بعض كبراء العصر * ورؤساء الدهر * وبقايا الاكياس * متشوفون لتواريخ الناس * ومتطلعون لمعرفة أحوال من ساس * من ذنب وراس * ومستشرفون لسالف الاخبار * كيف كان أمر الناس وصار * ولم يكن فيما مضى * من هذه الامة وانقضى * من متغلبيها وبغاتها * ومتمرديها وطغاتها * مسلمها وكافرها * مقسطها وجائرها * عاتيها ومواتيها * مصادقها ومعاديها * صالحها وطالحها * سانحها وبارحها * غابرها وداجها * عابرها وخارجها * مثل تيمور الاعرج * ولا أعبر منه فى العتو ولا أخرج * سيره كلها عبر * وكل عبرة منها فيها سير * أموره أظهر من أن تخفى * وما أضرمه من فتائل الفتن شرقا وغربا أعظم من أن يطفا * فقصدت ما ذكرته * وذكرت ما قصدته * وتوخيت الافادة والاعتبار * لا التفاخر والاشتهار * فاعترضتنى نوائب الخطوب * وكشرت دون مرامى أنياب القطوب * وجبهتنى يد الردع * وصدمتنى قارعة المنع * بأن أكبر الكبائر * فى هذا الدهر الدائر * أدب أديب * أو فضل أريب * أو علم عالم لاسيما غريب * لقد كره الاديب والفقيه * كراهية التحريم لا التنزيه * وقد تقرر هذا فى الاذهان ورسخ * ولهم الذنب اذ يداهم أوكاو فوهم نفخ * ثم ذكرتنى شانى * وخاطبتنى بلسانى * شعر

أتصرف غض العمر فى طلب العلى * فتظمى أكبادا وتسهر أعينا
تقاسى صروف الدهر فقرا وغربة * وبعدا عن الاوطان للقلب موهنا
وعيلة أطفال ضعاف كأنهم * جوازل زغب أنهكتها يد الضنا
ففى مثل تلك الحال ما كنت ضائعا * وكنت بنفس فقرها واسع الغنى

الى ان حباك الله فضلا ورفعة * وحزت فنونا من علوم لها سنا
فصرت عزيزا فى البرايا مكرما * وطار الى الآفاق من صيتك الثنا
وقد سل فوق الرأس سيف مشيبه * وهل بعد هذا غير معترك الفنا
أتخشى ضياعا بعد ذاك وعيلة * فترهب من فقر وترغب فى الدنا
فتبذل وجها طالما صنت ماءه * لك الله لا تفعل وكن متمكنا
وهل فى الورى من يرتجى لملمة * وان قيل من للمكرمات يقل أنا
فصن عن جميع الخلق نفسك واتكل * على الله مولى لم يزل بك محسنا

فـأتم ذو فضل بصدر منشرح * حط عنك واسترح * فتضاعفت الحال تشتيتا * وزاد الكبد تفتيتا * وارتبكت فى عزمين * واشتبكت بين همين * بين ان أسكت فاضيع * أوان أقول فلا يسمع * فقدمت رجلا وأخرت أخرى * واستنهضت جواد فكرى كرا وفرا * فقوانى صدق النية فيما هممت * وخلوص الطوية على ما عزمت * وجمعت من بال متفرق * وألفت من فكر متمزق * من قضايا تيمور الطويلة العريضة نبذه * وجبذت بكف الافكار من قوس حكاياته جبذه * تثلت فى بيانها من بديع المعانى العجيبه * وسلت وقد صرفت نحو مشرق النطق سنان الكلام عضبه وشحذت غربه * فجاءت بحمد الله تعالى ظريفة المعانى كاملتها * لطيفة المبانى فاضلتها * قلت فى مرآة الادب *

بألفاظ ألحاظ تشير الى النهى * تعلم فن السحر كيف يكون

حوت دقة الجزل ودقته * ورياقة الغزل ورقته * ولطافة الادباء * وظرافة الشعراء * وفصاحة البلغاء * وبلاغة الفصحاء * وحقائق الحكماء * ودقائق العلماء * مع الامثال الفائقه * والاستشهادات اللائقه * والاستطرادات الرائقه * والتشبيهات الغريبه * والاستعارات العجيبه * ونوافث السحرة من علماء البيان * ونوادر المهرة من أرباب الديوان * ومزجت جليل التحمس فيها برقيق التغزل * ونسجت جديد الجد بعتيق التهزل * وطرزت طلع ذلك كله باعلام الآيات الشريفه * ونقوش الاحاديث الكريمة المنيفه * أصبت بكل ذلك محز القصد * وطبقت بحسامه مفصل الضرب * قلت فى مرآة الادب *

كأن النهى قد كان عنى ناعسا * فمر على أذنيه ما اتلفظ
فذاق لهذا الشهد صدق حلاوة * ففتح عينيه وجاء يتلمظ

فمن أراد التنزه في التواريخ فعليه بمداومة تكرارها * ومن قصد التفكه في رياض الانشاء فليقتطف من بهي أزهارها * ومن سلك طرائق الادب فليجن من حدائقها اجتناء ثمارها * ومن رام التسلق الى ذروة العلوم فليتشبث بأذيال أستارها * ومن طلب الاعتبار بتقلبات الزمان فليتأمل حقائق أخبارها * ومن اعتنى بسياسة الملك فليتدبر دقائق أسرارها * مع اني لم أوفها حقها في التهذيب * ولم تنل استحقاقها في حسن الترتيب والتشذيب * لأن الكلام كالدر المنتظم * والدر المنسجم * لابد أن يتعانق لفظه ومعناه أولا وآخرا * ويتطابق عبارته وفحواه باطنا وظاهرا * والا اختل نظمه * واعتل فهمه * وانحطت منزلته * وسقطت من سلم الفصاحة درجته * وهذا يحتاج الى بحر ذهن صاف * ومعدن علم بكفالة ما يتم به عقود جواهره واف * وذوق أحلى من العسل * وفكر أمضى من الاسل * ويحتاج كما قيل الى حاضر من التوفيق ومعاون صالح من النيه * فان غروب الالسنة ربما جاوزت الى ما يشبب على القائلين اتجه * ومن لي بذلك * وأنى يتيسر لي سلوك هذه المسالك * وكنت طالما أفوق سهم النظر في بيداء التأمل نحو قنص معنى دقيق * وأصوب غواص الفكر في دأماء التدبر الى جوهر قصد رقيق * حتى اذا قلت فاز القناص * وحاز الغواص * واذا بقاطع الشواغل قطع بترس الشواغل والحوادث على سهم خاطري الطريق * وبتمساح الهموم التهم غواص فكري فاذا هو في بحر الغموم غريق * فتسدّ في وجه قصدي المسالك * وأصير من نهار أزهر الى ليل حالك * قلت

فأني أتقي للنظم درا ✿ ولم تظفر يدي منه بودعه

لكن لما كان الشروع ملزما * واتمام ما شرعت فيه متحتما * لم أر بدا من الحام ما أسديته * واصماء ما أنميته * فصرت في وعوره أقع وأقوم * وفي بحوره أغطس وأعوم * ان راق راكد الخاطر * أوحى الفكر الفاتر * فتذكرت من الكلام أوائله * وألحقت بكل منه ما شاكله * واذا أزعجه من الزمان الجفا * تكدّر منه ما صفا * وتبلدت الافكار * وتولدت الاخطار * وتساوى عند بصر البصيرة الليل والنهار * قلت

أكمل كل سطر بعد شهر ✿ وأبني كل بيت بعد عام

فلا أضع المحمول الا وقد حل لموضوع ✿ ولا أذكر الخبر الا وقد نسي المبتدا

(قلت مضمنا شعرا)

والفكر كالبحر يبدي لي جواهره ✿ مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

فتخرم القاعده * ويختلط رأس المال والفائده * فقل لي أنّي ينتظم قال * وقد انفرط
نظام الحال * هذا وان الكلام له مقامات * ولكل من الفصاحة والبلاغة درجات *

(قلت قديما مترجما)

ما استوى في موقف افصاح منطيق ولو * قد سحبا سحب سحبان وأصمى الاصمعي
فافتكر فيما ترى في منزل أعيي الورى * هل ترى تبت تحاذى قيل يا أرض ابلعي

وأين من يوفي المقامات حقها * ويعطي كل مستحق منها مستحقها * ولقد سلكت في هذا
الكتاب مسالك أبناء العصر * وطريقة أولاد الدهر * فانّ الناس بزمانهم * أشبه منهم
بآبائهم * ولو أخذت فيه أخذ العرب العرباء * وألبسته في ألفاظه ومعانيه ثوب
الاستقصاء والاباء * فأبرزت ما قصدته من المعاني الجزلة العجيبه * في قوالب مخلة
غريبه * لما التفت أحد اليه * ولا عوّل لقصور الهمم والافهام عليه * ولما كانت المجازات
المشهوره * خيرا من الحقائق المهجوره * والغلط المستعمل * أولى من الصواب المهمل *
أبرزتها في اشارات رشيقه * وعبارات رقيقه * وعملت في بعض المواضع بقوله رجز

عمدا كسوت مرهبا مغمرا * ولو أشاء حكته محبرا

(وقد قيل)

اذا أحسست في لفظي قصورا * وخطي والبراعة والبيان
فلا ترتب بفهمي انّ رقصي * على مقدار ايقاع الزمان

ثم انّ بين هذا الكتاب * وبين ما صنعه قبلي ذوو الآداب * لبونا مديدا * وأمدا بعيدا *
بوجوه منها انّ زمانهم كان بالرفاهية ساعد * وأنا في عصر لا ساعد لي فيه ولا مساعد * ومنها
انّ وقتهم كان فيه من يربي الفضل وأهله * ويحل كلا منهم محله * من الملوك والاكابر *
وذوي الفضائل والمآثر * وأرباب المناصب والمفاخر * وأقل من فيهم كان يحب السماع *
ويميل الى الفضل والادب بالطباع * فكان الفضل فضيله * والادب خصلة جميله * وأما
الآن * فقد انقلب بأهله الزمان * فصار حامل الفضل والادب من رهطه * والمتعلم من
العلم في سلكه وسمطه * كأنه سارق عمامته تحت ابطه * ومنها انّ الافهام كانت مدركه *
وكانت كذلك قريحة المتكلم متحركه * لقد صارت الافهام جامده * والقرائح خامده *
ونارها هامده * ومنها انّ غالب ما صنف أخباره كاذبه * وسهام أغراض غير صائبه *
لانه لا واقع يطابقه * ولا خارج يوافقه * فعمد مصنفه الى ما عقدته مخيلته * وتوهمته

فكرته

مفكرته * فالف حسبما أراد * وأسس على مقتضى اختياره ماشـداه وشاد * وأما هذا الكتاب فاخباره صادقه * وكلماته بالصدق ناطقه * اذ هى فى الواقع للخارج مطابقه * فأبداها منشئ الخاطر وأعاد * على طبق ما أريد منه ووفق ما أراد * وليتنى فى هذا وهذا كفافا * من خيرها وشرها معافى * ولئن ساعد الزمان بترفيه الحال * وخلا من سكان الهموم ربع البال * لاتتبعن آثاره * ولاسترن بقدر الامكان عواره * ولابذلن الجهد فى ترقيحه * واصلاحه وتنقيحه * والافالصفح مأمول * والعذر عند خيار الناس مقبول * والمسئول من صدقات ذوى الادب * البالغين فى البلاغة أعلى الرتب * أن يسبلوا ذيل الاغضاء عليه * وينظروا بعين الافادة والاستفادة اليه * ويقيلوا العثار * ويقبلوا الاعذار * فيشدّوا أسره * ويجبروا كسره * ويرقعوا خلله * ويحققوا أمله * راجين من لطف الله ماأرجوه منهم * لعل الله سبحانه ان يعفو عنى وعنهم * مع انا كلنا فى الهوى سوا * وانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى *

الحمد لله حمدا يملاء أركان الامكنه * ويعطر خياشيم الازمنه *
وصلى الله على سيدنا محمد صلاة تبلغ قائلها أمنه * وتحله
بشفاعته فى جنة الفردوس الاعلى اسكنه * وعلى
آله وأصحابه الذين استمعوا القول فاتبعوا
أحسنه * ونستغفر الله من حصائد
الالسنه * وحسبنا الله تعالى
ونعم الوكيل * ولاحول
ولاقوة الا بالله
العلى
العظيم
تم

(فهرست الخطا والصواب المستدرك فى طبع هذا الكتاب)

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٢	١٠	الغدادين	الفدادين
٧	١٢	الى ماعرج	الى ماهرج
٨	٤	عجب	عجيب
٨	٢٠	فعه	معه
٨	٢١	ميض	فيض
٨	٢٦	وهو	وهوى
١٠	١٢	المتخربون	المتحزبون
١١	١٧	يزيده	بريده
١٥	٠٣	قل	فل
٢١	٠٣	المناطره	المناظره
٢١	٢٠	ابهم	بهم
٢٤	٢٢	تنق	تنق
٣٠	١٨	من ابن	مع ابن
٣٧	٢٢	فلم يحزجوابا	فلم يحرجوا با
٥٥	٠٢	رقلعه	وقلقه
٥٦	٢١	فتقلد	فتقلد
٥٩	١١	برزنج	برزخ
٦١	١٠	الفراة	الفرات
٦١	١٤	الجواره	الجراره
٦٢	٢٠	التكمين	التمكين
٦٢	٢٢	الضراب	للضراب
٦٦	٢٥	الصغينه	الضغينه
٦٩	٠٢	وان لى	وانى لى
٧٣	٢٣	من من	من

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٧٤	٢٣	بن	بنى
٧٦	١٢	يغمه	يغم
٧٩	١٣	ولكن	ولاتكن
٨٠	١٦	انه	لانه
٨٣	١١	العيادةعياده	العبادةعباده
٨٣	١٧	فأتى	فأنى
٨٣	٢٤	فسرا	قسرا
٨٥	١٤	وخرج عليه	وحرج عليه
٩٦	٧٠	فأقفنا	فأوقفنا
١٠٢	٠٩	فالفه	فالقه
١١٨	٠٥	حطايا	خطايا
١٢٧	٢٦	واحنوا	واخنوا
١٣٠	٠٣	سانج	سانح
١٣٣	٠٦	بتمريهات	بتمويهات
١٣٦	٠٨	رباشلائهم	وباشلائهم
١٣٦	٢٦	ووادوهم	و وادهم
١٤٢	١٠	أزمير	إزمير
١٤٢	٢٥	سيف الداين	سيف الدين
١٤٦	٢٤	الغول	العول
١٥٠	٢٦	يقاله	يقال له
١٥١	١٧	والحلق	والخلق
١٥٢	٠٧	اتمـــابه	اغـــله
١٥٤	٢٤	العلة	لعلة
١٥٧	١٠	وفقل	ونقل

صحيفه	سطر	خطا	صواب
١٥٧	١٨	وردا	ووردا
١٥٨	٢٦	بوجهه	بوجه
١٦٣	١٨	ارغنون	ارغون
١٦٥	٠٥	فضحه	فضيحه
١٧٥	١٤	شح	شج
١٧٥	١٩	قرى	فرى
١٧٧	٢٠	اذعج	ازعج
١٧٧	٢٦	الثلوب ماغط	الثلوج ماغطى
١٨٢	٠٣	واسطنطق	واستنطق
١٨٢	٠٧	كل ثواب	كل ثوب
١٨٦	٠١	فتميز	فميز
١٨٨	٢٠	قبل الفلاح	قبل الصباح
١٨٨	٢١	خليل سطان	خليل سلطان
١٩١	١٧	خليل سطان	خليل سلطان
١٩٤	١٦	محباك	محياك
١٩٤	٢٢	الاالشجاع	الاالشجاع
١٩٥	٠٦	فاقتضى رأيه	فاقتفى رأيه
١٩٩	٢٥	وعضب عضبك	وعضب غضبك
٢٠٣	١٢	ايقد	ايقاد
٢٠٤	٢٥	ولعل	ولعن
٢١٦	٠٥	القراقيه	العراقيه
٢١٨	١٠	الفضا	القضا
٢٢٢	٢٦	اصفرت	اسفرت
٢٢٤	١٦	ساعدنا بجاهك	ساعد بجاهك
٢٢٦	٠٤	من مجناه	من مجناه
٢٢٧	٠١	هرحاومرجا	هرجاومرجا
٢٣٣	٢٣	ولقلب	واقب
٢٣٥	٠٧	داريات	درايات